مقاصد سور القرآن الكريم

تأليف

أ. د. علي بن سليمان العبيد

دار التدمرية

مقاصد سور
القرآن الكريم

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

دار التدمرية

الرياض - ص.ب:٢٦١٧٣ - الرمز البريدي : ١١٤٨٦

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

مقاصد سور القرآن الكريم

تأليف

أ. د. علي بن سليمان العبيد

دار التدمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد:

فإن القرآن الكريم كما هو معجز في بلاغته، وأسلوبه، وتشريعاته، وفي كل ما استخدمه من حقائق، فهو معجز أيضًا في ترتيب آيه وسوره.

فالآية معجزة في لفظها، وأسلوبها، وبيانها، والسورة معجزة في ارتباط آيها بعضها ببعض، حتى نرى السورة الواحدة وحدة واحدة متسقة المعاني، مرتبطة المباني.

وإنّ الناظر في سور القرآن الكريم يجد أن السورة تتحدث عن معنى من المعاني، ثم ما تلبث أن تنتقل إلى معنى آخر، ثم إلى معنًى ومعانٍ أخر، فهل لتعدد المعاني في السورة الواحدة رابطة تربطها ومقصد يجمعها؟

لقد ثار في ذهني هذا السؤال وأنا أقرأ القرآن الكريم، وأثناء قراءتي في كتب التفسير وعلوم القرآن، وبعد مطالعتي في مضان الكتب التي تبحث في هذا الموضوع رأيت أن الموضوع يحتاج إلى دراسة ومزيد بحث لإجلائه وتوضيحه بدراسة مؤصلة، ثم استخراج مقاصد سور القرآن الكريم سورةً سورة، فقررت مستعينًا بالله البحث فيه، واخترت له عنوان: "**مقاصد سور القرآن الكريم**".

أهمية الموضوع:

القرآن الكريم محكم البيان، متناسق الأركان، سالم من الزيادة والنقصان، كيف لا وهو كلام الحكيم العليم، الذي وصفه بالإحكام والحكمة فقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ

ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ (سورة يونس الآية: ١)، وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ (سورة البقرة الآية ٢)، وإنزاله بالحق وموافقته للكتب السابقة، فقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران الآيتان ٣، ٤).

كما وصف السورة منه بـ "المحكمة" فقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ (سورة محمد الآية ٢٠).

وسمى المجموعة من الآيات القرآنية بالسورة، فقال: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النور الآية ١) وهي قد تكون ذات موضوع واحد، أو موضوعات متعددة، ومع ذلك تبقى متآلفة متجانسة يجمعها مقصد وهدف، لذلك كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بقراءة السورة كاملة وإنفاذها، فقد مَرَّ ﷺ ليلة بأبي بكر وعمر وبلال ﷺ، وكل منهم يقرأ القرآن، فلما أصبح قال لبلال: "مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة! فقال: أخلط الطّيب بالطّيب، فقال: "اقرأ السورة على وجهها – أو قال-: على نحوها"[(١)]. وفي رواية أخرى: "إذا قرأت السورة فأنفذها"[(٢)]، أي: أكملها. قال أبو عبيد: "فأمره أن يقرأ

---

(١) الحديث أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/٤٩٥، رقم ٤٢٠٩، وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/١٥١ رقم ٣٠٢٥٩، وأبو عبيد في فضائل القرآن ١/٣٦٠، رقم ٢٩٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/١١.

(٢) أخرجها أبو عبيد في فضائل القرآن ١/٣٦٠ رقم ٢٩٩.

السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة، كما أنزل الله تعالى، كل صنف على حدة، ولكنه، مزجها لتصل القلوب بنظام الإيمان"(١).

وكان تحزيب السلف في تلاوتهم للقرآن الكريم ينتهي عند آخر السورة، ولا يتوقف عند أواسطها، أو أواخرها.

لذا فالسورة في القرآن الكريم قد تكون ذات موضوع واحد أو موضوعات عدة، ولكن بينها اتصال ورباط يجمعها بما يمكن أن نسميه: مقصود السورة.

قال ولي الدين الملوي: "قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو استُفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها، لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقًا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة"(٢).

وقال الفخر الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"(٣). وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ (سورة فصلت الآية ٤٤)، "بل الحق عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد" ثم قال: "وكل من أنصف ولم يتعسف علم أنّا إذا فسرنا

---

(١) ينظر قوله في: البرهان في علوم القرآن ٥٥٣/١.

(٢) ينظر قوله في: البرهان في علوم القرآن ٣٧/١، والاتقان في علوم القرآن ١٠٨/٢.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٤٥/١٠.

هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه، صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلامًا واحدًا منتظمًا مسوقًا نحو غرض واحد، فيكون هذا التفسير أولى مما ذكروه"(١).

وقال الدكتور محمد دراز: قال الأئمة: "إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"(٢).

ولعلي أشير هنا إلى أن من أسرار تكرار القصص في القرآن الكريم حين يذكر في سور متعددة وموضوعها واحد، إنما يعاد لمعنى قُصِد به تلك السورة حسبما يقتضيه جَوُّها ومقصدها وهدفها، فنجد القصص يتلوَّن بلون السورة، وينتظم في سلكها، ويُراعي مقصدها، مع الأخذ في الاعتبار أنه لم تتكرر قصة في القرآن في سورة واحدة مطلقًا.

كما أن وضع الآيات المدنية في السور المكية، أو وضع الآيات المكية في السور المدنية، يدلنا على أن المقصود من ترتيب آي السورة مباين للمقصود من ترتيب النزول، فوضعت الآيات بما يخدم السورة ومقصودها، وتلتئم معه المعاني والألفاظ، فبدت السور في غاية الالتئام والانسجام.

وتبقى المؤلفات التي خَصَّت مناسبات ومقاصد سور القرآن الكريم ما بين مختصر موجز، ومبسوط متكلف، والقصد في ذلك عزيز ومحدود، ويرجع ذلك إلى أن هذا العلم لم يلق اهتمامًا من المفسرين الأوائل، بل إن من العلماء من تركه لما رأى صدود الناس عنه، حيث قال ابن العربي المالكي: "ارتباط آي القرآن بعضها

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٣٤/٢٧، ١٣٥.

(٢) النبأ العظيم ٢٢٠.

بعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله -عز وجل- لنا فيه، فلمّا لم نجد له حَمَلَة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"(١).

وإن ممن اهتم به وبعلم المناسبات: برهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ؛ حيث ألف كتابين:

أحدهما: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور.

والثاني: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

ومن المعاصرين: عبد الحميد الفراهي في كتابه "دلائل النظام"، ومحمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم"؛ حيث وضعا بعض النظرات في فهم القرآن الكريم. ثم الطاهر بن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير"، حيث يذكر أغراض كل سورة قبل البدء في تفسيرها.

وسأتناول بمشيئة الله في المقدمة الثالثة جهود العلماء في بيان مقاصد السور، ومؤلفاتهم سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة، قديمة أم حديثة.. والله الموفق.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة وقسمين.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وخطة البحث.

القسم الأول: مقدمات تعريفية وفيه ست مقدمات:

المقدمة الأولى: معنى مقاصد السور ودلالته.

المقدمة الثانية: مقاصد السور والمصطلحات المرادفة له.

---

(١) ينظر: قوله في البرهان في علوم القرآن ٣٦/١، وهو في كتابه "سراج المريدين".

المقدمة الثالثة: جهود العلماء في بيان مقاصد السور.

المقدمة الرابعة: الطرق الموصلة إلى مقاصد السور.

المقدمة الخامسة: أدلة مقاصد السور.

المقدمة السادسة: أثر مقاصد السور في تفسير القرآن الكريم.

القسم الثاني: مقاصد سور القرآن الكريم. وفيه بيان مقاصد سور القرآن سورةً سورةً حسب ترتيبها في المصحف.

وضَمَّنْتُ كل سورة أربع فقرات:

الأولى: مقصود السورة.

الثانية: القائلون بمقصود السورة.

الثالثة: دلالة اسم السورة على مقصودها.

الرابعة: دلالة آيات السورة على مقصودها.

وبعد: فهذا جهدي واجتهادي، أقدمه بين يدي المسلمين عمومًا، والمختصين في التفسير وأصوله خصوصًا، فإن كان فيه من صواب فمن الله، وإن كان غير ذلك فأستغفر الله من كل زلل وأتوب إليه، وهو حسبي وعليه التكلان، وما أنا إلا كما قال جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ في آخر تفسيره لسورة الإسراء:

حمـدتُ الله ربِّي إذ هـداني   لمـا أبـديتُ مـع عجـزي وضَـعْفي

فمَـنْ لي بالخطـأ فـأُرُدُّ عنـه   ومَـنْ لي بـالقبول ولـو بحَـرْف

والله أسأل أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، وذخرًا لي يوم الدين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،، والحمد لله رب العالمين،،،

أ.د. علي بن سليمان العبيد،،،

القسم الأول

مقدمات تعريفية

وفيه ست مقدمات:

- المقدمة الأولى: معنى مقاصد السور ودلالته.
- المقدمة الثانية: مقاصد السور والمصطلحات المرادفة له.
- المقدمة الثالثة: جهود العلماء في بيان مقاصد السور.
- المقدمة الرابعة: الطرق الموصلة إلى مقاصد السور.
- المقدمة الخامسة: أدلة مقاصد السور.
- المقدمة السادسة: أثر مقاصد السور في تفسير القرآن الكريم.

المقدمة الأولى
معنى مقاصد السور ودلالته

معنى مقاصد السور:

لكي نصل إلى تعريف "مقاصد السور"، لا بد أن نعرف لفظتي "مقاصد" و"السور" على وجه الإفراد لكل لفظة، ثم نعرفهما مجتمعتين بعد أن صارتا عَلَمًا على عِلْمٍ بذاته.

المقاصد: جمع مقصد، وهو موضع القصد[(١)].

والقصد له معان كثيرة منها: استقامة الطريق، والعدل والوسط، والاعتماد، والأمُّ، واتيان الشيء. تقول: قصد الحجاج البيت الحرام إذا أمُّوا تلك الجهة وأتوها[(٢)].

والمقاصد: هي الأهداف والغايات من الشيء، ومقاصد الشريعة: هي المعاني والحِكَم الملحوظة التي راعاها الشارع في أحكام الشريعة عامة، تجتمع عليها الأدلة أو أكثرها[(٣)].

والسُّور: جمع سورة، والسورة في اللغة المنزلة[(٤)].

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط ٧٣٨ مادة "قصد".

(٢) ينظر: لسان العرب ٣/٣٥٣ مادة "قصد"، ومعجم مقاييس اللغة ٥/٩٥.

(٣) ينظر: الأدعية المأثورة وعلاقتها بحفظ مقاصد الشريعة ٣١١، ٣١٢ بحث للدكتور عبدالقادر الخطيب منشور في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٩٥ في ذي القعدة سنة ١٤٣٢هـ.

(٤) ينظر: لسان العرب ٤/٣٨٦ مادة "سور".

قال الجوهري[(١)]: السُّوَر: جمع سورة، مثل: بُسْرة وبُسْر، وهي كل منزلة من البناء، ومنه سُوْرَة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى"[(٢)].

والسورة في القرآن الكريم: هي طائفة من آيات القرآن ذات فاتحة وخاتمة، معلومة بتوقيف من النبي ﷺ[(٣)].

أما علم مقاصد السور: فهو العلم الذي يعتني ببيان مقصد كل سورة في القرآن الكريم.

ومقصد السورة: هو الموضوع الذي يعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضامينها.

ويتكون المقصد من ألفاظ وكلمات مختصرة جامعة لما تتضمنه السورة من معان وموضوعات.

قال ابن العربي[(٤)]: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة

---

(١) الجوهري: اسماعيل بن حماد، أبو نصر، لغوي، له: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. توفي سنة ٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام ٣١٣/١.

(٢) الصحاح ٦٩٠/٢ مادة "سور".

(٣) ينظر: غرائب القرآن للنيسابوري ٢٨/١، وكنز المعاني شرح حرز الأماني للجعبري ٩٤، والتيسير في قواعد علم التفسير ١٦٧.

(٤) ابن العربي: محمد بن عبد الله، أبو بكر بن العربي الأندلسي، الحافظ الفقيه المفسر، له: أحكام القرآن، والمسالك شرح موطأ مالك، وأنوار الفجر في تفسير القرآن. توفي سنة ٥٤٣هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١٦٢/٢.

الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني"(١).

وقال برهان الدين البِقَاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ(٢): "فهو: علم يعرف منه مقاصد السور.

وموضوعه: آيات السور، كل سورة على حيالها.

وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة.

ومنفعته: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير.

ونوعه: التفسير.

ورتبته: أوله، فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث إنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالًا.

وأقسامه: السور.

وطريقة السلوك في تحصيله: جمع جميع فنون العلم"(٣).

دلالات علم مقاصد السور:

من دلالات علم مقاصد السور ما يلي:

١- أن القرآن الكريم بسوره وآياته مبني على مقاصد أساسية ترجع إليها جميع السور والآيات، وبالتالي فإن السورة كذلك تدل على مقصد خاص بها،

---

(١) قاله ابن العربي في سراج المريدين، وينظر في البرهان في علوم القرآن ٣٦/١.

(٢) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط، البقاعي نسبة إلى وادي البقاع بين لبنان وسوريا، مؤرخ أديب، له: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، توفي سنة ٨٨٥هـ. ينظر: مقدمة محقق مصاعد النظر.

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١٥٥/١.

يعود إلى المقصد الأساس، ويؤكد ذلك تقسيم القرآن الكريم إلى سور محددة، كل سورة لها اسمها، وافتتاحيتها، وخاتمتها، وموضوعاتها.

قال الزمخشري(١): "فإن قلت: ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا؟ قلت: ليست الفائدة في ذلك واحدة، ولأمر ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السور، وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابًا موشحة الصدور بالتراجم.

ومن فوائده:

- أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف، كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانًا واحدًا.
- ومنها: أن القارئ إذا ختم سورة أو بابًا من الكتاب، ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه، وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر، إذا علم أنه قطع ميلًا، أو طوى فرسخًا، أو انتهى إلى رأس بريد، نفّس ذلك منه ونشّطه للسير، ومن ثم جزأ القرآن أسباعًا، وأجزاء، وعشورًا، وأخماسًا.
- ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة، اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة، فيعظم عنده ما حفظه، ويجل في نفسه

---

(١) الزمخشري: محمود بن عمر، أبو القاسم جار الله الخوارزمي، مفسر، لغوي، أديب، معتزلي، المعتقد، له الكشاف، وأساس البلاغة. توفي سنة ٥٣٨هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ٣١٤/٢.

ويغتبط به، ومنه حديث أنس ﷺ: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران، جَدَّ فينا"[(١)]، ومن ثَمَّ كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل.

- ومنها: أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم"[(٢)].

٢- أن معنى السورة يحمل في طواياه معنى: الإحاطة وتوحيد الأجزاء المتعددة. فمادة "س و ر" تدور على هذا المعنى، كالسور الذي يحيط بأبنية المدينة، ويجمع بيوتها ففيه الوحدة والاستقلال، والسوار الذي يحيط بالمعصم، وفيه الزينة والجمال.

والعلماء يعرفون السورة بأنها: "طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع"[(٣)].

فالسورة إذن تحيط بطائفة من الآيات ذات المعاني المتنوعة، وتجمعها برباط وثيق[(٤)].

٣- أن السورة من القرآن مهما كانت قصيرة فهي محكمة البناء في لفظها ومعناها، كاملة من جميع الوجوه، منتظمة في مقصد واحد مهما تعددت وتفاوتت موضوعاتها وقصصها. ولهذا تحدى الله ﷻ العرب بالسورة من

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/١٢٠.

(٢) الكشاف ١/٢١٩- ٢٢٠.

(٣) مناهل العرفان ١/٣٥٠.

(٤) ينظر: بحث "وحدة النسق في السور القرآنية" ١٤٤.

القرآن، فقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٣).

أي: من مثل هذا القرآن. قاله مجاهد وقتادة، واختاره ابن جرير[١] وابن كثير[٢] بدليل قوله: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ (سورة هود الآية ١٣)، وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[٣] (سورة الإسراء الآية ٨٨).

قال بن عاشور[٤]: "وإنما كان التحدي بسورة ولم يكن بمقدار سورة من آيات القرآن؛ لأن من جملة وجوه الإعجاز أمورًا لا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مستوفى في غرض من الأغراض، وإنما تنزل سور القرآن في أغراض مقصودة"[٥].

---

(١) ابن جرير الطبري أبو جعفر، شيخ المفسرين وإمام في الفقه والقراءات، له: جامع البيان، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار. توفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١٠٦/٢.

(٢) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، الحافظ، المفسر، الفقيه. الدمشقي له: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية. توفي سنة ٧٧٤هـ.

ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١١٠/١.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٦٥/١، ١٦٦، وتفسير القرآن العظيم ١٩٩/١.

(٤) بن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين بتونس، له: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير، توفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام ١٧٤/٦.

(٥) التحرير والتنوير ٣٣٧/١.

٤- أن السورة وحدة متماسكة متكاملة، لا يغني بعضها عن سائرها، ومن ثم لا يحصل الانتفاع بها واستخراج بركاتها وهداياتها، إلا باستيفائها تلاوة وتدبرًا، فآياتها حلقات مترابطة، آخذ بعضها بأعناق بعض[١].

٥- أن تقسيم القرآن الكريم إلى سور وآيات، يدل عل أن لكل سورة مقصد يرجع إليه العباد.

قال الحرَّالي[٢] عن السورة هي: "تمام جملة من المسموع تحيط بمعنى تام، بمنزلة إحاطة السور بالمدينة"[٣] وقال بن عاشور: "السورة قطعة من القرآن مُعَيَّنة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام، ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشيء عن أسباب النزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة"[٤].

٦- أن لتسمية السور دلالة على معانيها والمقصد منها. قال البقاعي عن تلك العلاقة: "وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ

---

(١) ينظر: بحث "وحدة النسق في السور القرآنية ١٤٩.

(٢) الحرالي: أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرّالي المراكشي وحَرَّالة: قرية من أعمال مرسية، اهتم بالأمور العقلية، وسكن حماة، له تفسير ملأه بالاحتمالات وعلم الحروف والأعداد، وصنف في المنطق، توفي سنة ٦٣٧هـ وقيل سنة ٦٣٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٧/٢٣، وطبقات المفسرين للداودي ٣٨٦/١.

(٣) ينظر قوله في نظم الدرر ١٢٣/٩.

(٤) التحرير والتنوير ٨٤/١.

في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب، أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه"(١).

فائدة:

لقائل يقول: كيف يكون للسورة مقصدًا وموضوعًا تجتمع فيه، مع أنها لم تنزل في وقت واحد؟.

ونقول: لقد وضح ذلك الزركشي(٢) نقلًا عن بعض مشايخه المحققين: "قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف"(٣).

كما زاد هذا التوضيح بيانًا محمد عبد الله دراز(٤) بقوله عن السورة "إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/١٨، ١٩.

(٢) الزركشي: محمد بن بهادر الزركشي، أبو عبدالله، فقيه شافعي له: البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه، توفي سنة ٧٩٤هـ. ينظر: الأعلام ٦/٦٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٣٧.

(٤) دراز: محمد بن عبدالله دراز، فقيه مصري أزهري، له: النبأ العظيم، والدين. توفي سنة ١٣٧٧هـ. ينظر: الأعلام ٦/٢٤٦.

لبناته، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة.

أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تدبرت- بُنْيةٌ متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحام. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة، ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا"(١).

ويمكن أن نقول: إن المقصود من ترتيب آي السورة مباين للمقصود من ترتيب النزول، فزمان النزول إنما كان على مقتضى سُنَّة التدرج في تنزيل شرائع الإسلام، ومراعاة حال المخاطبين.

---

(١) النبأ العظيم ٢١٦، ٢١٧.

أما حكمة وضع الآيات المدنية في السور المكية، أو وضع الآيات المكية في السور المدنية فهي: إن هذه الآيات دون غيرها هي التي تخدم مقصود السورة، وتلتئم مع المعنى الذي تدور عليه سائر آياتها(١).

✻✻✻✻

(١) ينظر: بحث: "وحدة النسق في السورة القرآنية" ١٥٢.

المقدمة الثانية

مقاصد السور والمصطلحات المرادفة له

ورد عن السلف وعموم المفسرين عدة مصطلحات وعبارات تدل في مضمونها على مقاصد السور، ومن أبرز تلك المصطلحات:

١- مقصد السورة: (سبق بيانه في المقدمة الأولى).

٢- موضوع السورة: أو الوحدة الموضوعية للسورة، ويمكن تعريفه بأنه: الموضوع الذي تتحدث عنه السورة في الجملة، أو المعنى العام الذي أنزلت السورة من أجله.

٣- المناسبات في السورة: ويقصد به المعنى الذي يربط بين آيات السورة بعضها ببعض. وعن طريقها تعرف علل ترتيب أجزاء السورة[١].

٤- نظام السورة: أن تكون السورة وحدة متكاملة منتظمة، فترتبط آي السورة بعضها ببعض، مما يجعلها مستقلة في نفسها ذات عمود تجري على أجزائها[٢].

٥- عمود السورة: وهو ما تعتمد عليه السورة من موضوع ومقصد.

٦- رباط السورة: وهو ربط الآيات بعضها ببعض.

٧- وحدة النسق القرآني: وهو التحام موضوعات السورة القرآنية وتماسك بنائها، واتساق معانيها لخدمة مقصود واحد[٣].

---

(١) ينظر: مصابيح الدرر ١٢.

(٢) ينظر: دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي ٧٤، ٧٥.

(٣) ينظر: بحث "وحدة النسق في السورة القرآنية ١٣٩.

وكذلك من العبارات: سياق السورة، وهدف السورة، وغرض السورة، وشخصية السورة.

وهذه العبارات كما يلاحظ يوجد بينها تشابه وتقارب، وإن تعددت اختيارات المفسرين في إطلاقها.

****

المقدمة الثالثة

جهود العلماء في بيان مقاصد السور

علم "مقاصد السور" بهذا الاسم لم يكن معروفًا في بداية نشأة التفسير والعصور الأولى للتأليف فيه، إنما أثر عن بعض الصحابة –رضوان الله عليهم– والتابعين –رحمهم الله– بعض الآثار والأقوال والاستشهادات التي تدل على أساس هذا العلم.

ومن ذلك ما أثر عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم"(١). وما قاله عبد الله بن مسعود ﷺ: "إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يفسر آية كذا وكذا؟ فليسأل عما قبله"(٢). وما قاله مسلم بن يسار: "إذا حدثت عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"(٣).

قال البقاعي: "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون"(٤).

---

(١) الأثر رواه أحمد في الزهد ٣٥، والآجري في الشريعة ٧٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ٥٩٢/١.

(٢) الأثر رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٦٥/٣ رقم ٥٩٨٨، وصححه ابن رجب كما في شرح علل الترمذي ٥٥٦/١.

(٣) الأثر أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٣٧٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣١/٧ برقم ٣٥٥٨٨.

(٤) مصاعد النظر للإشراف عل مقاصد السور ١٥٣/١.

والمتتبع لكتب التفسير بالأثر والاجتهاد يجد تفاوتًا بين المفسرين، ما بين متحدث عن المناسبات بين الآيات في السورة الواحدة، وعلاقة ذلك بوحدة السورة، وأنها ذات موضوع واحد(١).

وبين ساكت غير متعرض لذلك بحجة أن الآيات تنزل حسب الوقائع وبما يأمر الله به جبريل النبي ﷺ بأن يضعها في موضعها، وأن ذلك لا يقتضي وجود تناسب بين الآيات(٢).

وطرف ثالث يرى التوسط والاعتدال، بأن كل سورة لها موضوع تدور عليه، وآيها متصلة بما قبلها وما بعدها، ومع ذلك لا يُلْزِم بالتكلف في البحث عن هذا الاتصال والارتباط(٣).

وبالنظر في ذلك نلحظ أن أصحاب الرأي الأول والثالث الخلاف بينهما في الكثرة والقلة، والإلزام وعدمه.

أما أصحاب الرأي الثاني: فلعل تحرجهم بالقول بالمناسبة واستكشافها لما رأوه من أن دراسات البعض جاءت ضعيفة ومتكلفة، ويظهر في بحثهم التمحل في إظهار التناسب بين الآيات. وهذا ناتج عن عدم الالتزام بإيجاد مقصد أو رابط بين الآيات، ليكون كالعمود للسورة تجتمع حوله الآيات.

---

(١) ويمثل هذا الاتجاه: أبو بكر النيسابوري، وابن العربي، وبرهان الدين البقاعي، وجلال الدين السيوطي.

(٢) ويمثل ذلك عزالدين بن عبد السلام، والشوكاني.

(٣) ويمثل ذلك: ابن تيمية، وابن القيم، والزركشي، وبن عاشور.

وفي هذا المبحث سأتعرض -إن شاء الله- لجهود العلماء في بيان مقاصد السور. وجعلتها جهودًا تطبيقية، وجهودًا نظرية.

أولًا: الجهود التطبيقية:

نحا العلماء المفسرون في ذكرهم لمقاصد السور والمناسبات بين آي السورة الواحدة بين الإيجاز والإطناب، القلة والكثرة، وذِكْر ذلك في بعض السور دون بعض. فمن الذين تناولوا ذلك في كتبهم:

١- أبو بكر النيسابوري:

وقد أشار إليه أبو الحسن الشهراباني(١) فيما نقله الزركشي عنه بقوله: "وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قريء عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"(٢).

---

(١) الشهراباني: هو علي بن محمد بن محمد، أبو الحسن البغدادي، المولود في "شهرابان" بلدة شرقي بغداد، له: الدليل الواضح في اقتفاء نهج السلف الصالح. المتوفى سنة ٦٧٢هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ١٤٦٣/٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٦/١.

واختلف المحققون في تحديد شخصيته:

١- فمنهم[١] من قال: إنه عبد الله بن محمد بن زياد الشافعي، المتوفى سنة ٣٢٤هـ[٢].

٢- ومنهم[٣] من قال: إنه محمد بن عبدوس أبو بكر النيسابوري، المتوفى سنة ٣٣٨هـ[٤].

٣- ومنهم من لم يحدد من هو؟ بناء على ما أورده ابن العربي بأنه "عالم واحد" ولم يحدد من هو؛ حيث قال في كتابه "سراج المريدين": " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله ﷻ لنا فيه فلما لم نجد له حَمَلَة ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[٥].

ولعل التوقف في تحديده هو الأوفق مع عدم وجود دليل صريح بذلك، وخاصة أن الشخصيتين المحددتين لم يلحظ عناية لهما بالمناسبات، وذكر أغراض السور[٦].

---

(١) من هؤلاء: محقق البرهان في علوم القرآن/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وتابعه على هذا عموم من كتب في علم المناسبة.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦٥/١٥.

(٣) ذهب إلى هذا: محمد شعباني محقق كتاب "البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير ص ٧٢.

(٤) ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١٩١/٢.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣٦/١، والاتقان في علوم القرآن ١٨٣٧/٥ طبعة مجمع الملك فهد.

(٦) ينظر: بحث "أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية" للدكتور/ عبد الحكيم الأنيس. المنشور في =

٢- ابن بَرَّجان[١]: أبو الحكم عبد السلام بن عبدالرحمن ابن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن الأندلسي الأشبيلي، المفسر الصوفي المتكلم، له: شرح أسماء الله الحسنى. المتوفى سنة ٥٣٦هـ[٢].

ترك تفسيرًا سماه "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم، وتعرف الآيات والنبأ العظيم" المعروف بـ"تفسير ابن برجان"[٣]. ينبه في السورة على غرضها الذي تأسست عليه لا سيما في الربع الأخير من القرآن، ومن العبارات التي يوردها في ذلك: "الغرض الأساسي من السورة" و"تأسيس تنزيل هذه السورة" و"المراد إثباته في هذه السورة".

قال في سورة القمر: "والغرض في هذه السورة: إثبات نبوة محمد ﷺ، وتصحيح رسالته، وأنه في ذلك على سبيل سلوكه للأنبياء والرسل قبله الذين أرسلوا إلى أمم لهم، فعصوهم وأهلكهم الله، وأن موعدهم الساعة، والحض على التذكر والتفكر والاعتبار، وأن العاقبة للمؤمنين والمتقين"[٤].

=

مجلة الأحمدية سنة ١٤٢٣هـ العدد الحادي عشر ص: ٢٠، ٣٠.

(١) تسميته ابن برجان، مخففة من "ابن أبي الرجال"، وأبو الرجال هو جده: محمد بن عبد الرحمن.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٧٢/٢٠، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٥.

(٣) طبع التفسير بتحقيق/ أحمد فريد المزيدي سنة ١٤١٣هـ ونشر دار الكتب العلمية في خمسة مجلدات.

(٤) تفسير ابن برجان ٢٢٧/٥. وينظر: بحث "وحدة النسق في السور القرآنية" ص: ١٦٠ في مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد الثالث ١٤٢٨هـ.

وقال في سورة الحجر: "الغرض المقصود الأول في هذه السورة – والله أعلم- الذكر والتذكير، فابتدأ بقوله جل قوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾ (سورة الحجر الآيات ١- ٥) ثم سرد على ذلك قوله: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ (سورة الحجر الآيتان ٦، ٧) ثم نظم بهذا جميع فصول السورة أو جلها"[١].

فهو كما يلاحظ يرى أن السورة القرآنية لها غرض، فهي وحدة متكاملة ينطلق بناؤها من المحور العام لذلك.

٣- أبو بكر بن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري الأندلسي الأشبيلي المالكي، له: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن، وأنوار الفجر في تفسير القرآن، وقانون التأويل في تفسير القرآن" توفي سنة ٥٤٣هـ[٢].

وهو من المهتمين بوحدة السورة القرآنية وارتباط آياتها ببعض، وألف في ذلك كتابًا، ولما لم يجد إقبالًا عليه أخفاه عن طلابه. وفي ذلك يقول في كتابه "سراج المريدين في سبيل الدين": "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد

---

(١) تفسير ابن برجان ٢٧٢/٣،

(٢) ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠، وطبقات المفسرين للداودي ١٦٢/٢.

عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله ﷻ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"(١).

كما قال عند حديثه عن سورة الأنعام في كتابه "الناسخ والمنسوخ": "والأحكام فيها قليل لعارض بَيَّنا وجهه في "ترتيب آي القرآن" وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه، لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان، وأنه ليس له في هذه الأقطار حفي، فوضعناه في سرب خفي"(٢).

٤- **الفخر الرازي:** محمد بن عمر بن الحسن الرازي، الأصولي المفسر، له: المحصول في أصول الفقه، توفي سنة ٦٠٦هـ(٣).

اهتم في تفسيره "مفاتيح الغيب" أو التفسير الكبير" المطبوع في اثنين وثلاثين جزءًا بالمناسبة بين آيات السورة الواحدة، وبيان موضوعها ووحدتها فقال في آخر سورة البقرة: "من تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته ... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر"(٤)

---

(١) ينظر قوله في البرهان في علوم القرآن ١/٣٦.

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن لابن العربي ٢/٢١٠.

(٣) ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٠، وطبقات المفسرين للسيوطي ١١٥.

(٤) مفاتيح الغيب ٧/١٣٩.

وقال في مقدمة سورة النساء: "اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرأفة بهم، وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة، وهو قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (سورة النساء الآية: ١٧٦) وذكر في أثناء هذه السورة أنواعًا أخر من التكاليف، وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع، لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا، والإله الذي أوجدنا، فلهذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾"(١) (سورة النساء الآية: ١).

وقال في سورة فصلت: "وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة أن المقصود من هذه السورة: هو ذكر الأجوبة عن قولهم ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ (سورة فصلت الآية ٥)، فتارة ينبه على فساد هذه الطريقة، وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن ولمن يعرض عنه، وامتد الكلام إلى هذا الموضع من أول السورة على الترتيب الحسن والنظم الكامل.. ثم قال: بل الحق عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد.. ثم أكد ذلك بقوله: وكل من أنصف ولم يتعسف علم أنّا إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلامًا واحدًا منتظمًا مسوقًا نحو غرض واحد، فيكون هذا التفسير أولى مما ذكروه"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٣٦/٩.

(٢) مفاتيح الغيب ١٣٤/٢٧، ١٣٥.

فيلحظ من كلامه اهتمامه بموضوع السورة، وعلاقة آي السورة بعضها ببعض، وإن كان لم يتتبع كل السور في القرآن الكريم.

٥- الحرّالي: أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرّالي[١] المراكشي، ولد ونشأ بمراكش، وتلقى علومه من علماء المغرب، رحل إلى المشرق واستقر بطرابلس الغرب مدة، ثم انتقل إلى مصر، وبعدها جاور بالمدينة المنورة، ثم عاد إلى المغرب واستقر ببجاية، ثم عاد إلى المشرق مرة أخرى وانتهى به المطاف بمدينة "حماة" من بلاد الشام إلى أن توفاه الله سنة ٦٣٨هـ[٢].

له تفسير لا زال مفقودًا، ويوجد منه بعض النصوص في "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للبقاعي، وقد قام: محمادي عبد السلام الخياطي بجمع نصوص من تفسيره، وطبعها مع ثلاثة من مؤلفاته هي: "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل" و"عروة المفتاح" و"التوشية والتوفية" باسم: "تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير".

قال عنه المناوي[٣]: "وصنف تفسيرًا ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول، وتحار فيه الفحول، وهو

---

(١) الحرّالي نسبة إلى بلدة "حَرّالة" من أعمال "مرسية".

(٢) ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٤٧/٢٣، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٤٦٥/٢.

(٣) المناوي: محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري، له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم منها: كنوز الحقائق، شرح الجامع الصغير، وفيض القدير. توفي سنة ١٠٣١. ينظر: الأعلام ٢٠٤/٦.

رأس مال البقاعي، ولولاه ما راح ولا جاء، ولكنه لم يتمَّ، ومن حيث وَقَفَ وقَفَ حالُ البقاعي في مناسباته"[١].

فمن خلال هذا النص يتبين أنه المرجع الأول للبقاعي في "نظم الدرر" فهو مليء بالنقل عنه.

وأشار البقاعي نفسه إلى إفادته منه حيث قال: "وانتفعت في هذا الكتاب –يقصد نظم الدرر– كثيرًا بتفسير على وجه كلي للإمام الرباني أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي– بمهملتين مفتوحتين ومد وتشديد اللام– المغربي نزيل حماة من بلاد الشام سماه "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل" وكتاب "العروة لهذا المفتاح" يذكر فيه وجه إنزال الأحرف السبعة وما يحصل به قراءتها، وكتاب "التوشيه والتوفية" في فصول تتعلق بذلك، وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوًا إليه في مواضع تليق به، ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءًا من تفسيره فيه من أوله إلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ في (آل عمران الآية ٣٣). فرأيته عديم النظر، وقد ذكر فيه المناسبات، وقد ذكرت ما أعجبني منها، وعزوته إليه"[٢].

٦– المرْسي: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي الأندلسي، المفسر المحدث النحوي، أصله من "مُرْسية" في الأندلس رحل إلى

---

(١) الكواكب الدرية ٢/٤٦٥.

(٢) نظم الدرر ١/١٠.

كثير من البلاد الإسلامية. له: الضوابط النحوية في علم العربية، وتفسير القرآن سماه "رِيُّ الضمآن في تفسير القرآن" توفي سنة ٦٥٥هـ[١].

قال عن تفسيره ياقوت الحموي[٢]: "كبير جدًا، قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض"[٣].

٧- ابن النقيب: محمد بن سليمان بن الحسن البلخي، مفسر حنفي، أصله من "بلخ"، له: تفسير سماه "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير". توفي سنة ٦٩٨هـ[٤].

قال البقاعي في مقدمة تفسيره: "وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذُكر لي أن تفسير ابن النقيب الحنفي، وهو في نحو ستين مجلدًا، يذكر فيه المناسبات، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه، فطلبت منه جزءًا، فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها، وإلى القصص لا جميع آياتها"[٥].

---

(١) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ٣١٢/٢٣، ومعجم الأدباء ٢٥٤٥/٦، وطبقات المفسرين للداودي ١٦٨/٢، ويظهر أن تفسيره لازال مخطوطًا، ويوجد منه جزء مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس من سورة سبأ إلى سورة الإنسان رقم ٨١/١.

(٢) ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله، مؤرخ، ومن العلماء باللغة والأدب له: معجم البلدان، ومعجم الأدباء. توفي سنة ٦٢٦. ينظر: الإعلام ١٣١/٨.

(٣) معجم الأدباء ٢٥٤٧/٦.

(٤) ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداودي ١٤٤/٢، والأعلام ١٥٠/٦.

(٥) نظم الدرر ١٠/١.

والكتاب يقوم بتحقيق الأجزاء المتوفرة منه اثنا عشر باحثًا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٨- ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي[1] الغرناطي، المحدث، النحوي، الأصولي، المفسر، المقرئ، له: "البرهان في ترتيب سور القرآن"[2]، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل". المتوفى سنة ٧٠٨هـ[3].

وفي كتابه "البرهان" خصه لبيان المناسبة بين سور القرآن الكريم، وقد استفاد منه البقاعي الذي قال عنه: "وطالعت على ذلك كتاب العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي المعلم بـ"البرهان في ترتيب سور القرآن"، وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه للآيات، وسأذكر في أول كل سورة ما قاله فيها بلفظه"[4].

ومما ينبه عليه أن ابن الزبير بنى التناسب بين السور على تلاحم مقاصدها وارتباط بعضها ببعض فقد قال في مقدمته: "وإني تأملت منها - بفضل الله -

---

(١) الثقفي: نسبة إلى بني ثقيف، وهو من أبناء العرب الراحلين إلى الأندلس.

(٢) طبع "البرهان" طبعتين وبتحقيقين. الطبعة الأولى: باسم "البرهان في تناسب سور القرآن" بتحقيق: د. سعيد الفلاح، سنة ١٤٠٨هـ والطبعة الثانية: باسم "البرهان في ترتيب سور القرآن" بتحقيق أ. محمد شعباني سنة ١٤١٠هـ.

(٣) ينظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء ٣٢/١، وطبقات المفسرين للداودي ٢٦/١، والأعلام ٢٩/١.

(٤) نظم الدرر ٦/١.

وجوه ارتباطاته وتلاحم سوره وآياته إلى ما يلتحم مع هذا القبيل من عجائب شواهد التنزيل، فعلقت في ذلك ما قدر لي، ثم قطعت بي قواطع الأيام عن تتميم رومي من ذلك وعملي، فاقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على توجيه ترتيب السور، وإن لم أر في هذا الضرب شيئا لمن تقدم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع متفرقات، وذلك في الباب أوضح، ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح. أما تعلق السور على ما ترتب في الإمام، واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يتعرض له فيما أعلم، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم(١).

ومما أورده في كتابه عند بيانه لسورة النساء حيث قال: "لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق، وإيجاد آدم -عليه السلام- من غير أب ولا أم. وأعقبت بسورة آل عمران لتضمنها مع ما ذكر في صدرها أمر عيسى -عليه السلام-، وأنه كمثل آدم في عدم الافتقار إلى أب، وعلم الموقنون من ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت فيمن بعد آدم -عليه السلام-، فكان سائر الحيوان لا يتوقف على أبوين، أو كأن يكون كعيسى -عليه السلام- لا يتوقف إلا على أم فقط. أعلم سبحانه أن من عدا المذكورين عليهم السلام من ذرية آدم سبيلهم سبيل الأبوين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾" (سورة النساء الآية ١) ثم قال: "وتضمنت السورة ابتداء الأمر وانتهاءه... ثم قال: ولأن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف ورعي حقوق ذوي الأرحام، وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت، وناسب هذا المقصود

---

(١) البرهان في ترتيب سور القرآن ١٨٠، ١٨١، تحقيق: شعباني. والبرهان تحقيق الفلاح ٧١، ٧٢.

من التواصل والألفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (سورة النساء الآية ١)"[١]. إلى آخر ما ذكره من ارتباط آي السورة بعضها ببعض.

٩- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية. برع في شتى العلوم، له تصانيف أوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة مجلد. توفي سنة ٧٢٨هـ[٢].

وفي فتاواه ورسائله وكلامه في تفسير القرآن اهتمام بالغ في العناية بالنظرة العامة للسورة، وما اشتملت عليه، وتناسب معانيها، وارتباط آيات السورة الواحدة بما قبلها وما بعدها.

فقال بعد أن بين ما اشتملت عليه سورة البقرة: "فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض"[٣].

وقال عند تفسيره لسورة هود: "فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج. وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين"[٤].

---

(١) البرهان في ترتيب سور القرآن ١٩٨، ١٩٩.

(٢) ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة ١/١٤٤، والبداية والنهاية ١٤/١٣٥، العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن قدامة.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٤/٤٦.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٩٤.

ومن أمثلة ما ذكره في مقصود بعض السور ما يلي: فقال عن سورة الفاتحة: "أم القرآن المقسومة بين الرب والعبد: نصفها ثناء للرب ونصفها دعاء للعبد"(١).

وقال عن سورة البقرة: "وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه "سورة البقرة" من: تقرير أصول العلم وقواعد الدين". ثم بَيَّن ما اشتملت عليه السورة(٢).

وقال عن سورة المائدة: "سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم، والأمر والنهي؛ ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «هي آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها»(٣)"(٤).

وقال عن سورة مريم: "سورة مريم مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده، وأن خواص الخلق هم عباده"(٥).

وقال عن سورة طه: "سورة طه مضمونها: تخفيف أمر القرآن، وما أنزل الله تعالى من كتبه"(٦).

وقال عن سورة الأنبياء: "سورة الأنبياء: سورة الذكر"(٧).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/٤٧٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٤/٤١.

(٣) الأثر موقوف على عائشة وعبد الله بن عمرو بن العاص ﭬ كما أورده الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشاف ١/٣٧٧.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٤/٤٤٨.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٢٣٠.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٢٣٧.

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٢٦٥.

وقال عن سورة الإخلاص: "ففي الإخلاص: الثناء على الله"[(١)].

وقال عن المعوذتين: "وفي المعوذتين: دعاء العبد ربه ليعيذه، والثناء مقرون بالدعاء"[(٢)].

١٠- ابن القيم: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المشهور بـ"ابن قيم الجوزية". فقيه، محدث، مفسر، كان والده قيّمًا على "المدرسة الجوزية الحنبلية"، كان ابن تيمية أحد أبرز شيوخه، له: إعلام الموقعين عن رب العالمين، بدائع الفوائد، زاد المعاد في هدي خير العباد. وغيرها. توفي سنة ٧٥١هـ[(٣)].

جُمِع تفسيره من كتبه، وطبع في ثلاث طبعات هي:

١- التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع وتحقيق: محمد حامد الفقي في مجلد واحد سنة ١٣٩٨هـ.

٢- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه: يسري السيد محمد، في خمسة مجلدات، سنة ١٤١٤هـ.

٣- الضوء المنير على التفسير، جمعه: علي الحمد الصالحي في ستة مجلدات سنة ١٤١٥هـ.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٧٨/١٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٧٨/١٦.

(٣) ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤٠٠/٣، والبداية والنهاية ٢٣٤/١٤، طبقات المفسرين للداودي ٩٠/٢.

وقد اعتنى ابن القيم ببيان النظرة العامة للسورة، مع أنه لم يؤلف تفسيرًا مستقلًا.

ومما قاله في سورة الفاتحة: "اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن.

فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء" ثم قال: "وبنيت السورة على الألوهية والربوبية والرحمة" ثم قال: "وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها" ثم قال: "وتضمنت إثبات النبوات"[(١)].

وقال في تفسيره لسورة الكافرون: "مقصود السورة براءته ﷺ من دينهم ومعبودهم"[(٢)].

وقال بعد تفسيره للمعوذتين: "فسورة الفلق: تضمنت الاستعاذة من الشر، الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد. وهو شر من خارج.

وسورة الناس: تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه. وهو شر من داخل".

ثم قال: "فسورة الفلق: تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات".

وسورة الناس: تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة"[(٣)].

---

(١) بدائع التفسير ١١٤/١.

(٢) بدائع التفسير ٣٥٣/٥.

(٣) بدائع التفسير ٤٤٢/٥.

١١- الفيروز آبادي[١]: محمد بن يعقوب أبو طاهر مجد الدين الشيرازي، أحد أئمة اللغة والأدب، والحديث والتفسير. له: القاموس المحيط، والمغانم المطابة في معالم طابة، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز[٢]. توفي في زبيد سنة ٨١٧هـ[٣].

وكتابه "بصائر ذوي التمييز" اعتنى فيه ببيان مفردات القرآن، وبعض علومه، وما يتعلق بالقرآن نفسه، ومن ضمن ذلك ذِكْره لسور القرآن سورةً سورة، ويذكر في كل سورة تسعة مباحث، السادس منها: مقصود السورة، وما هي متضمنة له، ويركز فيه على ما اشتملت عليه السورة من موضوعات، فمثلًا في سورة الدخان قال: "مقصود السورة: نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفَّار، وحديث موسى وبنى إسرائيل وفرعون، والرّد على منكري البعث، وذلّ الكفار في العقوبة، وعزّ المؤمنين في الجنَّة، والمنَّة على الرّسول بتيسير القرآن على لسانه في قوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ (سورة الدخان الآية ٥٨)"[٤].

وقال في سورة الزلزلة: "مقصود السّورة: بيان أَحوال القيامة وأَهوالها، وذكر جزاءِ الطَّاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأَعمال في ميزان العَدْل في قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ

(١) الفيروزآبادي: نسبة إلى مدينة "فيروز آباد" جنوب شيراز. وآباد: كلمة فارسية معناها بلدة أو مدينة.

(٢) مطبوع في ستة مجلدات.

(٣) ينظر ترجمته في: البدر الطالع ٢/٢٨٠، ومقدمة بصائر ذوي التمييز ١-٢٧.

(٤) بصائر ذوي التمييز ١/٤٢٤.

﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (سورة الزلزلة الآيتان ٧، ٨)"[١].

وقال في سورة العصر: "مقصود السّورة: بيان خسران الكفّار والفجّار، وذكر سعادة المؤمنين الأَبرار، وشرح حال المسلم الشكور الصبّار"[٢].

١٢- البقاعي: إبراهيم بن عمر الرُّباط، برهان الدين أبو الحسن، أصله من البقاع في بلاد الشام، برز في علم التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وله في كل علم عدد من المؤلفات. توفي في دمشق سنة ٨٨٥هـ[٣].

والبقاعي من أشهر العلماء المهتمين بعلم المناسبات بين السور مع بعضها، وبين الآيات في السورة الواحدة، مما يعطي أهمية كبيرة للوحدة الموضوعية للسورة، وألف في ذلك كتابه المشهور "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"[٤]. قال في مقدمته: "فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال. وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة"[٥].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٣٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٢.

(٣) ينظر ترجمته في: الضوء اللامع ١/٢٧٤، ومقدمة مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/٣١- ٦٩.

(٤) اختصره في كتاب آخر سماه "أدلة البرهان القويم في تناسب آي القرآن العظيم".

(٥) نظم الدرر ١/٦.

كما ألف كتابًا خاصًا عن مقاصد السور سماه: "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"(١)، وذكر أنه يمكن أن يسمى "المقصد الأسمى في مطابقة إسم كل سورة للمسمى". بدأه بالحديث عن فضائل القرآن، وما يتعلق بنظم القرآن، ثم تحدث عن كل سورة من سور القرآن من حيث: نزولها، وأسمائها، وعدد آياتها، ثم مقصود السورة والربط بينه وبين اسمها.

قال في مقدمته: "فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه. وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرًّا. فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"(٢).

---

(١) طبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق د/ عبد السميع محمد أحمد حسنين.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١٤٩/١.

وقد عرض في كتابه سور القرآن الكريم كاملة، وبين في كل سورة: اسمها أو أسماؤها، وعدد آياتها، ثم مقصودها ووجه ذلك، ومناسبة الاسم لمقصودها، وفضائلها.

ومن الأمثلة في مقصود السور عنده:

ما ذكره في مقصود سورة آل عمران حيث قال: "ومقصودها: التوحيد"(١) ثم علل ذلك.

وقال عند بيانه لسور الملك: "ومقصودها: الخضوع للهِ، لاتصافه بكمال الملك، الدال عليه تمام القدرة، الدال عليه قطعاً إحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه مع إحكام المصنوعات، علم ما في الصدور، لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هي عادة الملوك، لتكمل الحكمة، وتتم النعمة.

واسمها "الملك" واضح في ذلك، لأن الملك محل الخضوع، من كل ما يرى الملك. وكذا "تبارك" لأن من كان كذلك، كان له تمام الثبات والبقاء، فكان له من كل شيء كمال الخضوع والاتقاء. وكذا اسمها: المانعة، والواقية، والمنجية. لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة ومن لزمها نجا مما يخاف، ومنع من كل هول، ووقى كل محذور"(٢).

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٦٧/٢.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١٠٣/٣.

وقال في سورة البينة: "ومقصودها: الإعلام بأن هذا الكتاب القيِّم، من علو مقداره، وجليل آثاره، إن كان لقوم نُوراً وهدى، فهو لآخرين وَقْراً وعمى. فيقود إلى الجنة دار الأبرار، ويسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار.

وفي ذلك دل كل من أسمائها: "الذين كفروا"، "والمنفكين"، "والبرية"، بتأمل الآية في انقسام الناس إلى أهل الشقاوة، وأهل الهداية.

و"القَيِّمة": بانقسام أهل الدعوة فيها بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة"(١).

وقال في سورة القارعة: "ومقصودها: إيضاح: يوم الدين، بتصوير أحواله، وتقسيم الناس فيه إلى ناج وهالك.

واسمها "القارعة" واضح في ذلك"(٢).

١٣- محمد رشيد رضا: محمد رشيد بن علي رضا، القلموني المولد، البغدادي الأصل، من العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. وأحد تلامذة الشيخ محمد عبده، وصاحب مجلة المنار. توفي سنة ١٣٥٤هـ(٣).

له: تفسير القرآن الحكيم، الشهير بـ"تفسير المنار"، وأصله دروس لشيخه محمد عبده ألقاها في الأزهر، فلخصها محمد رشيد رضا وزاد عليها، وانتهى فيه إلى الآية الحادية بعد المائة من سورة يوسف، وطبع في اثني عشر مجلدًا. وفيه يشير إلى وحدة

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٣/٢٢٠.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٣/٢٤٠.

(٣) ينظر ترجمته في: الأعلام ٦/١٢٦.

السور، وأنها منتظمة في موضوع واحد، ويقدم لكل سورة خلاصتها وأهم ما تناولته.

فمثلًا قال في سورة الفاتحة: "والفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن، وكل ما فيه تفصيل للأصول التي وضعت فيها"(١).

وقال عند تفسيره لسورة البقرة: "إن التفنن في مسائل مختلفة منتظمة في سلك موضوع واحد هو من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المدهشة التي لم تسبق لبليغ، ولن يبلغ شأوه فيها بليغ" ثم قال: "والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه، وحسن اتساقه في سبكه، فهو دائر على قطب واحد في فلكه، وهو الكتاب، والمرسل به، وحاله مع المرسل إليهم"(٢).

وقال في آخر سورة النساء: "وهذا هو ختم هذه السورة الحكيمة التي بَيَّن الله فيها أصول الحكومة الإسلامية، وأهم فرائضها وأحكامها، وناهيك بأحكام النساء، والأهل، والمواريث، والنكاح، وحقوق الزوجية، والإيمان، والشرك، والتوبة، والقتال، وشؤون المنافقين، وأهل الكتاب ودحض شبهاتهم، فهي أعظم السور الطوال فوائد وأحكامًا وحججًا"(٣).

---

(١) تفسير المنار ٣٥/١.

(٢) تفسير المنار ٢٨٩/١.

(٣) تفسير المنار ١١٥/٦.

وقال في أول سورة المائدة: "معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنصارى، مع شيء من ذكر المنافقين والمشركين"(١).

وفي سورة الأنعام عن السور الطوال والتناسب بينها قال:

"سورة البقرة أجمع سور القرآن لأصول الإسلام وفروعه" ثم قال: "والسور الطوال بعدها متممة لما فيها، فالثلاث الأولى منها مفصلة لكل ما يتعلق بأهل الكتاب.

ولكن البقرة أطالت في محاجة اليهود خاصة، وسورة آل عمران أطالت في محاجة النصارى في نصفها الأول، وسورة النساء في أواخرها، واشتملت في أثنائها على بيان شؤون المنافقين مما أجمل في سورة البقرة.

ثم أتمت سورة المائدة محاجة اليهود والنصارى فيما يشتركان فيه وفيما ينفرد كل منهما به.

ولما كان أمر العقائد هو الأهم المقدم في الدين، وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين، قدمت السور المشتملة على محاجتهم بالتفصيل، وناسب أن يجيء بعدها ما فيه محاجة المشركين بالتفصيل.

وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها، فهي متممة لشرح ما في سورة البقرة مما يتعلق بالعقائد.

---

(١) تفسير المنار ٦/١١٧.

وجاءت سورة الأعراف بعدها متممة لما فيها ومبينة لسنن الله تعالى في الأنبياء المرسلين وشؤون أممهم معهم وهي حجة على المشركين وأهل الكتاب جميعًا"(١).

وقال في مقدمة سورة يوسف: "فسورة يونس موضوعها: أصل الدين وهو: توحيد الألوهية والربوبية، وإثبات الوحي والرسالة بإعجاز القرآن والبعث والجزاء وهي من الحكمة.

وهذه -يعني سورة يوسف- موضوعها: قصة نبي كريم تقلب في أطوار كثيرة، كان قدوة وأسوة حسنة فيها كلها، فالبيان بها أخص"(٢).

١٤- المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من مركز "المراغة" في محافظة سوهاج. توفي سنة ١٣٧١هـ(٣).

له: تفسير المراغي في ثلاثين جزءًا بعشر مجلدات، يذكر في ختام كل سورة وأحيانًا في أولها: أهم موضوعاتها التي وردت فيها، وتختلف عناوينه في ذلك:

ففي آخر سورة البقرة قال: "خلاصة ما في هذه السورة"(٤).

وفي أول سورة النساء قال: "ماحوته السورة من الموضوعات"(٥).

---

(١) تفسير المنار ٧/٢٨٨.

(٢) تفسير المنار ١٢/٢٥١.

(٣) ينظر ترجمته في: الأعلام ١/٢٥٨.

(٤)تفسير المراغي ٣/٨٩.

(٥) تفسير المراغي ٤/١٧٣.

وفي آخر سورة المائدة قال: "إلمامة بما تضمنته السورة من التشريع والأحكام الاعتقادية والعملية"(١).

وفي آخر سورة الحشر قال: "خلاصة ماحوته السورة الكريمة من المقاصد والأغراض"(٢).

وفي آخر سورة المطففين والإنشقاق وغيرهما قال: "مقاصد السورة"(٣).

١٥- بن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الفقيه، الأصولي، المفسر، اللغوي، له: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تولى الإفتاء في الديار التونسية. توفي سنة ١٣٩٣هـ(٤).

ترك تفسيرًا للقرآن سماه "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، في تفسير الكتاب المجيد" ثم اختصره باسم "التحرير والتنوير من التفسير"(٥).

وقد كانت له عناية خاصة بذكر أغراض كل سورة، فقد قال في مقدمته: "ولم أغادر سورة إلا بينت ما أُحيطُ به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته، ومعاني جمله، كأنها فِقَرٌ متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله(٦).

---

(١) تفسير المراغي ٦٧/٧.

(٢) تفسير المراغي ٥٩/٢٨.

(٣) تفسير المراغي ٨٦/٣٠، ٩٦.

(٤) ينظر ترجمته في: الأعلام ١٧٤/٦.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٨/١، ٩.

(٦) التحرير والتنوير ٨/١.

وقد التزم ذلك في مقدمة كل سورة ببيان أغراضها، حتى يأتي إلى غرض السورة الأساس.

فقال في سورة "يس" بعد أن ذكر أغراضها: "فقامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القدر، وعلم الله، والحشر، والتوحيد، وشكر النعم"، ثم قال: "فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى «قلب القرآن» لأن من تقاسيمها تتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وَتِينها ينصبُّ مجراها"(١).

وقال في سورة الزمر: "ابتدأت هذه السورة بما هو كالمقدمة للمقصود، وذلك بالتنويه بشأن القرآن تنويهًا تكرر في ستة مواضع من هذه السورة لأن القرآن جامع لأغراضها(٢).

وقال في سورة محمد: "معظم ما في هذه السورة التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد"(٣).

١٦- الخطيب: محمد بن كمال بن أحمد الخطيب، عالم، وداعية، ومحامي، ولد بدمشق سنة ١٣٣٢هـ، ساعد في تأسيس عدد من الجمعيات الخيرية، وتولى

---

(١) التحرير والتنوير ٣٤٤/٢٢.

(٢) التحرير والتنوير ٣١٢/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ٧٢/٢٦.

إدارة مجلة "التمدن" الإسلامية، له: الحج على المذاهب الأربعة، ودراسات قرآنية، توفي سنة ١٤٢١هـ[١].

ترك كتابًا حول سور القرآن سماه: "نظرة العجلان في أغراض القرآن"، ويهدف إلى إبراز وحدة موضوع السورة، وتناسب أغراضها، وآياتها.

قال في مقدمته: "إن السورة الواحدة تلاحظ فيها غايات ثلاث:

أولاها: موضوع تدور حوله.

ثانيها: مؤمن يُتحدث إليه بما فيه هدايته.

ثالثها: مقتضى حال يدور بين أسباب النزول وداعية القول".

ثم قال: "والمعاني بين آية وآية يتمم بعضها بعضًا بحسب المقاصد الآنفة" ثم قال "وفي هذا ما يكشف عن وحدة الموضوع في السورة انكشافها في القرآن جملة بأغراض محدودة واضحة مفصلة، تسلسل بين آية وآية، كما يحكم الصلة بين كلمة وكلمة، وتجلي ما يغمض لأول وهلة من تناسب الآيات في السورة الواحدة، أو يبدو في كلمات من آية تتنقل من معنى لآخر بينهما المناسبة"[٢].

وقال في مقصود سورة الفاتحة: "هذه هي السبع المثاني، وهي بجملتها سورة الخالق والمخلوق"[٣].

---

(١) ينظر في ترجمته: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين ١٧٠.

(٢) نظرة العجلان في أغراض القرآن ٥.

(٣) نظرة العجلان في أغراض القرآن ٧.

وقال في مقصود سورة الأعراف: "فسورة الأعراف تقوم على معنى الإنذار، وتبليغ الدعوة، وما في ذلك من حياة طيبة. وهذا هو موضوعها بدءًا وخاتمة وما بين ذلك"(١).

وقال في سورة هود: "فهي سورة العبادة، والدعوة إليها، وما يكون من إقبال عليها، أو صدود عنها من كفر وإيمان"(٢).

وقال في سورة الدهر: "وهذه السورة بموضوعها تتناول الإنسان في وجوده، ومشيئته، وعمله، وحسابه، وتذكرته، وموقف الإنسان الأكمل ﷺ من أداء هذه التذكرة"(٣).

١٧- عبدالله محمود شحاته: عالم معاصر تخرج في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، قسم الدراسات الإسلامية، ودرّس فيها بعد أن حصل على الدكتوراة عام ١٩٦٨م، ثم تفرغ لتفسير سور القرآن ولكنه توفي قبل أن يتمه بعد أن وصل إلى الجزء السادس والعشرين. وكانت وفاته سنة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢م.

له كتاب في مقاصد السور بعنوان: "أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم" مطبوع في أربعة مجلدات بالهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م. حاول فيه مؤلفه أن يبين أهداف السور ومقاصدها، مع بيانه لبعض الأحكام والآداب التي اشتملت عليها.

---

(١) نظرة العجلان في أغراض القرآن ٣٦.

(٢) نظرة العجلان في أغراض القرآن ٥٢.

(٣) نظرة العجلان في أغراض القرآن ٢٥٣.

قال في مقدمته: "ويخطئ من يظن أن وحدة الموضوع للسورة تعني أن السورة موضوع مستقل، أو فصل في باب، أو مبحث في كتاب.

وهناك فارق كبير بين طريقة القرآن، وطريقة التأليف عند الناس.

القرآن كتاب هداية يسلك إلى النفوس طريقها، ويتخولها بالموعظة بين الحين والآخر، ولكنه جعل لكل سورة موضوعًا غالبًا عليها، وسمات بارزة فيها"[١].

وقال: "إن هذه الدراسة تحاول أن تقدم كل سورة من سور القرآن في صورتها العامة، وأفكارها الرئيسية، وتحاول أن تكتشف الروح الذي يسري بين آياتها، ويسيطر على مبادئها وتوجيهاتها"[٢].

ثم شرع في بيان الأهداف العامة لكل سورة، فمثلًا في سورة الأنعام قال: "إن الأغراض الرئيسية التي استهدفتها هذه السورة الكريمة هي: تركيز العقائد الأساسية الثلاث التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها. وهذه العقائد الأساسية وهي:

أولًا: توحيد الله، ويتصل بهذا إقامة الدليل على وحدة الألوهية، تلفت النظر إلى آثار الربوبية.

ثانيًا: الإيمان برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل..

ثالثًا: الإيمان باليوم الآخر"[٣].

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ٦.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ٨.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ٧٨، ٧٩.

وقال في سورة الأعراف: "وموضوع السورة الرئيسي هو الإنذار، إنذار من يتولون غير الله، ومن يكذبون بآيات الله، ومن يستكبرون عن طاعة الله، ومن ينسون الله، ومن لا يشكرون نعمته"[١].

وبعد: فهذه أهم الجهود التطبيقية لمقاصد السور، وهي تتفاوت من مفسر لآخر. وقد قدمتها على الجهود النظرية، باعتبار أنها بدأت قبل التنظير لهذا العلم والتأسيس له.

****

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ٩٢.

ثانيًا: الجهود النظرية:

اتجه بعض العلماء إلى دراسة مقاصد وأغرض ومناسبات السور دراسة نظرية، ببيان هذا العلم نظريًا والتمثيل له. ويمثل هؤلاء:

١- ولي الدين الملوي: محمد بن أحمد بن إبراهيم ولي الدين الملوي الشافعي الدمشقي، المعروف بـ المنفلوطي وبـ ابن خطيب ملوى. برع في التفسير، والفقه، والأصول، والتصوف. قالوا: له تواليف بديعة الترتيب. توفي سنة ٧٧٤هـ[١].

وقد ورد عنه دفاعه عن المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، وتوهيمه لمن لم يقل بذلك، معللًا ذلك بأن ترتيب الآيات في السور، وإن كانت متفرقة في النزول، فإن ترتيبها في المصحف حسب ما هو في الكتاب المكنون، فقال: "قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها، لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقًا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر فإنه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (سورة هود الآية ١). والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكَمِّلَة لما

---

(١) ينظر في ترجمته: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/٣٩٥، طبقات المفسرين للداودي ٢/٥٨.

قبلها أو مستقلة. ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"(١).

٢- الشاطبي(٢): أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الأصولي، المفسر، الفقيه، المحدث، اللغوي، له: الموافقات، والاعتصام. توفي سنة ٧٩٠هـ(٣).

والشاطبي يرى أن السورة وإن تعددت قضاياها فهي باعتبار النظم كلام واحد متصل من أوله إلى آخره. قال: "وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات. فاعتبار جهة النظم مثلًا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود. كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها.

فسورة البقرة مثلًا كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها: ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها: ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها: ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير

---

(١) ذكر قوله الزركشي، وصدره بقوله: قال بعض مشايخنا المحققين". البرهان في علوم القرآن ٣٧/١.
وذكره البقاعي، وعقب عليه بقوله: والشيخ المشار إليه هو: العارف ولي الله –وفي نسخة أخرى ولي الدين– محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي. ذكر ذلك في كلام مفرد على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٦٥). نظم الدرر ٨/١، ٩. كما ذكره السيوطي في الإتقان ١٨٣٨/٥. طبعه مجمع الملك فهد.

(٢) الشاطبي: نسبة إلى "شاطبة" بلدة في الأندلس. معجم البلدان ٣٠٩/٣.

(٣) ينظر في ترجمته: نيل الابتهاج للتنبكتي ٤٦.

الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها: الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك"[١].

ويقرر أن كل سورة من سور القرآن مشتملة على وحدة واحدة تتعلق بالنظم، وهو مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني. فقال عن سورة البقرة: "سورة البقرة وهي التي قررت قواعد التقوى"[٢].

وقال عن سورة الأنعام: "سورة الأنعام فإنها نزلت مبينة لقواعد العقائد في أصول الدين"[٣].

وقال عن سورة المؤمنون: "وسورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت على معاني كثيرة، فإنها من المكيات، وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو: الدعاء إلى عبادة الله تعالى..".

وختم الكلام بقوله: "ومن أراد الاختبار في سائر سور القرآن فالباب مفتوح، والتوفيق بيد الله، فسورة المؤمنين قصة وحدة في شيء واحد"[٤].

٣- الزركشي: أو عبد الله بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، المصري، العالم، الفقيه، الأصولي، المحدث، المفسر، له: البرهان في علوم القرآن،

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة ٣/٣١٠، ٣١١.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة ٣/٣٠٥.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة ٣/٣٠٤.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة ٣/٣١١، ٣١٤.

والبحر المحيط في أصول الفقه، وإعلام الساجد في أحكام المساجد... وغيرها. توفي سنة ٧٩٤هـ[١].

وقد خص وحدة السورة وغرضها والمناسبة بين آياتها في النوع الثاني في كتابه: "البرهان في علوم القرآن، وسماه "معرفة المناسبة بين الآيات".

قال فيه "واعلم أن المناسبة علم شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول" وقال: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٢].

كما يرى أن المناسبة هي المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول[٣].

وفي النوع الرابع عشر الذي جعله بعنوان: "معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها" نقل عن بعض الأئمة مقصود بعض السور فقال: "قال بعض الأئمة: وسورة الفاتحة: تضمنت الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية.

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين.

وآل عمران مكمِّلة لمقصودها.

فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم..

---

(١) ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداودي ١٥٨/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٥/١، ٣٦.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن. ٣٤/١.

وأما سورة النساء: فتتضمن جميع أحكام الأسباب التي بين الناس.

وأما المائدة: فسورة العقود، وبهن تمام الشرائع، قالوا: وبها تم الدين، فيه سورة التكميل"[١].

٤- أبو الفضل المشدالي: محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي، أحد علماء "مشدالة" وهي بلدة في الجزائر، كان بارعًا في المنطق والفقه والتفسير والأصول، وهو أحد شيوخ البقاعي، وترجم له في كتابه "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأعيان" قائلًا: "الإمام العلامة نادرة العصر، وأعجوبة الزمان، وهو العمدة في الخوض في المناسبات التي خولف في شأنها"[٢].

ويوجد بعضًا من كلامه في المناسبات وأغراض السور في كتاب البقاعي "نظم الدرر".

وقد وضع قاعدة في المناسبات وكيفية معرفتها استفاد منها تلميذه البقاعي، حيث قال عنه وعنها:

"قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي، علامة الزمان، سقى الله عهده سحائب الرضوان، وأسكنه أعلى الجنان: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو: أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦٠، ٢٦٢.

(٢) ينظر ترجمته في: عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأعيان للبقاعي، والضوء اللامع ٩/١٨٦.

المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلًا بين كل آية وآية، في كل سورة وسورة، والله الهادي. انتهى. ثم قال البقاعي: "وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب: أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه"(١).

٥- جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر الخضيري الأسيوطي – نسبة إلى مدينة أسيوط في صعيد مصر-، عالم موسوعي في التفسير، والحديث، والتاريخ، واللغة، والفقه، والأدب، له قُرابة ستمائة مصنف، ومنها: الاتقان في علوم القرآن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والأشباه والنظائر في الفقه، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. توفي سنة ٩١١هـ(٢).

ومما صنفه السيوطي حول هذا الموضوع الكتب التالية:

١- أسرار التنزيل، جمع فيه مناسبات السور والآيات.

٢- تناسق الدرر في تناسب السور، وهو ملخص لأسرار التنزيل، وخصه لمناسبات السور.

---

(١) نظم الدرر ١/١٧، ١٩.

(٢) ينظر ترجمته في: حسن المحاضرة ١/٣٣٨، ٣٣٩.

٣- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، وغلب عليه المناسبات بين فواتح السور وخواتيمها.

٤- الإتقان في علوم القرآن، عقد فيه مبحثًا في المناسبات بعنوان: "مناسبة الآيات والسور"(١)، بين فيه من أفرده بالتأليف، وأهمية هذا العلم، كما ذكر أن فائدة ذلك يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء(٢).

كما نقل القاعدة التي ذكرها المشدالي دون أن يصرح باسمه، مكتفيًا بقوله: "قال بعض المتأخرين"(٣).

٦- **الفراهي:** عبد الحميد بن عبد الكريم حميد الدين الأنصاري الفراهي، المولود في قرية "فريها" بالهند، له: أساليب القرآن، وإمعان في أقسام القرآن، والتكميل في أصول التأويل، ودلائل النظام، ومفردات القرآن، ونظام القرآن وغيرها. توفي سنة ١٣٤٩هـ(٤).

ألف كتابه "دلائل النظام" لإقامة الحجة على وجود النظام، ويقصد به الوحدة الموضوعية لكل سورة من سور القرآن، وبيان الطرق التي تهدي إلى نظام السورة.

---

(١) النوع الثاني والستون.

(٢) ينظر: الاتقان في علوم القرآن ٣/٣٦٩، ٣٧١.

(٣) الاتقان في علوم القرآن ٣/٣٧٦.

(٤) ينظر ترجمته في: مقدمة مفردات القرآن لمحمد أجمل الإصلاحي ١٣- ٤١.

ويرى أن النظام ليس كعلم المناسبة الذي يقتصر على ذكر المناسبات بين الآيات أو بين السور، إذ يقول: "قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور، وأما الكلام في نظام القرآن، فلم أطلع عليه. والفرق بينهما: أن التناسب إنما هو جزء من النظام. فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض، لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا مستقلًا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئًا واحدًا، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالهما، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها"(١).

ثم قال: "فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة.. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر".

ثم أكد هذا الكلام بقوله: "اعلم أن مرادنا من النظام أن تكون لكل سورة، صورة مشخصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد، وكان الكلام ذا وحدانية، فحينئذ لا يكون إلا وله صورة مشخصة".

ثم قال: "وبالجملة فالنظام هو الذي يعطي السورة وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها، ذات عمود تجري إليه أجزاؤها"(٢).

---

(١) دلائل النظام ٧٤.

(٢) دلائل النظام ٧٥، ٧٦.

ومع تأكيده على أهمية النظام فإنه يقرر صعوبة استخراجه حيث يقول: "استخراجه العمود صعب جدًا، اعلم أن تعيين عمود السورة ، هو أقليد لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل، والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فيضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص"[١].

٧- **الرافعي**: مصطفى صادق الرافعي، عالم أديب شاعر، ولد بالشام وتوفي بمصر سنة ١٣٥٦هـ.

له: ديوان شعر، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وتحت راية القرآن... وغيرها[٢].

ويرى في كتابه "إعجاز القرآن" أن بناء السورة برابط خفي يرص لبناتها، مع تعدد وجود الكلام فيها، وهذا الرابط سماه "روح التركيب" فقال:

"وهذه الروح التي أومأنا إليها، (روح التركيب) لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس؛ ولولاها لم يكن بحيث هو، كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين، إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم: فمن هنا تعلق بعضه على بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة... ثم قال: ولولا تلك الروح لخرج أجزاء

---

(١) دلائل النظام ٧٧.

(٢) ينظر ترجمته في: الأعلام ٢٣٥/٧.

متفاوتة، على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازاً"[١].

وتحدث عن تناسب الآيات وتعلق نظم القرآن بعضه ببعض فقال: "وبالجملة فإن هذا الإعجاز في معاني القرآن وارتباطها أمر لا ريب فيه، وهو أبلغ في معناه الإلهي، إذا انتبهت إلى أن السور لم تنزل على هذا الترتيب، فكان الأحرى أن لا تلتئم، وأن لا يناسب بعضها بعضًا، وأن تذهب آياتها في الخلاف كل مذهب، ولكنه روح من أمر الله: تفرق معجزًا، فلما اجتمع اجتمع له إعجاز آخر ليتذكر به أولو الألباب"[٢].

ويتحدث عن ألفاظ القرآن واتفاقها، فيقول: "تختلف الألفاظ ولا تراها إلا متفقة، وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة... فأنت ما دمت في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاؤها في جهة التركيب وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام"[٣].

٨- دراز: محمد بن عبد الله دراز، عالم أديب، ولد بمصر، درس بجامعة القاهرة وبالجامعة الأزهرية، نال عضوية هيئة كبار العلماء بمصر، له: مباديء في علم الأخلاق، الدين، النبأ العظيم، مدخل إلى القرآن الكريم. توفي سنة ١٣٧٧هـ[٤].

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٤٥.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٤٤ "الحاشية".

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٤١.

(٤) ينظر: ترجمته في: معجم المؤلفين ٢١٢/٥.

أبرز في كتابه "النبأ العظيم": وحدة السورة، وحسن تأليفها مع أن موضوعاتها متنوعة، وأن الانفصال الزمني بين نزول آيها كان داعيًا إلى ضعف ترابطها وعدم انسجامها، ومع ذلك ظهر التحام السورة الواحدة وانسجام آيها بحيث لا تعرف منها أأنزلت مرة واحدة أو في أوقات مختلفة، وقال: "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول"(١).

ونقل كلامًا عن الإمام الشاطبي قائلًا: "قال الأئمة: إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة"(٢).

وقال: "وأنت تعرف أن الكلام في الشأن الواحد إذا ساء نظمه انحلت وحدة معناه، فتفرق من أجزائها ما كان مجتمعًا، وانفصل ما كان متصلًا؛ كما تتبدد الصورة الواحدة على المرآة إذا لم يكن سطحها مستويًا، أليس الكلام هو مرآة المعنى؟ فلا بد إذًا لإبراز تلك الوحدة الطبيعية "المعنوية" من إحكام هذه الوحدة الفنية "البيانية"، وذلك بتمام التقريب بين أجزاء البيان والتأليف بين عناصره؛ حتى تتماسك وتتعانق أشد التماسك والتعانق"(٣).

---

(١) النبأ العظيم ٢١٧.

(٢) النبأ العظيم ٢٢٠. وانظره في الموافقات المسألة الثالثة عشرة.

(٣) النبأ العظيم ٢٠٦.

وقال أيضًا: "إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه، قدرت أبعاده، ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضًا، فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة"[(١)].

وفي نهاية كتابه قدم نموذجًا تطبيقيًا لوحدة سورة البقرة.

وفي كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم" ذكر تجربته في دراسة وحدة كل من سور البقرة ويونس وهود، فقال: "فالواقع أننّا وجدنا أكثر مما كنا نتطلب من بحثنا. فقد كنا نبحث عما إذا كان هناك نوعًا من الترابط في الأفكار التي تتناولها السورة الواحدة، ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطًا حقيقيًا واضحًا ومحددًا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"[(٢)].

٩- محمد محمود حجازي، أحد علماء الأزهر المعاصرين. له: التفسير الواضح، والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم. توفي سنة ١٩٧٩م[(٣)].

---

(١) النبأ العظيم ٢١٦.

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم ١١٩.

(٣) مقدمة التفسير الواضح الطبعة الأخيرة.

وقد توصل في كتابه "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم إلى ما يلي:

- أن السورة الواحدة وحدة كاملة لها هدف واحد قد يتتبع أغراضًا مختلفة غالبًا.
- أنّ السورة الواحدة في القرآن الكريم لها طابع خاص في اللفظ والسّياق والفواصل، وختام الآيات، ولها في الوصول إلى هدفها طرق خاصة.
- كل موضوع ذكر في السورة سواء كان قصة أو غيرها فهو مناسب كل المناسبة للسورة ولا بد منه.
- إذا كرر الموضوع الواحد فهو في كل سورة يناسبها شكلًا وموضوعًا.
- لم تكرر القصة في سورة واحدة أبدًا(١).

****

وهناك دراسات معاصرة أشار فيها باحثوها إلى الترابط والتناسب في السورة الواحدة، واندراجها تحت مقصد واحد، ومن هذه الدراسات:

١- مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، نشر في الرياض سنة ١٤٣١هـ.

٢- الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، نشرته دار السلام بالقاهرة سنة ١٤٠٦هـ.

٣- فقه السورة القرآنية، أحمد الوتاري، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم سنة ١٤٣٢هـ.

---

(١) ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ٥٢، ٥٣.

٤- البرهان في نظام القرآن، نشر مكتبة الجامعة بإسلام آباد سنة ١٤١٤هـ.

٥- إمعان النظر في نظام الآي والسور، نشر دار عمار بالأردن سنة ١٤٢٤هـ. وهما للدكتور/ محمد عناية الله أسد سبحاني.

٦- مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته وخصائص سوره وفوائدها. لعبد الله التليدي، نشر دار الأمان بالرباط.

٧- الخرائط الذهنية لسور القرآن الكريم، صفية عبدالرحمن السحيباني.

٨- وحدة النسق في السورة القرآنية، رشيد الحمداوي، بحث نشر في مجلة الإمام الشاطبي بالعدد الثالث سنة ١٤٢٨هـ.

٩- خواطر قرآنية: نظرات في أهداف سور القرآن، عمرو خالد. نشر: أريج للنشر بالقاهرة سنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٠- سمط الدرر، في ربط الآيات والسور، وخلاصتها المختصر، لمن أراد أن يتذكر أو يتدبر، محمد طاهر. نشر: مركز جماعة إشاعة التوحيد والسنة بنج بير الباكستان.

١١- نظرات في سور القرآن، فايز السريح، نشر: دار طيبة الخضراء بمكة المكرمة سنة ١٤٣٩هـ.

١٢- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، نشر: دار الشروق سنة ١٤١٦هـ.

١٣- الخرائط الذهنية للقرآن الكريم، آمال جارودي.

١٤- مقاصد السور القرآنية، رسالة دكتوراه من إعداد أمينة رابح، من جامعة وهران بالجزائر سنة ٢٠١٢م.

١٥- الوحدة الموضوعية، دراسة تحليلية مقارنة، د. محمد بن محمود خوجة، نشر: دار كنوز أشبيلية بالرياض سنة ١٤٣١هـ.

١٦- مقاصد أسماء سور القرآن الكريم، د. سيف بن راشد الجابري، نشر: دار الواضح بالإمارات سنة١٤٣٠هـ.

١٧- السورة في طرق التوصل إلى محاور السورة، عدنان عبدالقادر القادري نشر: دار كنوز أشبيليا بالرياض سنة ١٤٣٨هـ.

١٨- الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية، د. سامي بن عبدالعزيز العجلان، نشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة، ١٤٣٠هـ.

١٩- علم مقاصد السور، د. محمد بن عبدالله الربيعة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ.

٢٠- علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبدالمحسن بن زبن المطيري، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت.

****

المقدمة الرابعة

الطرق الموصلة إلى مقاصد السور

إن علم مقاصد السور علم دقيق، يحتاج استخراجه واستنباطه إلى إمعان النظر في السورة وأجزائها، وتدبر معانيها، والنظر إليها بنظرة شمولية، والتمييز بين موضوعاتها وأغراضها.

ويمكن تحصيل ذلك من خلال المستنبِط نفسه، وعن طريق بعض الوسائل التي يمكن استخدامها لاستنباط المقصد والغرض العام من السورة.

وأشير إلى أن استخراج ذلك ليس بالأمر الهين، والمركب السهل، يقول البقاعي: "فلا تظنن أيها الناظر لكتابي هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها، والرفع لستورها، فرب آية أقمت في تأملها شهورًا"(١). ويقول الفراهي: "اعلم أن تعيين عمود السورة، هو إقليدٌ لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فيضيء به السورة كلُّها، ويتبين نظامُها"(٢).

---

(١) نظم الدرر ١/١٤.

(٢) دلائل النظام ٧٧.

وقد علق ابن القيم على استنباط ابن عباس رضي الله عنهما لمغزى سورة النصر حيث سأله عمر بن الخطاب ﷺ عن معناها فقال: "هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها غير ما تعلم"(١).

قال ابن القيم: "وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله، بل علقه بما يحدثه هو سبحانه... ثم قال: والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك"(٢).

وسأتناول الطرق الموصلة إلى مقاصد السور من جانبين:

الأول: يتعلق بالـمُسْتَنبِط.

الثاني: يتعلق بالوسائل والطرق الموصلة للمقصد.

الأول: الوسائل التي تتعلق بالمُسْتَنبِط:

لا شك أن المُستنبِط لمقاصد السور هو حجر الزاوية، واستنباطها أمر اجتهادي، لذا فإن المُستنبِط لها ينبغي أن تتوفر فيه الأهلية الكافية لاستخراجها، والعلم التام بالوسائل والطرق الموصلة إليها، وأشير هنا إلى ما يتعلق بالمستنبط بما يلي:

١- أن يكون الخائض في هذا العلم عارفًا بالتفسير وأقوال السلف.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب سورة إذا جاء نصر الله صحيح البخاري ٩٤/٦.

(٢) إعلام الموقعين ٣٥٣/١، ٣٥٤.

٢- أن يكون صافي الذهن، دقيق النظر، مديم التأمل في كتاب الله. قال الزركشي: "وإنما يفهم بعض معانيه ويطلع على أسراره ومبانيه: من قوي نظره، واتسع مجاله وتدبره، وامتد باعه، ورقت طباعه"(١).

٣- أن لا يتكلف ويتمحل في استخراج مناسبات وموضوع السورة، وكأن الأمر لا يتم إلا به. فالعلم بالمقصد قد يدركه أحد ولا يدركه الآخر، وقد يكون صوابًا ويكون غير ذلك.

٤- أن يكون صادق النية في طلب فهم كتاب الله، مقبلًا بقلبه عليه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق الآية ٣٧). قال السعدي في تفسيرها: "﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ أي: قلب عظيم حي، ذكي، زكي، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تذكر بها، وانتفع، فارتفع. وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها استماعا يسترشد به، وقلبه ﴿شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر(٢).

٥- أن يصدق مع الله ويكثر الدعاء بأن يرزقه الله الفقه في الدين والعلم بالتأويل، كما دعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: "اللهم

(١) البرهان في علوم القرآن ١٩١/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٧٥٠.

فقهه في الدين وعلمه التأويل"[١]، وظهر أكثر ذلك على ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره للقرآن الكريم.

٦- أن يكون عارفًا بالمقاصد العامة للقرآن الكريم، فمقصد السورة متفرع من المقصد العام للقرآن الكريم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج. وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين"[٢].

٧- أن يعيش مع السورة، وكأنه مخاطب بها، تلاوةً، وتدبرًا، واستحضارًا.

٨- مدارسة السورة مع من يراه مؤهلًا لذلك، فكان جبريل عليه السلام يدارس الرسول ﷺ القرآن، وكان الرسول ﷺ يدارس أصحابه ما ينزل عليه، وإذا كانت المدارسة في بيوت الله كان ذلك أبلغ. قال ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٣].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤٥/١ في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء. ومسلم في صحيحه ١٩٢٧/٤ في كتاب الفضائل، باب فضائل ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٩٤/١٥.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٧٤/٤ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

الثاني: الوسائل والطرق الموصلة للمقصد:

إن خير معين لاستخراج مقاصد السورة، الاطلاع على كل ما يتعلق بها، والربط بين موضوعاتها وأجزائها، ويمكن تلخيص ذلك بالآتي:

١- النظر في اسم السورة أو أسمائها، فمعرفة دلالة اسم السورة يساعد على معرفة مقصدها، فكل سورة في القرآن تنفرد باسم خاص بها، رغم تشابه السور، وهو ما يؤكد أن لكل سورة شخصيتها وموضوعها الخاص، وقد قرر ذلك البقاعي بقوله: " إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه"(١).

ويشير البقاعي إلى أهمية معرفة دلالة الآية أو القصة التي ورد فيها اسم السورة، فيقول: "إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها"(٢).

وقال عند بيانه لمقصود سورة الفاتحة: "ومقصودها: مراقبة العباد لربهم، وعلى ذلك دلت أسماؤها، وهكذا اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه"(٣).

وقال الزركشي: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به... كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها

---

(١) نظم الدرر ١/١٩، ١٨.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/١٤٩.

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/٢٠٩.

وعجيب الحكمة فيها. وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء"[١].

وإذا تعددت أسماء السورة الواحدة التوقيفي منها والتوفيقي، فيقوم الباحث بإحصائها وإبراز القدر المشترك بينها ليدل على مقصودها، قال الزركشي: "وينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها"[٢].

٢- النظر إلى فاتحة السورة، فغالبًا ما يشير إلى القضايا التي ستعالجها السورة، فهو يساعد إلى الوصول إلى مقصدها، لأن فاتحتها تشير غالبًا إلى هدفها وموضوعها.

ويؤكد ابن القيم على تأثير مطالع السور -ولو كانت حروفًا- على ما تتضمنه تلك السور من معان[٣].

وقال السيوطي: "وقد قدمنا غير مرة أن سور القرآن تستفتح بما يشير إلى المقصود، ثم يستطرد منه إلى غيره بأدنى ملاءمة"[٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٧٠، ٢٧١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٢٧٠.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد ٣/٦٩٢.

(٤) قطف الأزهار ٢/١٠٨.

وقال الميداني مبينًا مقصود سورة الرعد: وموضوع سورة الرعد تجده في الآية الأولى منها ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الرعد الآية ٩) وتتضمن هذه الآية الإشعار بالكلام على عناصر ثلاثة وهي:

١- رسالة الحق.

٢- رسول الصدق.

٣- مرسل إليهم أكثرهم لا يؤمنون"(١).

٣- النظر إلى خاتمة السورة، فذلك ينير الطريق، ويهدي إلى استكشاف محور السورة. مع البحث عن المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

وقد اهتم العلماء بالبحث في فواتح السور وخواتمها حتى إن جلال الدين السيوطي ألف كتابًا سماه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"(٢).

وأشار الدكتور محمد دراز إلى أهمية ذلك بقوله: "ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطًا حقيقيًا واضحًا محددًا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتدخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء

---

(١) قواعد التدبر الأمثل ٣٢.

(٢) حققه الدكتور محمد بن عمر بازمول، ونشرته المكتبة المكية سنة ١٤٢٣هـ.

المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"[١].

٤- معرفة سبب نزول السورة ومناسبته: إن البحث في السورة وظروف نزولها وسببه لا شك أنه معين للوصول إلى غرضها وقصدها، فمعرفة السبب خير معين على معرفة المسبب. فمثلاً سورة الأنفال نزلت عقب غزوة بدر، وسورة الأحزاب بعد غزوة الأحزاب... وهكذا.

قال الطاهر بن عاشور: "ومنها -أي أسباب النزول- ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام"[٢].

٥- النظر في المرحلة الزمنية لنزول السورة:

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة على القول الراجح، ثالث عشرة سنة قبل الهجرة في مكة، وعشر سنوات بعد الهجرة في المدينة، وهو ما اصطلح عليه بالمكي والمدني. ولكل مرحلة خصائصها ومميزاتها. قال الدكتور مصطفى مسلم: "فمن المعلوم أن السور المكية أكدت على تقرير أربعة أمور: الإيمان بالله وحده، الإيمان بالبعث بعد الموت، الإيمان بالرسالات السماوية، الدعوة إلى أمهات الأخلاق.

(١) مدخل إلى القرآن الكريم ١١٩.

(٢) التحرير والتنوير ٤٧/١.

فإذا كانت السورة مكية فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها الأساسية هذه الأسس الأربعة مجتمعة أو متفرقة.

والسور المدنية بالإضافة إلى تقرير ما سبق استهدفت بناء المجتمع الإسلامي على أسس من الإيمان والطاعة والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة كما استهدفت حماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الداخلية والخارجية، بكشف خطط المتآمرين الحاقدين الساعين في الأرض بالفساد من اليهود والمنافقين، فلا تخلو سورة مدنية من قضية البناء، أو الصيانة والحماية، فيمكن التعرف على الهدف الأساسي أيضًا من خلال التعرف على القضايا المعروضة في السورة، ومن خلال المرحلة الزمنية لتطور المجتمع الإسلامي أيضًا"(١).

ومن هنا يمكن للباحث معرفة مقصود السورة من معرفة زمن نزولها.

ويؤكد الشاطبي هذا المعنى بقوله: "المدني من السور ينبغي أن يكون مُنَزَّلًا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي... ثم قال: وأول شاهد على هذا أصل الشريعة؛ فإنها جاءت متممة لمكارم الأخلاق، ومُصْلِحَةٌ لما أُفْسِد قَبْلُ من ملة إبراهيم -عليه السلام- ويليه تنزيل سورة الأنعام، فإنها نزلت مبينة لقواعد العقائد وأصول الدين"(٢).

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي ٤٢، ٤٣.

(٢) الموافقات ٣/٣٠٤.

٦- معرفة فضائل السورة: فإن ذلك يساعد على معرفة مقصدها. قال البقاعي: "وعلى قدر المقصود من كل سورة، تكون عظمتها، ويعرف ذلك مما ورد في فضائلها، ويؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدل على فضلها كثرتها، فلا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة، لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها"[١].

٧- النظر في كلمات وألفاظ السورة التي يكثر ورودها فيها، فتكرار كلمات معينة في السورة يرشد عن الموضوع الرئيس فيها، قال محمد عناية الله: "ومن تلك المعالم التي تقود الباحث إلى النظام، تكرار كلمات خاصة في السور، فإنَّ من دَأْبِ القرآن أنه يراعي الدقة في اختيار الكلمات، فإذا وقع اختياره على كلمة خاصة لمكان معين، وردَّدها مرة بعد أخرى، فهذا يدل على أن لها صلة خاصة أو مناسبة خاصة بذلك المكان، وهذا الشيء يساعدنا على فهم طبيعة السورة وجوّها، ويساعدنا على التماس المناسبة بين آياتها"[٢].

فمثلًا حرف القاف تكرر في موضوعات سورة "ق" ومضامينها. وكلمة "التقوى" كثر ورودها في سورة البقرة، مما جعل بعض العلماء يرجح أن يكون مقصدها فسماها "سورة التقوى".

وكلمة "الرحمة" تكررت في سورة مريم، مما جعل البقاعي وغيره يرى أن مقصودها: شمول رحمة الله لعباده.

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/٢١٠.

(٢) إمعان النظر في نظام الآي والسور ٣٠٢.

قال البقاعي عن مقصود سورة مريم: "ومقصودها: بيان اتصافه بشمول الرحمة"[١].

وقال بن عاشور: "وقد تكرر في هذه السورة —سورة مريم– صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها: تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعَّروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا﴾ (سورة الفرقان الآية ٦٠)"[٢].

وقال الفراهي مؤكدًا دلالة الكلمات على المقصود: "ثم إذا صرف التوجه لاستخراج العمود والنظام، لزم إمعان النظر في دلالة الكلمات والسياق"[٣].

وقال مصطفى الرافعي: "ثم تدبر الألفاظ على حروفها وحركاتها وأصالتها ولحونها، ومناسبة بعضها لبعض في ذلك، والتغلغل في الوجوه التي من أجلها اختير كل لفظ في موضعه، أو عُدِل إليه عن غيره، من حيث موافقته لمعنى الجملة ونظمها، ومن حيث دلالته في نفسه، وملاءمته لغيره، ثم النظر في روابط الألفاظ والمعاني من الحروف والصيَغ التي أقيمت عليها اللغة ووجه اختيار الحرف أو الصيغة، ثم قال: فإن كل ذلك في القرآن الكريم على أتمه"[٤].

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/٢٥٦، ونظم الدرر ١٢/١٥٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٦/٦٠.

(٣) دلائل النظام ٨٢.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٠٥.

٨- تقسيم السورة إلى مقاطع، فكل مقطع يتكون من مجموعة من الآيات يدور حول موضوع معين، فيعرف كل مقطع وهدفه وغايته، ثم التماس القدر المشترك بين تلك المقاطع، فيظهر المعنى الكلي للسورة، فالسورة مهما تعددت موضوعاتها، فهي ذات مقصد واحد. قال محمد دراز: "إن السورة مهما تعددت قضاياها، فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"(١). وهذا الكلام مستنبط من كلام الشاطبي في الموافقات(٢).

٩- معرفة نسق وسياق السورة، والمناسبة بين آياتها، ففيه دلالة على مقصدها وموضوعها. قال الفراهي: "لا يخفى أن كثيرًا من القرآن ظاهر النظم، وإنما يخفى جهة الوصل في مواضع معدودة، حيث ترى الكلام كأنه أخذ سمتًا آخر، فهناك عقد واتصال، وهي معاطف الكلام، وهي أكبر ما يهم من يلتمس النظم، فلا بد من تعيينها، والوقوف عليها، والتأمل التام فيها، فعند النظر في النظام لا يهمنك أولًا إلا هذه المعاطف، فإذا اطمأننت بوصلها، اطمأننت بنظم السورة"(٣).

---

(١) النبأ العظيم ٢٢٠.

(٢) ينظر: الموافقات ٣/٣١٠.

(٣) دلائل النظام ٨٠.

وقال دراز: "وبهذا تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له الناظرون في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصلات الجزئية بينها، بنظر قريب إلى القضيتين أو القضايا المتجاورة، غاضين أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي وضعت عليه السورة في جملتها(١).

١٠-استقراء السورة والتأمل في آياتها، مع تكرار القراءة وإدامة النظر، فالاقتصار على بعضها غير مفيد في الدلالة على المقصود. جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "اقرأ السورة على وجهها"(٢)، وفي حديث آخر أنه ﷺ قال البلال: "إذا قرأت السورة فأنفذها"(٣) أي أكملها.

وقد قرر الشاطبي ذلك بقوله: "اعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"(٤).

---

(١) النبأ العظيم ٢٢٠.

(٢) الحديث أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٩٥.

(٣) الحديث أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٩٥، وانظرهما في البرهان في علوم القرآن ١/٤٦٩.

(٤) الموافقات ٣/٣١٠.

وقال: "لا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فَرَّق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده"(١).

وقال الفراهي: "إن تعيين عمود السورة هو إقليد لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فيضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"(٢).

وقال دراز عن الوحدة الموضوعية للسورة: "السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء جزء منه -وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومقاطعها- إلا بعد أن يُحكِم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة"(٣).

١١-النظرة الشمولية للسورة، ليعرف بناء السورة ونظامها الكلي الذي انتظمت به، مع تجنب النظرة الجزئية لها، فالسورة وحدة متماسكة متكاملة، لا يغني بعضها عن بعضها الآخر، ولا يحصل الانتفاع بها إلا

(١) الموافقات ٣/٣٠٩.

(٢) دلائل النظام ٧٧.

(٣) النبأ العظيم ٢٢٠.

باستيفائها كاملة. قال دراز: "وملاك الأمر في ذلك: أن تنظر إلى النظام المجموعي الذي وضعت عليه السورة كلها"(١).

١٢-النظر في القضايا البارزة في السورة، فهو يساعد في التعرف على مقصودها. قال الدكتور مصطفى مسلم: "فلو أمعنا النظر في القضايا البارزة في السورة لوجدنا أن بينها رابطًا يربطها، وقد يدق هذا الرابط فلا يدرك إلا بعد دراسة السورة دراسة عميقة ومعايشة أجوائها وتفيؤ ظلالها"(٢).

١٣-الاطلاع على كتب التفسير، وكلام أهل العلم الذين نصوا على مقصود السورة، والاسترشاد به. فقد ورد في بعض كتب التفسير وكتب علوم القرآن وغيرها، من اهتم بذلك، وقد تناولته في المقدمة الثالثة من هذا الكتاب. كما ورد عن السلف آثار تشير إلى مقصود بعض السور، ومن أمثلة ذلك:

- ماورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن سورة الأنفال: "تلك سورة بدر"(٣).
- وما ورد عنه أيضًا أن سعيد بن جبير قال له: سورة التوبة، قال: آلتوبة! بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أن لا يبقى

---

(١) النبأ العظيم ٢٢٣.

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي ٤٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٣٢٢ في كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر.

منا أحد إلا ذكر[١].

- وما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "من شاء أن يبصر يوم القيامة، فليقرأ سورة القيامة، وإنما قيامة أحدكم موته"[٢].
- وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن سورة الليل: "إني لأقول هذه السورة نزلت في السماحة والبخل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾"[٣].
- كما ورد عن قتادة ﷺ عن سورة النحل أنه قال: "ولذلك هذه السورة تسمى سورة النعم"[٤].

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على غرض ومقصود السور.

وبعد: فإن هذه الطرق والوسائل، ما هي إلا دليل وإرشاد لمعرفة مقصد السورة، وقد لا يتحقق المقصد بواحد منها، فلا بد من النظر فيها جميعًا، وعدم الاكتفاء بأحدها، فكل ما كان النظر في هذه الطرق مجتمعة أو أغلبها، كان الاجتهاد في تحديد المقصد أقرب إلى الصحة والكمال.

كما أن المقصد المستخرج يعد أمرًا اجتهاديًا، لا يقطع به، فالباحث المتأمل يستخرج المقصد بعد أن استفرغ جهده، وما أفضاه إليه اجتهاده فهو قابل للصواب والصحة، ولا يعني بطلان غيره. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٣٢٢/٤ كما في الحديث السابق.

(٢) ذكره التستري في تفسيره ١٨٢.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنشور ٥٣٣/٨ وعزاه لابن مردويه.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ١٥٤/٥، ١٥٥، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

المقدمة الخامسة
أدلة مقاصد السور

إن علم مقاصد السور وإن ظهر -كعلم- متأخرًا، إلا أنه كان موجودًا منذ وجود القرآن الكريم وتفسيره على يد النبي ﷺ ثم الصحابة ثم التابعين ومن أتى بعدهم، والدلائل على ذلك كثيرة، وتزداد كلما اقترب الباحث نحو القرآن وتفسيره، ومن ذلك:

١- وقوع التحدي بالسورة الواحدة، فقد ثبت أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ بتحدي العرب بالقرآن بأنواعٍ ثلاثة من التحديات: بالقرآن كله، وبعشر سور، وبسورة واحدة. فالتباين في القدر، والاختلاف في المواضع. وهذا توضيح لها:

- تحدى الله ﷻ الجميع من الإنس والجن بأن يأتوا بمثل القرآن. فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ (سورة الطور الآيتان ٣٣، ٣٤). وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الإسراء الآية ٨٨).

- تحداهم بعشر سور، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝١٣ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ (سورة هود الآيتان ١٣، ١٤).

- تحداهم بسورة واحدة منه فقط، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (سورة يونس الآية ٣٨)، وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة الآيتان ٢٣، ٢٤)، فقرن هذا التحدي بالتعجيز في الحاضر والمستقبل، ومعنى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي: في الماضي، و﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي: لن تطيقوا ذلك في المستقبل، فالسورة هي أقل قدر في طلب التحدي، فهي نظام قائم بذاته، تشتمل على آيات متحدة الأغراض، متنوعة الأساليب.

٢- ورود أقوال عن النبي ﷺ تشير في مجملها إلى موضوع السورة، وما تتحدث عنه. ومن ذلك:

- ما ورد عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"(١)، فالعصمة من الدجال هي الفتنة العظمى. وسورة الكهف تتحدث في مجملها عن "العصمة من الفتن".

- ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ: إذا الشمس كورت،

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٥٥٥/١ في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف. والحاكم في المستدرك ٥٧٦/٤.

وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت"[١]. فالرسول ﷺ يشير إلى وصف القيامة، وهو مقصود هذه السور.

- ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟" فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: "أخبروه أن الله يحبه"[٢].

فالصحابي فهم مقصد السورة وهو: وصف الرحمن، وأقره النبي على ذلك[٣].

٣- ورود آثار وأقوال عن الصحابة والتابعين تدل على الحث على النظر في موضوع السور، والأمر بمراعاة المقصود من كلام الله بالنظر لموضع الآية وسياقها وسباقها. ومن ذلك:

- ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما هذا القرآن كلام الله، فضعوه على

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه ٤٣٣/٥ رقم ٣٣٣٣ في كتاب التفسير، باب من سورة إذا الشمس كورت. والحاكم في المستدرك ٥٧٦/٤.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ١٦٤/٨، ١٦٥. ومسلم في صحيحه ٥٥٧/١ في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

(٣) ينظر: علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن ٢٧، ٢٨.

مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم"(١).

- وقال ابن مسعود ﷺ: "إذا سأل أحدكم صاحبه، كيف يقرأ آية كذا وكذا فليسأله عما قبله"(٢).

- وقال مسلم بن يسار: "إذا حدثت عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"(٣).

- كما ورد عنهم في أحوال السورة فيم أنزلت، ومن ذلك:

- ما قاله ابن مسعود ﷺ: "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه"(٤).

- وقال مجاهد رحمه الله: "لقد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقفه عند كل آية، أسأله فيم أنزلت؟ وكيف كانت ؟"(٥).

- وقال الحسن رحمه الله: "والله ما أنزل الله آيةً إلا أحبَّ أن يُعْلَم فيما

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في الزهد ٤٦، وهو في الدر المنثور ٧/٣٣٠.

(٢) الأثر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم الحديث ٨٦٩٣.

(٣) أورده ابن كثير في تفسيره ١/٦.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/١٠٢ في كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ.

(٥) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/٤٠.

أنزلت، وما يعني بها"[١].

٤- ورود آثار عن الصحابة بتسمية بعض السور انطلاقًا من أغراضها وموضوعاتها. فمثلًا سورة التوبة ورد عن بعض الصحابة تسميتها بـ"الفاضحة"؛ لأنها فضحت أمر المنافقين. فعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحدًا منهم إلا ذكر فيها»، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: «نزلت في بدر»، قال: قلت: سورة الحشر، قال: «نزلت في بني النضير»[٢].

وعن عكرمة ﵁ قال: قال عمر ﵁: "ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أنه لم يبق منا أحد إلا سينزل فيه، وكانت تسمى «الفاضحة»"[٣].

كما ورد عن قتادة أن سورة النحل تسمى سورة النعم، وذلك لكثرة تعداد نعم الله على عبيده في السورة[٤].

كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر سورة النصر بالدلالة على قرب أجل النبي ﷺ، حيث قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه. فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال:

---

(١) أورده ابن عطية في مقدمة تفسيره ٢٦/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥٨/٦، في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ١٢١/٤، وعزاه لأبي الشيخ.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ١٥٥/٥ وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ (سورة النصر الآية١)، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: «هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له»، قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول"[١].

٥- تكرار بعض الألفاظ والمعاني في السورة الواحدة، مما يدل على ارتباط ذلك بوحدة السورة ومقصدها.

فمثلًا بعض القصص قد يرد ذكرها في السورة بأوجه وأحداث وحلقات وفق ما ترمي له السورة، قال البقاعي عند حديثه عن المناسبات: "وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة"[٢].

وقال في موضع آخر: "فالله سبحانه وتعالى يعبر لنا في كل سورة تذكر القصة فيها بما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٩٤/٦، في كتاب التفسير، باب سورة إذا جاء نصر الله والفتح.

(٢) نظم الدرر ١٤/١.

يناسب المقام من ألفاظ، عما يليق من المعاني، ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام"[١].

وأكد ذلك في موضع آخر بقوله: "والعمدة في المناسبة أنها في كل سورة تساق القصة لمناسبة تخص تلك السورة، ثم يراعى في البسط وغيره: المناسبة للمقصد الذي سيقت له القصة"[٢].

وأيضًا على مستوى الألفاظ والمعاني، نلحظ أن سورة الأنبياء تكرر فيها لفظ "الذكر" ثمان مرات، مما يوحي ارتباط ذلك بمقصدها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "سورة الأنبياء سورة الذكر، وسورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر"[٣].

وسورة مريم تكررت فيها معاني الرحمة ست عشرة مرة، مما يوحي ارتباط ذلك بمقصدها.

وأيضًا اشتمال بعض السور على الحروف المفردة كسورة "ق"، فنلحظ أن السورة مبنية على هذا الحرف، حتى معاني هذه السورة مناسبة لخواص الحرف من الشدة والجهر والعلو. قال ابن القيم: "وتأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة، كيف نجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك (ق)، والسورة مبنية على الكلمات القافية من: ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارًا، والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين قول العبد، وذكر الرقيب، وذكر السائق والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقديم بالوعيد، وذكر المتقين، وذكر القلب والقرون والتنقيب في البلاد، وذكر القيل مرتين، وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق

(١) نظم الدرر ١/٢٨٤.

(٢) نظم الدرر ٩/٢٦٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٢٦٥.

النخل والرزق، وذكر القوم، وحقوق الوعيد، ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة وسرٌّ آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف «القاف» من الشدة والجهر والعلو والانفتاح.

وإذا أردت زيادة إيضاح هذا، فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ، وقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ (سورة ص الآية ٥) إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم وهو الدرجات والكفارات، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم، ثم خصامه ثانيًا في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم. فليتأمل اللبيب الفطن هل يليق بهذه السورة غير «ص»؟! وبسورة «ق» غير حرفها؟! وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف والله أعلم"[(١)].

وقال البقاعي: "إن كل سورة لها مقصد معين، تكون جميع جمل تلك السورة دليلاً على ذلك المقصد، فلذلك يقتضي الحال - ولا بد - ما أتى عليه فيها نظم المقال، ومن هنا تغايرت الألفاظ في القصص، واختلفت النظوم، وجاء الإيجاز تارة، والإطناب أخرى والتفصيل مرة، والإجمال أخرى"[(٢)].

****

(١) بدائع الفوائد ٣/١٧٤.

(٢) مصاعد النظر ١/١٨٢.

المقدمة السادسة

أثر مقاصد السور في تفسير القرآن الكريم

لمعرفة مقاصد السور أثره الواضح في تفسير القرآن الكريم، فهو يعين على تفسيره، وفهم معانيه، وتسديد فهم بعض ما أشكل على المفسرين، وترجيح ما اختلف فيه المفسرون، ويمكن أن أوجز هذه الآثار بما يلي:

١- إن معرفة مقصد السورة يفيد في معرفة المناسبات بين الآيات، فالمفسر الذي يعرف المقصد العام للسورة يستطيع الربط بين الآيات بسهولة. قال البقاعي: "من حقق المقصود من السورة، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها.. ثم قال: فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج(١)".

٢- إن معرفة المقصد يفيد في معرفة أسرار التشريع، وحِكَم الأحكام، وإدراك مدى التلازم بين أحكام الشريعة.

٣- إعانته على فهم معنى الآيات، وتحديد المراد منها، فابن عباس رضي الله عنهما حينما فسر سورة النصر نظر إلى المقصد من السورة.

٤- استجلاؤه أسرار ذكر بعض القصص التي وردت في سور متعددة، واختلاف الآيات المتشابهة اللفظ، بمعنى أن كل قصة أعيدت في موطن، فذلك لمناسبتها لمقصد السورة التي ذكرت فيها. قال البقاعي: "وبه يتبين

---

(١) مصاعد النظر ١٤٩/١.

لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم، بالتأخير والتقديم، والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة"(١).

٥- إظهار كلام الله منتظمًا بعيدًا عن أهواء المبتدعين، وانتحال المبطلين، وزيغ المحرفين.

٦- الرد على الذين طعنوا في القرآن من جهة النظم.

٧- إضافة المقصد لمعنى جديد حصل من ربط الكلام بعضه مع بعض، واستخراج الغرض والمقصد العام من السورة، ليتم فهم القرآن على أفضل وجه وأتم معنى. ومن حُرِم ذلك فاته شيئًا من معنى القرآن وآياته.

٨- أن الله ﷻ أنزل القرآن منجمًا "في ثلاث وعشرين سنة لحكم عديدة، من أهمها: تثبيت فؤاد النبي ﷺ، كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ (سورة الفرقان الآية ٣٢). وقد تكفل الله ﷻ بجمعه وبيانه، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ (سورة القيامة الآيات ١٧- ١٩).

فما تمت سورة إلا بعد ما جمع الله آياته وزاد فيها ما شاء للتبيان، فكان النبي ﷺ يضع الآيات في مواضعها حسب وحي الله له.

---

(١) نظم الدرر ١/١٤.

٩- أن معرفة المقصد يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، ويزيل ما قد يحصل من شك نتيجة عدم التأمل في دقة النظم، وإحكام الترتيب. قال البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:

أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب.

والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً؛ فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي، يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز"(١).

١٠- إن مقصد السورة هو نتاج ما في السورة من معالم وموضوعات، تعود إلى مقصد وهدف وغرض واحد كأنها لحمة واحدة يجمعها معنى واحد فالسورة في الغالب تتكون من: افتتاح وخاتمة، وقصص وأمثال، وحكم وأحكام، ومشاهد من يوم القيامة.. وكل ذلك مما يناسب ويحقق مقصد السورة وهدفها الذي سيقت من أجله.

١١- إن معرفة المقصد للسورة يعين على فهم كل آية وكل حرف فيها، بل وكل اسم وصفة لله جاء في خاتمة آياتها، ولماذا سيق في هذه الآية، وما مناسبة مجيئه فيها.

١٢- إن مقصد السورة هو أصل معناها الذي ترجع إليه، ولهذا فإن فهم

---

(١) نظم الدرر ١/١٠، ١١.

السورة الفهم التام لا يتم إلا بفهمها كلها، ومعرفته مقصدها العام.

قال الشاطبي: "اعتبار جهة النظم مثلًا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود. كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكمٍ ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"(١).

وقال البقاعي عن علم مقاصد السور: "وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة.

ومنفعته: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير.

ونوعه: التفسير. ورتبته: أوله.

فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث إنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالًا"(٢).

١٣- إن معرفة مقصد السورة سبيل للسلامة من الخطأ في تفسير كلام الله.

قال الفراهي: "إن فهم القرآن لا يمكن من غير معرفة نظامه"(٣).

١٤-إن معرفة المقصد للسورة هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله مؤتلفًا، على نحو كمال نظمه ومعناه، وتكون السورة كالبناء المرصوص والعقد المتناسق. قال البقاعي: "تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعقد أنيق الورق،

---

(١) الموافقات ٣/٣١٠.

(٢) مصاعد النظر ١/١٥٥.

(٣) دلائل النظام ٢٧.

بأفنان الدرر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"(١).

١٥- أن دراسة علم مقاصد السور يبرز إعجاز القرآن، وبلاغته وكماله، ولهذا تحدى الله العرب بأن يأتوا بسورة مثله. يقول مصطفى صادق الرافعي: "وبالجملة فإن هذا الإعجاز في معاني القرآن، وارتباطها أمر لا ريب فيه، وهو أبلغ في معناه الإلهي إذا انتبهت إلى أن السور لم تنزل على هذا الترتيب، فكان الأحرى أن لا تلتئم وأن لا يناسب بعضها بعضًا وأن تذهب آياتها في الخلاف كل مذهب، ولكنه روح من أمر الله: تفرّق معجزًا، فلمّا اجتمع اجتمع له إعجاز آخر بتذكّر أولو الألباب"(٢).

وقال عبد الحميد الفراهي: "وربما يحطّ عندك قدر خطيب مصقع، أتى بفنون من البلاغة، وأثّر في النفوس بخلابة بيانه، لمحض أنه ذُهل عن ربط الكلام، فهام من وادٍ إلى واد، وهو معذور، بأنه ألقى الخطابة عفوًا، ولم يعمل فيها النظر والروِيَّة، وليس ذلك إلا لأن الكلام البليغ لا يحتملُ

---

(١) مصاعد النظر ١٤٩/١.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٤٤.

سوء الترتيب، فإن كان الأمر كذلك، أليس على الموقن بإعجاز القرآن أن يثبت حسن نظمه، وإحكام ترتيبه؟"[١].

وقال صبحي الصالح: "بأن هذا القرآن الذي نزل في نَيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب متباينة، قد تناسقت الآيات في كل سورة من سوره أكمل تناسق وأوفاه، حتى أغنى تناسقها في مواطن كثيرة عن التماس أسباب نزولها، وعوّض انسجامها الفني واقعها التاريخي، ثم بدت السور كلها -بآياتها المتناسقات- مائة وأربع عشرة قلادة، طوّقت جيد الزمان.

ولتجدن القرآن أحرص الكتب على التناسق الفني، ولتجدن علماءنا المحققين أحرص الدارسين على اقتناص أسرار تناسقه: فقد يعوض بوجوه المناسبة بين آياته أسباب نزولها إن لم تعرف، أو عُرفت ولم تحفظ، أو حفظت ولم تشتهر، وقد يثبت بهذه الوجوه أسباب نزولها ويزيدها اتصالًا، وارتباطًا، ويشيع في سياقها كله حركة ونشاطًا، وفي هذا كله ألوان من التناسق تتلاقى جميعًا في علم المناسبة العظيم"[٢].

وبالجملة فإن مقصد السورة في الأصل ناتج عن ربط آيات السورة بعضها ببعض، ومعرفة سياقها وسباقها، فهو إذن من تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أجل وأحسن طرق تفسير القرآن.

****

(١) دلائل النظام ٣٩.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ١٥٧.

القسم الثاني

مقاصد سور القرآن الكريم

١- سورة الفاتحة

أولًا: مقصود سورة الفاتحة:

﴿**الثناء والحمد لله، والدعاء والالتجاء إلى الله. وباختصار أكثر: ثناء ودعاء**﴾، وباختصار أكثر: ﴿**ثناء ودعاء**﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

تحدث عن مقصود سورة الفاتحة عدد من العلماء، ومنهم:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: "نصفها ثناء للرب، ونصفها دعاء للعبد"[١]. وقال: "والفاتحة فيها من المنافع: ثناء ودعاء"[٢].

٢- بدر الدين الزركشي، حيث قال: "قال بعض الأئمة: وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية"[٣].

٣- برهان الدين البقاعي، حيث قال: "فالغرض الذي سيقت له الفاتحة وهو: إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة، والاستعانة بالسؤال في المن بإلزام صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين مختصًا بذلك كله، ومدار ذلك كله:

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/٤٧٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/١٣١.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦٠.

مراقبة العباد لربهم، لإفراده بالعبادة، فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسائل إليه"[١].

٤- عبدالحميد الفراهي، حيث قال: "سورة الفاتحة جامعة كالديباجة، ففيها مفاتيح لجميع ما في القرآن"[٢].

٥- وجاء في المختصر في تفسير القرآن: "من مقاصد السورة: تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى"[٣].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الفاتحة أسماء كثيرة تدل في مضمونها على عظمتها، وفضلها، ومكانتها بين سور القرآن الكريم، ومن أسمائها التي تدل على مقصودها:

أم القرآن، أم الكتاب، القرآن العظيم، الوافية... وذلك لاشتمالها على معاني عظيمة في أصول الدين وفروعه، وإفراد الله ﷻ بالعبادة والاستعانة، والدعاء، والتوجه إليه بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذه السورة هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات لا صلاة

---

(١) نظم الدرر ٢١/١، ومصاعد النظر ٢٠٩/١.

(٢) دلائل النظام ٩٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن ١.

إلا بها، وهي الكافية تكفي عن غيرها ولا يكفي غيرها عنها"[١].

وقال في موضع آخر: "وهذه السورة أشرف السور، لأنها السبع المثاني، ولأنها تصلح عوضًا عن جميع السور، ولا تصلح جميع السور عوضا عنها، ولأنها تشتمل على ما لا تشتمل سورة ما على قدرها من الآيات، وذلك من الثناء والتحميد للرب، والاستعانة والاستعاذة والدعاء من العبد، فإذا صارت هذه السورة أشرف السور، وكانت الصلاة أشرف الحالات، فتعينت أشرف السور في أشرف الحالات، وبينوا من شرفها على غيرها ما ذكروه[٢]".

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الفاتحة سبع آيات، تناولت في مجملها مقصود السورة الأساس. وهي في مجملها قسمان:

القسم الأول: الحمد والثناء من العبد للرب جل وعلا، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة الآيات ٢-٥).

وتوضيح ذلك:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيه حمدٌ لله تعالى في كل الوجوه والأحوال. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أن هذا المحمود هو رب العالمين، وفي ذلك إثبات توحيد الربوبية.

---

(١) التفسير الكبير ٢/٢٩٩.

(٢) التفسير الكبير ٧/١٢١.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هذا المحمود هو الرحمن الرحيم، وفي ذلك إثبات توحيد الأسماء والصفات على ما يليق به ﷻ، دون تحريف أو تمثيل، أو تشبيه.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ وهو أيضًا مالك يوم الجزاء على الأعمال.

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ وهو الذي نخصه بالعبادة والاستعانة، وفي ذلك إثبات توحيد الألوهية.

القسم الثاني: الدعاء من العبد للرب جل وعلا. وهو قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (سورة الفاتحة الآيتان ٦، ٧) وتوضيح ذلك:

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي: نطلب منك يا الله، التي تلك صفاتك، أن تهدينا إلى طريق الذين أنعمت عليهم، وتبعدنا عن طريق الذين غضبت عليهم والضالين.

ويدل على المقصود الذي ذكرناه: الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله ﷻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، قال: مجدني عبدي - وقال مرة فوّض إليّ عبدي - فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل.

فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[١].

قال القرطبي: "فقوله سبحانه "قسمت الصلاة" يريد الفاتحة، وسماها صلاة، لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فجعل الثلاث الآيات الأُوَل لنفسه، واختص بها تبارك اسمه"[٢].

وهكذا: نجد أن سورة الفاتحة بما تضمنته آياتها بَيَّنت: حمد الله ﷻ والثناء عليه في قسمها الأول، ودعاء الله والالتجاء إليه في قسمها الثاني. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٩٦ في كتاب الصلاة، باب فضل الآذان وهرب الشيطان عند سماعه رقم ٣٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٩٤.

٢- سورة البقرة

أولًا: مقصود سورة البقرة:

﴿بناء المسلم على الإيمان والتقوى﴾

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة.

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة البقرة، ومن هؤلاء:

١- شيخ الإسلام ابن تيمة، حيث أشار إلى أن سورة البقرة اشتملت على تقرير أصول العلم وقواعد الدين(١).

٢- الشاطبي، حيث قال: "فسورة البقرة كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك"(٢).

٣- الزركشي، حيث قال: "وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين.. ثم قال: فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم"(٣).

٤- البقاعي، حيث قال: "والمقصود من هذه السورة إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليُتَّبع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب،

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٣/٥.

(٢) الموافقات ٣/٣١١.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦١.

ومجمعه: الإِيمان بالآخرة، ومداره: الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصة البقرة، التي مدارها الإِيمان بالغيب، فلذلك سميت بها السورة"[(١)].

٥- الفراهي، حيث قال: "سورة البقرة سورة الإيمان المطلوب، وهو الإيمان ببعثة محمد ﷺ، فجمعت دلائلها"[(٢)].

٦- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الأمر بتحقيق الخلافة في الأرض بإقامة الإسلام، والاستسلام لله، والتحذير من حال بني إسرائيل"[(٣)].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها.

لسورة البقرة، أسماء عدة منها:

١- سورة البقرة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود قصة البقرة وانفرادها فيها.

٢- سورة الزهراء، وسميت بذلك هي وسورة آل عمران، ولذلك تسميان "الزهراوين"، لنورهما وعظم أجرهما.

٣- سورة سنام القرآن، وسنام كل شيء أعلاه، فسورة البقرة من أطول سور القرآن، ومن أوائله.

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٩/٢، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٥/١.

(٢) دلائل النظام ٩٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢.

٤- سورة فسطاط القرآن، لعظمها، وإحاطتها بأحكام ومواعظ كثيرة[١].

ولعل الأقرب في اسميها: سنام وفسطاط أنهما وصفان لها.

ودلالة اسمها على مقصودها: لما في قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية على البعث، وما فيها من تلكؤهم في تنفيذ أمر الله. ودلت على قدرة الله ﷻ في إحياء القتيل، وعلى البعث والحساب.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة البقرة مائتين وست وثمانين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- الحديث عن الناس وأقسامهم وأنهم ثلاثة أصناف:

- المتقون وصفاتهم.
- الكفار وعلاماتهم.
- المنافقون وحقيقتهم.

جاء ذلك في عشرين آية من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة الآية ٢٠).

وفي هذا التقسيم دعوة إلى الصنف الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/١٥٢، وبصائر ذوي التمييز ١/١٣٤، والتحرير والتنوير ١/٢٠٥.

٢- دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده، وإقامة الحجة عليهم بما خلقه في هذا الكون، وبإعجاز كتابه المنزل مبشرًا ومنذرًا بالحجة والمَثَل، وأن هذا هو الطريق إلى التقوى.

جاء ذلك في تسع آيات من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة الآية ٢١) إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (البقرة الآية ٢٩).

٣- بيان قصة آدم واستخلافه في الأرض وما فيها من الحِكَم والعبر، حيث تبني شخصية المسلم بما تدلنا عليه من سلوك الطريق المستقيم عند الوقوع في المعصية، وأن الفساد في الأرض يتنافى مع حكمة خلقنا، وأن الأسباب الأولى في الضلال تكمن في الكبر والحسد والشهوة والحرص، وأن الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان أن يكون مهتديًا بهدى الله، حذرًا من الكفر والتكذيب.

جاء ذلك في عشر آيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة الآية ٣٠)، إلى قوله تعالى ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة الآيتان ٣٨، ٣٩).

٤- بيان قصة أمة —وهي بني إسرائيل- أنزل عليها هدى ووحي من الله تعالى، كيف تصرفت؟ وما موقفها منه؟، وكيف أخلت بالتوحيد، وبالعبادة، وبالعمل الصالح؟، وكيف نقضت الميثاق، وقطعت ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدت في الأرض، وكفرت؟. مما جعلها تستحق عذاب الله ومقته، جاء ذلك في أربع وثمانين آية من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ (البقرة الآية ٤٠)، إلى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة الآيتان ١٢٢، ١٢٣).

وإليك مجمل ما بينته هذه الآيات عنهم:

- تذكيرهم بنعم الله عليهم.
- ذمهم على سوء صنيعهم حيث كانوا يأمرون الناس بالخير ولا يفعلونه، ويدعون الناس إلى الهدى ولا يتبعونه.
- بيانها للون من ألوان طغيانهم وجحودهم بطلبهم رؤية الله جهرة.
- تذكيرهم بما أخذ الله عليهم، من العهود والمواثيق، ونقضهم ذلك.
- بيانها لمخالفتهم الأنبياء وتكذيبهم لهم، وجفائهم في مخاطبة نبيهم موسى عليه السلام.
- ذكر بعض قبائحهم كتحريف كلام الله، وادعائهم بأنهم أحباب الله، وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة.
- معاداتهم للملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه السلام.

- بيانها لعادتهم في تكذيب رسالة محمد ﷺ المصدق لما معهم، واتباعهم في الوقت نفسه الشياطين والسحر.
- بيانها لما يضمرونه من السوء والشر للنبي ﷺ والمسلمين من الطعن والحقد والحسد، وتمني زوال النعمة عن المؤمنين.
- بيانها لدعوى كل من اليهود والنصارى بأن الجنة خاصة بهم دون الآخرين، وطعن كل فريق بدين الآخر، وتوضيح أن الجنة إنما ينالها من أسلم وجهه لله وهو محسن.
- بيانها لبعض قبائح اليهود والنصارى في دعواهم أن لله ولدًا تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وفي أثناء الحديث عنهم يأتي تذكير الأمة المسلمة بما يجب أن تكون عليه، وما ينبغي أن تستفيده من العبر والدروس مما حل بتلك الأمة، ومن ذلك:

- شكر الله تعالى على نعمه.
- وجوب الوفاء بالعهد والميثاق، وبخاصة فيما بين العبد وربه.
- وجوب بيان الحق وحرمة كتمانه وخلطه بالباطل.
- قبح سلوك من يأمر بالخير ولا يفعله، ويدعو الناس إلى الهدى ولا يتبعه.
- مشروعية الاستعانة على صعاب الأمور بالصبر والصلاة.
- اتقاء عذاب الله يوم القيامة يكون بالإيمان والعمل الصالح.
- أن عاقبة الظلم والتمرد على أوامر الشرع تؤدي إلى عواقب وخيمة.
- حرمة الاحتيال على أوامر الشرع للخروج بها عن مرادها.

- وجوب التسليم لأوامر الشرع ولو لم تعرف الحكمة منها.
- وجوب عبادة الله وحده.
- وجوب الإحسان إلي الوالدين ولذوي القربى واليتامى والمساكين.
- التنديد بمن يأخذ حكمًا ويترك آخر حسب هواه ومصلحته.
- قبح جريمة من تنكر للحق بعد معرفته، ويصبح وكأنه جاهل به.
- التحذير من اتباع سلوك طريق اليهود في تكذيب الرسل، واتباع ما ألقت إليهم الشياطين من كتب السحر والشعوذة، ونسبتها إلى سليمان عليه السلام وهو منها بريء، وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ حيث سلكوا معه هذه الطريقة.
- البعد والنأي عن الأسئلة المتنعتة التي لا تليق بالأمة المسلمة.
- نهي الأمة المسلمة عن محاكات ومتابعة الكافرين في أدنى شيء حتى في التعابير، وتوجيههم بالسماع للرسول ﷺ بامتثال أمره واجتناب نهيه.
- بيان أن الكافرين جميعًا لا يرغبون لهذه الأمة أدنى خير من الله.
- التسليم المطلق لله في أحكامه وشرائعه فهو الذي ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء.
- توجيه الأمة نحو الاحتراس من السير على طريق بني إسرائيل في تعنتهم وسؤال الرسول ما لا ينبغي.
- أن اليهود والنصارى لا يرضون عن المسلمين أبدًا إلا أن يتركوا دينهم ويتبعوهم.
- أن الجنة إنما ينالها المؤمن التقي الذي عمل الصالحات.
- أن ولاية اليهود والنصارى تُفْقِد ولاية الله تعالى وتحرم نصرته.

وعلى العموم: فإن هذه الآيات أعطت للأمة المسلمة درسًا في انحراف أمة بني إسرائيل عن دين الله تعالى، ودرسًا في أن على المسلمين أن لا يقعوا فيما وقعت فيه، وأن لا يسيروا في الطريق الذي سلكته.

٥- بيان قصة إبراهيم الخليل عليه السلام الذي قام بأمر الله وبما كلف به من أوامر ونواهي خير قيام وقد جاء ذلك في ثمان عشرة آية من قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (البقرة الآية ١٢٤) إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة الآية ١٤١) فتناولت ما يلي:

- أن الإمامة لا تكون إلا لمن قام بحق الله.
- أن القيام بالتكاليف الشرعية قولًا وعملًا تؤهل صاحبها لأن يكون قدوة صالحة للناس.
- أن البيت الحرام إنما وجد بأمر الله، وجعله مثابة للناس وأمنًا يطوفون به ويعتكفون ويركعون ويسجدون موحدين الله عز وجل.
- دعوات إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- حين رَفْعِها القواعد من البيت (الكعبة) وفيها دلالة على:
    - الرغبة في قبول العمل.
    - توفيقهما للإسلام.
    - الرغبة في استمرار الإسلام في الذرية.
    - الرغبة في التعرف على مناسك الحج والعمرة.

- ○ الرغبة في مغفرة الله تعالى.
- ○ الرغبة في أن يبعث الله للذرية رسولًا يتلو عليهم.

- أن الدين عند الله هو الإسلام، فمهما أمر الله به أو نهى عنه، أو اختاره فإن على الإنسان أن يستسلم لله في ذلك، ومن لم يفعل فإنه من السفهاء الذي لا يعرف أمر نفسه.
- استحباب الوصية بالإسلام والموت عليه.
- أن دعوى أهل الكتاب من أن الهداية في اتباع اليهودية والنصرانية لم تكن عن دليل أو شبهة، بل هي مجرد جحود وعناد.
- أن الهداية والسعادة في ملة الإسلام الملة الحنيفية السمحة دين جميع الأنبياء والمرسلين.

فهذه القصة تعطينا أنموذجًا لمن اتبع الهدى، وأن علينا الاقتداء به باتباع هدى الله فهو الطريق الصحيح لعبادته.

٦- بيان القبلة التي هي أحد مرتكزات العبادة لله وحده، فالركوع والسجود الواردان في قصة إبراهيم الخليل ﷺ يحتاجان إلى قبلة فجاءت هذه الآيات لتوضيح قبلة هذه الأمة، وما يجب أن يتبعه المسلم وذلك في أحد عشر آية من قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (البقرة الآية ١٤٢) إلى قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ (البقرة الآية ١٥٢).

وقد دلت في مجملها على ما يلي:

- أن الأصل هو طاعة الله واتباع هداه، والقيام بالتكليف أيًّا كان.
- أن تحويل القبلة إلى الكعبة ينسجم مع وسطية هذه الأمة، ليكونوا شهداء على سائر الأمم يوم القيامة، ويكون الرسول وحده شهيدًا على هذه الأمة.
- أن اعتماد القبلة إلى بيت المقدس أولًا ثم إلى الكعبة ثانيًا، ليظهر حال من يثبت على إيمانه، وإنقياده لله ولرسوله ممن يؤثر فيه السفهاء فينقلب على عقبيه مرتدًا عن دينه.
- طمأنة المسلمين على صلاتهم الأولى إلى بيت المقدس، وأن الله يجازيهم بها كاملة.
- الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام في الصلاة، وأن هذا جاء بعد تطلع من الرسول ﷺ إليه.
- أن أهل الكتاب يعلمون أن كعبة إبراهيم هي قبلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
- التحذير من متابعة أهل الكتاب في أهوائهم وبخاصة وهم يعرفون ويكتمون.
- تعظيم أمر الحق والحث على اقتفائه، وأن على هذه الأمة أن تفعل الخيرات.
- تأكيد الأمر بالتوجه الى المسجد الحرام والثبات على ذلك.

- أن في الأمر بالتوجه الى المسجد الحرام رد على اليهود الذين يقولون: ينكرون ديننا ويستقبلون قبلتنا. وعلى المشركين الذين يقولون: يدَّعون أنهم على ملة إبراهيم ويخالفون قبلته.
- إتمام النعمة على هذه الأمة وهدايتها إلى الحق.
- إن من نعم الله على هذه الأمة إرسال الرسول محمد ﷺ منهم ليتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلمهم ما يحتاجونه من أمور الدين والدنيا.
- مشروعية مقابلة هذه النعم بذكر الله وشكره، وعدم نسيانه وكفره.

ويلاحظ أن الآيتين الأوليين في حديث هذه السورة عن القبلة من قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة الآية ١٤٢) جاءتا لتعليل تغيير القبلة، ثم الآيات الخمس التي تليها من قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ (البقرة الآية ١٤٤) للأمر بتغيير القبلة، ثم الآيات الأربع الأخيرة من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ (البقرة الآية ١٥٠) لتأكيد الأمر بالتغيير.

٧- توجيه الأمة المسلمة لذكر الله وشكره، وعدم نسيانه وكفره، وفي ذلك إرشاد لها على الثبات على أوامر الله واجتناب نواهيه، وهو طريق التقوى الذي عليه مدار هذه السورة الكريمة.

جاء ذلك في خمس عشرة آية من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة الآية ١٥٣) إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة الآية ١٦٧).

ومما تحدثت عنه هذه الآيات، ويدل على طريق التقوى ويعمقه ما يلي:

- الاستعانة بالصبر والصلاة.
- أن من يقتل في سبيل الله حي عند الله.
- الصبر عند البلاء والمصائب.
- الاسترجاع في حال المصيبة.
- الأمر بالسعي بين الصفا والمروة.
- الترهيب من كتمان ما أنزل الله.
- التحذير من الموت على الكفر.
- التذكير بوحدانية الله ورحمته، والدليل على ذلك بالتفكر في آيات الله في هذا الكون، والنهي عن اتباع الغير بالباطل.

٨- بيان الحلال والحرام من المطاعم، وأن المؤمنين المتقين هم الذين يتبعون أوامر الله ويجتنبون نواهيه، وأن الكافرين الجاحدين هم الذين يتبعون خطوات الشيطان وما كان عليه آباءهم من ضلال.

جاء ذلك في ست آيات من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة

الآية ١٦٨) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة الآية ١٧٣).

ومما تحدثت عنه:

- دعوة الناس جميعًا إلى أكل الحلال وترك اتباع خطوات الشيطان.
- أن استحلال أكل الحرام، واتباع خطوات الشيطان ومتابعة الأباء -فضلًا عن غيرهم- على عمى، سمات الكافرين.
- دعوة المؤمنين خصوصًا -لأنهم المستجيبون لدعوة القرآن- للأكل من الطيبات، وشكر الله على ذلك، واجتناب المحرمات من المطعومات.
- أن أكل الحلال وشكر الله على ذلك أثر من آثار العبادة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة الآية ١٧٢)[1].

٩- النهي عن كتمان ما شرع الله، وأن ذلك من الانحراف عن أمر الله، والوعيد الشديد على من يفعل ذلك.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ

---

(١) ينظر: الأساس في التفسير ١/٣٧٧.

أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(البقرة الآيات ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦).

١٠- بيان حقيقة البر حيث ورد في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(البقرة الآية ١٧٧).

وفيها جماع حقيقة التقوى وما يجب أن يكون عليه المؤمن حيث وضحت أن البر ستة أمور:

- الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.
- الإنفاق مما يجب على ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب.
- إقام الصلاة.
- إيتاء الزكاة.
- الوفاء بالعهد.
- الصبر على كل حال في البأساء والضراء وحين البأس.

ومما يدل على عظم هذه الآية ما قاله ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لها: "اشتملت هذه الآية الكريمة، على جمل عظيمة، وقواعد عميقة، وعقيدة مستقيمة" ثم نقل قول الثوري في بيانه لهذه الآية قائلًا: "قال

الثوري: هذه أنواع البر كلها، فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله" وعقب عليه بقوله: "وصدق رحمه الله"(١).

١١- الحديث عن بعض التشريعات الإسلامية وأن إقامتها وتنفيذها والعمل بها طريق إلى تحقيق وتحصيل التقوى، ولذلك نلحظ أنه بعد كل حكم أو عبادة شرعية يأتي التعقيب عليها بالأمر بتقوى الله، وأن من يلتزم ما أمر الله به واجتنب ما نهى الله عنه فهو من المتقين.

جاء ذلك في ثلاثين آية من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ (البقرة الآية ١٧٨) إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (البقرة الآية ٢٠٧).

فلننظر إلى ذلك:

- "آيات القصاص وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٤٨٥، ٤٨٦.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة الآيتان ١٧٨، ١٧٩) ختمتا بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وفي ذلك دلالة على أن القصاص من طرق تحقيق التقوى في المجتمع حيث فيه زجر الناس عن محارم الله ومآثمه.

- آيات الوصية وهي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة الآيات ١٨٠- ١٨٢) جاء فيها أن الوصية حق من الحقوق على الذين يتقون الله، فالاهتداء بهدي الله في الوصية والميراث من صفات المتقين.

- آيات الصيام وهي خمس آيات من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة الآية ١٨٣) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة الآية ١٨٧).

ويلاحظ أنه كلمة التقوى وردت في الآية الأولى والأخيرة لما في الصوم من تزكية للنفس وإبعادها عن مسالك الشيطان ومرافقة السوء، وهو فريضة سنوية ليحقق التقوى في نفس المؤمن، فالنفس بحاجة إلى ما يوجهها ويثير فيها دوافع الإيمان.

ومما يلاحظ في آيات الصيام مجيء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة الآية ١٨٦) بين آيات الصيام يقول عن ذلك ابن كثير: "وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر"[١].

- آية تحريم الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة الآية ١٨٨).

وقد جاءت بعد بيان بعض الأحكام الشرعية للناس ليتقوا الله بفعل المعمول وترك المنهي، ويتجلى أثر التقوى كثيراً في التورع عن أكل الحرام، لما جبل عليه الإنسان من حب المال فإذا خالف هواه دل ذلك على تقواه.

- آية الأهلة، وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة الآية ١٨٩).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٠٩/١.

وقد جاء فيها السؤال عن الأهلة لماذا تنتقل من حال إلى حال، فأتى الجواب ليبين فائدتها في توقيت كثير من العبادات، فخالف ما سئل عنه، إلى ما كان ينبغي السؤال عنه، كما أن سؤالهم هذا يشبه إتيان البيوت من ظهورها، فكما أن الحق أن يأتوا البيوت من أبوابها فكذا عليهم أن يأتوا الأمور من وجوهها، فليس البر بمخالفة أمر الله، وإنما البر هو تقوى الله ﷻ باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وهو الذي يكون فيه الفلاح والفوز.

- آيات القتال وهي ست آيات من قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (البقرة الآية ١٩٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (البقرة الآية ١٩٥).

وقد جاء فيها ذكر التقوى بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ (البقرة الآية ١٩٤) ليشير إلى أن التقوى مطلوبة في جميع الأحوال فكما هي مطلوبة في السلم فهي مطلوبة في الحرب، أي: فاتقوا الله إذا انتصرتم فلا تعتدوا ولا تظلموا، واعلموا أن الله نصير المتقين ومؤيدهم. كما أن فيها دفع لما قد يتوهم أن من التقوى ترك القتال.

ومما يلاحظ ورود قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (البقرة الآية ١٩٥) في خاتمة آيات القتال وقد تعددت أقوال المفسرين في معناها، والذي يتضح لي من خلال سياقها

مع آيات القتال أن معناها وأنفقوا في سبيل الله في سائر وجوه القربات وبخاصة في قتال الأعداء، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة إذا تركتم الجهاد وقصّرتم في الإنفاق في سبيل الله.

- آيات الحج والعمرة وقد جاءت في ثمان آيات من قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (البقرة الآية ١٩٦) إلى قوله تعالى: ﴿۞وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة الآية ٢٠٣).

وقد جاء فيها الأمر بإتمام الحج والعمرة لله ﷻ، وأن يراد بهما وجه الله تعالى، وقد ورد فيها الأمر بالتقوى في ثلاثة مواضع مما يدل على أن الحج والعمرة طريقان للتقوى، حيث يستسلم المسلم في كل أعماله لله، ويعتاد على تعظيم الله في كل مناسكه حيث الأمر بالدعاء والتلبية والتهليل والتكبير والاستغفار لتقوى الصلة والارتباط بالله ﷻ، ويزيده ذلك تقوى الله ﷻ.

- آيات تقسيم الناس في ميزان التقوى، وهي أربع آيات من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ (البقرة الآية ٢٠٤) إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (البقرة الآية ٢٠٧).

جاء فيها أن الناس في ميزان التقوى صنفان:

- ○ منافق يظهر غير ما يبطن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم.
- ○ مخلص متق باع نفسه كلها ابتغاء مرضاة الله تعالى.

وفي هذا دليل على أن محل التقوى هو القلوب لا الألسنة، والأعمال لا الأقوال.

١٢- دعوة الأمة للدخول في الإسلام دخولًا كليًا، لأن الشخصية المسلمة لا تتكامل إلا باتباع جميع الأحكام الشرعية جاء ذلك في سبع آيات من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (البقرة الآية ٢٠٨) إلى قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ (البقرة الآية ٢١٤). حيث بين فيها ما يلي:

- أن على المسلم أن يستسلم كله لله باتباع جميع شرائعه دون تخير بينها وفق ما تمليه الأهواء والرغبات.

- النهي عن اتباع خطوات الشيطان في ذلك.
- التحذير من الزلل بعد البيان.
- البعد عن التسويف والمماطلة في التوبة.
- بيان لأنموذج ممن تلكؤا في الاستجابة بعد أن جاءهم البيان وهم بنو إسرائيل.
- بيان طبيعة الكافرين الجاحدين، والحذر من السير في طريقهم.
- بيان الحكمة من إرسال النبيين، والتذكير بمنة الله على من يشاء هدايته.
- أن من يؤمن بدعوة الأنبياء قد يتعرض للابتلاء والامتحان فعليه الصبر حتى النصر.

١٣- عرض لبعض الأحكام الشرعية التي ثارت في أذهان الصحابة فسألوا عنها سؤال رغبة في معرفة حكم الله فيها؛ لكي يطبقوه ويعملوا به، وقد جاء ذلك في خمسة أسئلة في ست آيات من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (البقرة الآية ٢١٥) إلى قوله تعالى: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة الآية ٢٢٠) وهذه الأسئلة هي:

- السؤال عن الإنفاق ومصرفه.

- السؤال عن القتال في الشهر الحرام.
- السؤال عن الخمر والميسر.
- السؤال عن النفقة الزائدة عن الحاجة.
- السؤال عن كيفية التعامل مع مال اليتيم.

١٤- عرض لبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالأسرة باعتبارها النواة الأولى لبناء المجتمع المسلم، فبصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع، وقد جاءت في ثنتين وعشرين آية من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة الآية ٢٢١) إلى قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة الآية ٢٤٢) وهذه الأحكام هي:

- النهي عن زواج المسلم بمشركة، وعن تزويج المشرك بمسلمة.
- النهي عن مباشرة النساء في المحيض.
- النهي عن جعل الحلف مانعًا من البر والتقوى.
- بيان حكم الإيلاء.
- حكم عدة المطلقة.
- حكم عدد الطلاق وما يترتب عليه من أحكام.
- كيفية معاملة المطلقة.

- حكم الرضاع والاسترضاع ومدته.
- عدة المتوفى عنها زوجها.
- حكم التعريض بخطبة النساء أثناء العدة.
- حكم المطلقة قبل الدخول بها.
- حكم المتعة للمتوفى عنها زوجها والمطلقة.

ويلحظ أنه قد جاءت بين أحكام الأسرة آيتان في المحافظة على الصلوات في الخوف والأمن، وهما قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة الآيتان ٢٣٨، ٢٣٩).

وقد أكثر المفسرون(١) في بيان مناسبتهما لما قبلهما وما بعدهما، والذي ظهر لي أن الآيات السابقة واللاحقة تحدثت عن الأحكام الأسرية بين الزوجين، وما قد يحصل بينهما من خلاف يؤدي إلى الطلاق وكراهية في الأنفس ومشاحة في المال.. والتهاون في الصلاة وعدم المحافظة عليها قد يحصل منه مثل هذا الخلاف، لذا جاء الأمر هنا بالمحافظة على الصلوات فهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتطرد وساوس النفس والشح في المال، ولعل اختيار لفظة "حافظوا" دون لفظة "أقيموا" فيها دلالة على أن المقصود المحافظة عليها لا إقامتها ابتداء، فجاء الأمر

(١) ينظر: البحر المحيط ٢/٥٤٢.

بالمحافظة عليها دائمًا وبخاصة في مثل هذه الأحوال التي هي مظنة التهاون بها.

١٥- الأمر بالقتال وما يتوقف عليه من بذل المال والاستعداد للمدافعة، وأن الفرار منه لا ينجي من الموت، وأن الخوف من الفقر لا يغير من أمر الله شيئًا، وهذا من إعداد الأمة المسلمة لتأخذ طريقها وتنهض بما كلفت به.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة الآية ٢٤٣) إلى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة الآية ٢٥٤) وضرب الله فيها مثلين لما حصل لجماعتين سابقتين للأمة المسلمة:

الأولى: جماعة خرجت من ديارها فارّة من عدوها على كثرتها، فاستحقت بذلك الموت، فالحذر منه لا يفيد، والهروب منه لا يزيد في الأجل.

الثانية: جماعة من بني إسرائيل أخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر، فلما كتب عليهم القتال للدفاع عن ديارهم وأنفسهم تولوا وأعرضوا إلا قليلًا منهم صبروا فظفروا بالنصر على قلّتهم مع كثرة عدوهم وطغيانه. فليست العبرة إذن بكثرة العدو، بل بإيمان أهل الحق وصمودهم.

كما بين الله ﷻ بعد هذين المثلين أن محمدًا ﷺ من المرسلين، وأن الله فضل بعض المرسلين على بعض، فكلهم له فضل، وكلهم دعوتهم واحدة، ورسالتهم واحدة، ومن ثَمّ فلا داعي لأن يكون الاختلاف بين أتباعهم يؤدي إلى الاقتتال بينهم، فكان الواجب عليهم اتحادهم للقتال في سبيل الله فهو الطريق الذي يجب أن تسلكه الأمة المسلمة فتتعض وتعتبر بماحل بتلك الأمم، ومما يلحظ أن أكثر ما يصرف الناس عن القتال حب المال وحب الدنيا، ولهذا أعقب الله ﷻ هذه الآيات بالأمر بالإنفاق في سبيل الله في الجهاد وغيره.

١٦- تقرير وحدانية الله تعالى و تفرده بالألوهية والقيام بأمر الخلائق، والحياة الدائمة، والملكية المطلقة لكل شيء، والعلم المحيط بكل شيء، وعلوه وعظمته، ومَنْ هذه صفاته حقيق بأن يكون هو المستحق للعبادة دون غيره بلا إكراه أو إجبار، وأن الإيمان به والكفر بالطاغوت هو الأصل الذي يجب أن يكون عليه الناس.

جاء ذلك في ست آيات من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (البقرة الآية ٢٥٥) إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ

ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (البقرة الآية ٢٦٠).

وقد عرض فيها لثلاثة نماذج للتأكيد على وجود الله تعالى وقدرته على الإحياء والبعث بعد الفناء:

الأول: لمن يجادل في الله وربوبيته والرد عليه بظاهرة الإحياء والأماتة.

الثاني: لمن يستبعد قدرة الله على إحياء قرية خاوية على عروشها بإماتة هذا الإنسان ثم إحيائه.

الثالث: لإبراهيم عليه السلام في إثبات البعث والنشر بعد الفناء بالدليل الحسي.

فالله عز وجل هو الحي القيوم، المالك للحياة، المانح لها، القائم بأمر العباد والبلاد، بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير.

١٧- بيان فضل الإنفاق في سبيل الله وآدابه، والتحذير من الربا وعواقبه، وذكر بعض المعاملات البديلة عنه، وفي ذلك درس لإقامة أحكام الإسلام كلها، وأن على المسلم الالتزام بأمر الله وشرعه، وأن التقوى ليست بإقامة العبادات فقط. بل هي امتثال جميع أوامر الله واجتناب مناهيه، عبادات ومعاملات..

جاء ذلك في أربع وعشرين آية من قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة الآية ٢٦١) إلى قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ

أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة الآية ٢٨٤).

ومما تحدثت عنه:

- مضاعفة الثواب لمن أنفق في سبيل الله.
- ما يجب أن يتصف به المنفق من الإخلاص لله وتزكية النفس، والبعد عن الرياء والمن والأذى.
- وصف المال المُنْفَق، وأن يكون من جيده وطيبه.
- وَعْدُ المُنْفِق، بالجزائر والإخلاف، والتحذير من وساوس الشيطان وتثبيطه عن الإنفاق.
- التحذير من الرباء والوعيد الشديد للمتعامل به.
- وجوب التوبة من الربا.
- بيان المعاملات الصحيحة لتنمية المال وزيادته، كالقرض الحسن بلا فائدة، والتعامل بالدين المؤجل، وطريق توثيقه وحفظه، وطريق تنمية المال بالتجارة.
- إحاطة الله تعالى بما في السماوات والأرض مُلْكًا وخَلْقًا وتصريفًا وعِلمًا، فهو العالم بالظاهر والباطن، بما تبديه الأنفس وما تخفيه، فيحاسب الجميع على أعمالهم، لا يَسْأل عما يفعل وهم يُسألون.

وبعد: فإن الحديث عن الإنفاق في سبيل الله يدلل على نفس خيرة مؤمنة بالله واليوم الآخر، تعطي بلا عوض ولا رد، تقربًا إلى الله، وطلبًا

لمرضاته، بينما المتعامل بالربا يدلل على النفس الجشعة المستغلة التي تأخذ ولا تعطي دون أن تتحمل أي خسارة.

١٨- الشهادة للرسول ﷺ وللمؤمنين بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والسمع والطاعة لله والدعاء والالتجاء إليه. جاء ذلك في الآيتين الأخيرتين في هذه السورة وهما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦).

وتدلان على حال المسلم: يعمل بما في وسعه، ويشعر بالتقصير، ويرجو الله رجاءً لا ينقطع، ويتطلع إلى عفو الله ومغفرته.

وهكذا: نجد أن سورة البقرة تبني المسلم على الإيمان والتقوى، مبتدئة بالحث على الإيمان بالله والعمل على تقواه، وبيان حال الناس، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم، وتذكير الأمة المسلمة بحال السابقين لها استقامةً وانحرافًا لكي تتعظ وتعتبر بما حل بتلك الأمم، وتعرض الكثير من الأحكام و التكاليف الشرعية لتلتزم بها الأمة في حياتها، وختمت بوعد الله لها بعدم تكليفها بأكثر من وسعها، وتعليمها

الدعاء الذي تلتجيء به إلى الله بالرفع عنها ما نسيته وأخطأته، وما حُمِّلت به الأمم السابقة من الآصار والأثقال، وطلب العفو والمغفرة والرحمة من المولى عز وجل. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣- سورة آل عمران

أولًا: مقصود سورة آل عمران:

﴿تقرير توحيد الله تعالى، وموقف أهل الكتاب والمشركين منه، والتحذير من موالاتهم وكيدهم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة آل عمران، ومن هؤلاء:

١- ابن تيمية، حيث قال عن سورة آل عمران: "ولهذا تضمنت مناظرة أهل الكتاب، ومباهلتهم"(١).

٢- الزركشي، حيث قال عن سورة آل عمران: "وآل عمران مكملة لمقصودها- أي لمقصود البقرة- فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه منها بظهور الحجة والبيان، فإنه نزل أولها في آخر الأمر لما قدم وفد نجران النصارى، وآخرها يتعلق بيوم أحد، والنصارى تمسكوا بالمتشابه، فأجيبوا عن شبههم بالبيان، ويوم أحد تمسك الكفار بالقتال، فقوبلوا بالبيان، وبه يعلم الجواب لمن تتبع المتشابه من القول والفعل"(٢).

---

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٣/١٨٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦١.

٣- البقاعي، حيث قال: "المقاصد التي سيقت لها هذه السورة: إثبات الوحدانية لله ﷻ"(١). وقال: مقصودها: التوحيد"(٢).

٤- الفراهي، حيث قال: "سورة آل عمران سورة الإسلام، وهو طاعة النبي ﷺ فهي أشبه بالسابقة – يعني البقرة- لما أن الإسلام إنما هو الجانب الظاهر من الإيمان"(٣).

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إثبات أن دين الإسلام هو الحق ردًّا على شبهات أهل الكتاب وتثبيتًا للمؤمنين"(٤).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة آل عمران عدة أسماء منها:

١- سورة آل عمران، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود ذكر آل عمران واصطفاء الله لهم فيها، في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الآيات ٣٣ وما بعدها.

٢- سورة الزهراء، وتشترك في هذا الاسم مع سورة البقرة كما مرّ في سورة البقرة.

وذكر عدد من المفسرين أسماء أخر لها، ومنها: الكنز، الأمان، المجادلة، الطيبة،

---

(١) نظم الدرر ٤/١٩٥.

(٢) مصاعد النظر ٢/٦٧.

(٣) دلائل النظام ٩٣.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٠.

المغنية، التوحيد. وهي كما يلاحظ أوصاف لها[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث تحدثت عن آل عمران، أي: عيسى وأمه ووالدها، وما ظهر فيها من قدرة الله بولادة مريم لابنها عيسى عليهما السلام. وإقامتها الحجة على أهل الكتاب ودعوتهم إلى توحيد الله.

رابعًا: دلالة آياتها مقصودها:

ضمت سورة آل عمران مائتي آية، تحدثت في مجملها عما يلي:

١-وحدانية الله تعالى وقيوميته، جاء ذلك في سبع عشرة آية من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ (آل عمران الآيتان ١، ٢) إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ (آل عمران الآية ١٧). وفيها بيان أن من آثار ذلك:

- إنزال الكتب هدى للناس، وأن بعضها يصدق بعضًا.
- علم الله المطلق بما في الأرض وبما في السماء.
- أن الله هو الخالق المصور في الأرحام كما يشاء.
- إنزال القرآن واشتماله على المحكم والمتشابه وموقف الناس منهما.
- أن كثرة المال والولد لن يغنيا الكفار من الله شيئا، وضرب لذلك مثلًا بآل فرعون ومن قبلهم حيث أهلكهم ونصر موسى ومن معه. وبغزوة بدر

(١) ينظر: البحر المحيط ٩/٣، ونظم الدرر ١٩٧/٤، ومصاعد النظر ٦٤/٢، وروح المعاني ٧٣/٣، ومحاسن التأويل ٤/٤، والتحرير والتنوير ١٤٣/٣.

حيث نصر فيها المؤمنين على قلتهم ولم تنفع الكافرين أموالهم وأولادهم وعتادهم.

- ابتلاء الناس بتزيين الحياة الدنيا بالشهوات.
- تصوير حال المتقين، وأن ما عند الله خير للأبرار.

٢-بيان وحدانية الله تعالى وتفرده بالألوهية والدين الذي ارتضاه لعباده. جاء ذلك في ثمان آيات من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران الآية ١٨) إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران الآية ٣٢).

ومما تضمنته ما يلي:

- شهادة الله والملائكة وأولوا العلم بوحدانية الله وتفرده بالألوهية.
- أن الدين المرضي عند الله هو دين الإسلام.
- أن الاختلاف في الدين وعدم اتباعه سببه البغي والحسد.
- محاجة أهل الكتاب في أمر الإسلام، ووصف الداء الذي كانوا يعانون منه.
- تذكير النبي ﷺ أمته أمام موقف الكفار وأهل الكتاب من دعوته بقدرة الله تعالى وسلطانه المطلق.

- أن الالتجاء يجب أن يكون لله تعالى وحده، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه.

- أن محبة الله تعالى تكون بمتابعة رسول الله ﷺ وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.

- أن الإسلام المقبول من العبد يكون بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ.

٣-تأكيد حقيقة التوحيد وألوهية الله ﷻ من خلال قصة عيسى وأمه، وما فيها من نفي لشبهة الولد والشريك، جاء ذلك في واحد وثلاثين آية من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران الآية ٣٣) إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (آل عمران الآية ٦٣).

ومما تضمنته:

- اصطفاء الله ﷻ لآدم ونوح بشخصيهما، وآل إبراهيم وآل عمران بهما وبذريتهما على العالمين، ثم بسط اصطفاء آل عمران.

- بيان قصة زكريا وولادة ابنه يحيى من أب كبير وأم عاقر.

- بيان قصة مولد مريم وتاريخه، وأن الله اصطفاها لكثرة عبادتها وزهدها وشرفها وطهارتها حسيًا ومعنويًا.

- تقرير نبوة محمد ﷺ، حيث أخبره الله عن قصة زكريا ومريم دون علم مسبق بهما.

- بيان قصة ولادة عيسى بن مريم وبعثته وأحداثها بما لا يدع مجالًا للشك لإثارة أية شبهة في بشريته الكاملة، وفي ذلك رد على النصارى الذين ادعوا ألوهيته أو أنه ابن الله. وإن خلقه على غير السنن المعروفة لا يقتضي تفضيله على غيره من الأنبياء، بل وكيف يكون إلها.
- اثباته عبودية عيسى الكاملة لله وحده وأنه عبد الله ورسوله.
- دحض شبهة أهل الكتاب الذين حصروا النبوة في بني إسرائيل.
- إبطال شبهة المشركين الذين تصوروا النبي غير بشر، وهو لا يكون إلا بشرًا من جنس المبعوث إليهم.

٤-دعوة أهل الكتاب إلى توحيد الله تعالى والاقتداء بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ومن ثم الإيمان بمحمد ﷺ وما جاء به من الحق. جاء ذلك في ست وثلاثين آية من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران الآية ٦٤) إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران الآية ٩٩).

ومما تضمنته:

- الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

- توبيخ أهل الكتاب في دعواهم أن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا والرد عليهم.
- بيان أن أولى الناس بإبراهيم الذين آمنوا به في عصره وبعده، وأيضًا محمدًا ﷺ والذين آمنوا معه.
- حرص أهل الكتاب على إضلال المسلمين.
- توبيخ أهل الكتاب على ضلالهم: بكفرهم بآيات الله، وخلطهم الحق بالباطل، وكتمانهم الحق الذي هو نبوة محمد ﷺ.
- بيان بعض اعتقادات أهل الكتاب التي تجعل بعضهم يستبيح الخيانة في الدين والكيد للمسلمين.
- تحذير المسلمين من الاغترار بأهل الكتاب بتحريفهم كلام الله، وتغييرهم أوصاف رسول الله الموجودة في كتبهم.
- إقامة الحجة على أهل الكتاب حتى يؤمنوا بمحمد ورسالته.
- بيان بعض افتراءات أهل الكتاب على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.
- دعوة الناس للإيمان بجميع الأنبياء وبكتبهم وبالإسلام.
- بيان حال الكافرين وموقفهم من الإسلام وجزائهم عند ربهم.
- بيان أن نيل البر (جماع التقوى) يكون بالإنفاق في سبيل الله مما يحب الإنسان.

- إبطال دعوى اليهود في أن إبراهيم كان يحرم بعض الأطعمة ومحمدًا يأكلها، ودعواهم أن بيت المقدس أول قبلة شرع للناس استقبالها ومحمدًا تحول عنها.
- تأنيب أهل الكتاب على كفرهم بآيات الله وصدهم الناس عن الإسلام وابتغائهم العوج بسبب ذلك.

٥-توجيه الأمة الإسلامية في العلاقة مع أهل الكتاب وما ينبغي لها أن تسلكه وبخاصة فيما يتوهمه المسلمون من أن فيه مصلحة لهم، وهي بهذا تسير مع المقصود العام للسورة في توضيح وبيان المعتقد مع أهل الكتاب وتناولت بخاصة ثلاث قضايا:

الأولى: التحذير من طاعة أهل الكتاب.

الثانية: التحذير من اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

الثالثة: التحذير من الربا مهما زينه أعداء الأمة لهم.

جاء ذلك في تسع وأربعين آية من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران الآية ١٠٠) إلى قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران الآية ١٤٨).

ومما تضمنته:

- تحذير المؤمنين من طاعة فريق من أهل الكتاب ممن يَرُدَّ الكفر والردة للمؤمنين.
- أن الهداية إلى الطريق المستقيم مدارها الاعتصام بالله وبكتابه.
- توجيه الأمة الإسلامية إلى ما ينبغي لها أن تفعله لتكون معتصمة بالله مبتعدة عن طريق أهل الكتاب. ومن تلك التوجيهات:
    - الأمر بتقوى الله ﷻ والموت على الإسلام.
    - الأمر بالاعتصام بحبل لله والنهي عن التفرق، وتذكيرهم بنعمة الله بتأليف قلوبهم بعد ما كانوا فرقًا وخصماء.
    - الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
    - النهي عن التفرق والاختلاف.
    - بيان مآل من لزم الحق وأهله ممن ترك الحق وأهله.
- دعوة أهل الكتاب لأن يسلكوا سبيل هذه الأمة بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- طمأنة المؤمنين بشأن الفاسقين من أهل الكتاب، حيث لن يضروا المؤمنين إلا في حدود الأذية فقط، وأنهم عند قتالهم سيولون الأدبار، وأن الله ضرب عليهم الذلة والمسكنة وذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم.

- أن من يؤمن من أهل الكتاب لا يستوي مع الفاسقين منهم.
- أن الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم مؤاخذون بكفرهم فلا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا، وضرب المثل بذلك.
- تحذير المؤمنين من اتخاذ بطانة لهم من غيرهم من أهل الكتاب والكافرين عمومًا، وبيان سبب ذلك وما فيه من ضرر على الأمة في الدين والدنيا.
- أن الصبر والتقوى يبعدان المؤمنين من كيد الكافرين وحقد الحاقدين، وأنهما خير لهم من اتخاذ البطانة من دونهم، وضرب لذلك مثالين تطبيقيين حدثا لهذه الأمة:

الأول: لم يصبروا فيه ولم يتقوا فأصابتهم الهزيمة وذلك يوم أحد.

الثاني: صبر فيه المؤمنون واتقوا فانتصروا وهزموا عدوهم وذلك يوم بدر.

- التحذير من صفة لازمة لليهود والمشركين وهي الربا، وأن السعادة ليست فيه، بل بتقوى الله وامتثال أوامره.
- بيان صفة أهل الجنة المتقين وجزاؤهم عند ربهم.
- بيان سنة الله تعالى في الخلق بنصر الحق على الباطل، وأنه إن حصل انهزام للمسلمين فإن الأيام يداولها الله بين الناس، ليمحص أهل الحق والإيمان من المنافقين والمقصرين.
- بيان أن طريق السعادة منوط بالجهاد والصبر باتباع أمر الله وأمر رسوله والاقتداء بالأنبياء.

٦-بيان العلاقة بين المؤمنين والكافرين، جاء ذلك في سبع آيات: من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ﴾ (آل عمران الآية ١٤٩) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آل عمران الآية ١٥٥).

ومما تضمنته:

- التحذير من طاعة الكافرين والمنافقين، وبيان أن طاعتهم توصل إلى الردة عن الإسلام، فالله هو المولى وهو الناصر.
- وعد من الله بنصر المؤمنين، وإلقاء الرعب في قلوب الكافرين.
- أن النصر للمؤمنين لا يتحقق إلا بقيامهم بأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ في جميع شؤونهم.

٧-بيان موقف المؤمنين والكافرين من الموت والقتل، جاء ذلك في أربع وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران الآية ١٥٦) إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ

﴿يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ (آل عمران الآية ١٧٩).

ومما تضمنته:

- نهي المؤمنين عن مشابهة الكافرين في معتقدهم في قضية الموت من أن القتال أو الضرب في الأرض يقطع الآجال أو يقربها.
- بيان أن الموت والحياة بيد الله ﷻ، فالقعود عن الجهاد وعدم السفر في الأرض لا يمنعان الموت، والقتال والسفر لا يعجلان الموت، فكل شيء بقضاء الله وقدره.
- أن القتل في سبيل الله يزيد المؤمن سعادة، لأنه سينال المغفرة والرحمة من الله. والموت للكافر يزيده حسرة وندامة.
- أن النبي ﷺ لم يتحسر على من قتل يوم أحد، وذلك لأنه اتخذ قراره بعد مشاورة أصحابه وتوكلٍ منه على الله.
- أن النصر والغلبة يأتيان من عند الله تعالى، ومفتاحهما التوكل على الله، وأنه لا أحد يستطيع منع النصر والغلبة من الله.
- أن عدم النصح لولي الأمر واتهامه بعدم الأمانة، والتأخر في نصرته، وتثبيط المؤمنين عن مؤازرته، من عوامل الهزيمة في القتال.
- أن المصائب إنما تقع بإذن الله، وبما عملته الأنفس وكسبته.
- أنه ليس بمقدور أحد أن يمنع نفسه من الموت قعد عن القتال أو قاتل.

- أن المقتول في سبيل الله له فضل عظيم ورزق كريم فهو عند الله حي يرزق، فرح بما أكرمه الله به، مستبشرٌ بإخوانه المؤمنين الذين خلفه على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا به نالوا مثل ما ناله.
- بيان صفات المؤمنين الذين يستحقون الشهادة، وهم الذين يستجيبون لله ولرسوله ﷺ في كل الأحوال ويتوكلون على الله في كل الظروف.
- التحذير من الشيطان ووساوسه في تخويف المؤمنين من أعداء الله.
- أن من يسارع إلى الكفر بعد الإيمان لن يضر الله شيئًا إنما يضر نفسه.
- أن إملاء الكافرين وإمهالهم ليس خيرًا لهم بل هو شر لهم، لأنهم به يزدادون إثمًا.
- أن امتحان المؤمنين ليميز الخبيث من الطيب، ويعرف المؤمن الصابر من المنافق الفاجر.

فعلى هذا ليس الإملاء علامة على الكرامة، ولا الابتلاء علامة على الإهانة.

٨- بيان لبعض أفعال اليهود وأقوالهم مع الله تعالى ورسوله ﷺ تعللًا منهم لدفع دعوة النبي ﷺ، جاء ذلك في عشر آيات من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران الآية ١٨٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران الآية ١٨٩).

ومما تضمنته:

- بخل اليهود بما آتاهم الله من فضله، وأن ذلك شر لهم.
- سوء أدبهم مع الله تعالى ومع أنبيائه، فقد نسبوا الفقر إلى الله، ونقضوا العهود، وقتلوا الأنبياء، وخانوا الأمانة.
- بيان أن كل عمل وفعل منتهٍ إلى غاية، وأن الجميع سيجازون على أعمالهم يوم القيامة.
- التنديد بأفعال اليهود وكتمانهم لما أخذ عليهم من العهد والميثاق ببيانه.

٩- بيان الصفات التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون المتقون، وعدم الاغترار بما عليه الكفار من سعة ورغد في العيش في الدنيا، جاء ذلك في أحد عشر آية من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(آل عمران الآية ١٩٠) إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران الآية ٢٠٠).

ومما تضمنته:

- إن على الإنسان النظر والتفكر في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ففيها الدلالة الواضحة على غنى الله وافتقار عباده إليه، وعلى ربوبيته لخلقه وألوهيته لهم.
- أن أولي الألباب هم: الذين يذكرون الله في كل أحوالهم، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويؤمنون بأن خلق هذا الكون ليس عبثًا،

ويدعون الله بالإيمان وطلب المغفرة وسؤال ما وعدهم من النصر والتمكين في الأرض وعدم الإخزاء يوم القيامة.

- وعد الله بالاستجابة لكل عامل من ذكر أو أنثى.
- تنبيه المؤمنين بعدم الاغترار بما يكون عليه الكافرون من نعمة ومتاع في الدنيا، وأن هذا لا يساوي شيئا أمام ما أعد للمتقين من جنات ونعيم في الآخرة.
- أن من يؤمن من أهل الكتاب، ولا يكتم ما بيده من علم وبشارة بمحمد ﷺ فإن أجره محفوظ عند الله.
- أن فلاح الإنسان لابد له من أربعة أمور: الصبر، والمصابرة، والتقوى، والمرابطة.

وهكذا: نجد أن سورة آل عمران يدور مقصودها على توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وإقامة الأدلة على ذلك، ومجادلة أهل الكتاب والكفار والمنافقين ورد الشبهات التي أثاروها من خلال ما ورد في قصة عيسى ومريم، وما حصل في وقعتي بدر وأحد وأثرهما على المسلمين. وهو ما قررناه في مقصودها، والله أعلم.

****

٤- سورة النساء

أولًا: مقصود سورة النساء:

﴿أحكام المجتمع المسلم، وعلاقته بأهل الكتاب والمنافقين﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النساء، ومن هؤلاء:

١- الزركشي، حيث قال: "وأما سورة النساء فتتضمن جميع أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله تعالى، ومقدورة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحها الله بقوله: ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ثم قال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (النساء من الآية ١) وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بينهم، وما تعلق بذلك من أحكام الأموال والفروج والمواريث، ومنها العهود التي حصلت بالرسالة، والتي أخذها الله على الرسل"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الاجتماع على التوحيد، الذي هَدَتْ إليه آل عمران، والكتاب الذي حدّت إليه البقرة، لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة"(٢).

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦١.

(٢) نظم الدرر ٥/١٦٩، ١٧٠، ومصاعد النظر ٢/٨٨.

٣- الفراهي، حيث قال: "سورة النساء كالردء لسورة الإسلام - يعني سورة آل عمران- بما أنها تبين أن الشريعة رحمة على الناس كافة وكذلك صاحبها"[(١)].

٤- وجاء في المختصر: "تنظيم المجتمع المسلم، وبناء علاقاته، والحث على الجهاد، وإبطال دعوى قتل المسيح"[(٢)].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة النساء اسمان هما:

١- سورة النساء، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لحديثها عن النساء والأحكام التي تتعلق بهن.

٢- سورة النساء الطولى أو الكبرى، لتمييزها عن سورة الطلاق التي تسمى سورة النساء الصغرى[(٣)].

ودلالة اسمها على مقصودها: لكثرة ما ورد فيها من أحكام تتعلق بالنساء، ويشمل ذلك الأسرة والمجتمع المسلم عمومًا.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورةِ النساء ستًا وسبعين ومائة آية، شملت في مجملها الحديث عما يلي:

---

(١) دلائل النظام ٩٣.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٧٧.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/١٦٩، والتحرير والتنوير ٤/٢١١.

١- الحديث عن الأقارب والعلاقات فيما بينهم من صلة الأرحام، وكيفية التعامل مع اليتامى والزواج منهم، وأحكام الإرث.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء الآية ١) إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء الآية ١٤) ومما تضمنته:

- بيان قدرة الله ﷻ في خلق الناس من نفس واحدة، وأثر ذلك في رعاية الرحم وتقوى الله ﷻ.
- الأمر بإعطاء اليتامى حقوقهم المالية، والقسط في التعامل معهم.
- النهي عن زواج الأولياء باليتيمات إذا خشي ظلمهن، وأن الأمر فيه سعة بالزواج من غيرهن إلى أربع نسوة في حالة العدل.
- وجوب إعطاء المرأة حقها من الصداق.
- بيان متى يعطى اليتيم ماله، وكيفية معاملته في حالة عدم رشده.
- استحقاق الرجال والنساء في الميراث.
- ندب الورثة إلى التصدق على ذوي القربى واليتامى والمساكين.
- الحث على معاملة أبناء الميت مثل ما يحب الناس أن يعامل أبناؤهم من بعدهم.

- التحذير من أكل أموال اليتامى ظلمًا.
- بيان الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة.
- الوعد الجزيل لمن أطاع الله ورسوله في حدوده، والوعيد الشديد لمن تعدى حدوده.

٢- تطهير المجتمع المسلم مما قد يحل به من خلل، والطريق إلى تصحيح ذلك.

جاء ذلك في أربع آيات من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ (النساء الآية ١٥) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ (النساء الآية ١٨) ومما تضمنته:

- بيان عقاب المرأة والرجل إذا زنيا، وأن حقيقة عقوبتهما إحسان لهما وللمجتمع، وليس كما يبدو من ظاهرها.
- أن التوبة تقبل ممن عمل الذنب بجهالة إذا تاب قبل وصول الروح إلى الحلقوم.
- عدم قبول توبة من يعمل السيئات، ويتوب إذا حضره الموت.
- أن من مات على كفره لا ينفعه ندمه ولا توبته.

٣- التعامل مع النساء وحفظ حقوقهن، والمحرم الزواج بهن، جاء ذلك في عشر آيات من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء الآية ١٩) إلى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ (النساء الآية ٢٨)

ومما تضمنته:

- إبطال إرث ذات النساء بالزواج منهن بعد وفاة أزواجهن، وإبطال أن يكون أولياء الزوج أحق بهن.
- النهي عن عضل المرأة بمضايقتها حتى تفدي نفسها منكم، ما لم تأت بفاحشة مبينة.
- الأمر بمعاشرة الزوجات بالمعروف، والصبر على ما قد يوجد فيهن من عيب أو نقص، فربما يجعل الله فيهن خيراً كثيراً.
- التحذير من أخذ شيء من مهور النساء ظلمًا بغير حق.
- بيان ما يحرم نكاحهن من النساء بسبب النسب والرضاع والمصاهرة.
- تحريم الزواج بالمتزوجة حتى يفارقها زوجها بطلاق أو موت، وحتى تنقضي عدتها.

- إباحة نكاح المملوكة بالسبي أو الشراء بعد الاستبراء ولو كان لهن أزواج في دار الحرب.
- إباحة الزواج بجميع النساء الأجنبيات غير المحرمات.
- وجوب المهور على الأزواج، وأن للمرأة الحق في إعطاء الزوج شيئًا منه.
- جواز التزوج من المملوكات بشرطه.
- بيان أن أحكام الله تحليلًا وتحريمًا إنما هي بإرادة الله العالم الحكيم بأحوال الناس فيما ينفعهم ويضرهم.

٤- تنظيم العلاقات المالية في المجتمع المسلم، جاء ذلك في خمس آيات من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ (النساء الآية ٢٩) إلى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ (النساء الآية ٣٣)، ومما تضمنته:

- النهي عن أكل الأموال بين المؤمنين بالباطل، وأنه قتل للأنفس.
- بيان الوجه الحلال في تداول المال وهو التجارة.
- الوعيد الشديد لمن خالف أمر الله، والوعد لمن أطاعه واجتنب ما نهى عنه.

- النهي عن التطلع إلى ما أنعم الله به على البعض، وترك العمل.
- تقرير حق الرجال والنساء في كسبهم.
- الأمر بالوفاء بعقود الولاء.

٥- بيان حقوق الزوجين، والإرشاد إلى كيفية علاج المشكلات بينهما عند حدوثها، جاء ذلك في آيتين هما: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ (النساء الآيتان ٣٤، ٣٥)، ومما تضمنته:

- قوامة الرجل على المرأة ووجه ذلك.
- بيان علاج نشوز الزوجة.
- بيان علاج الخلاف بين الزوجين.

٦- التعامل بين الناس وربهم، وبين بعضهم بعضًا، جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ (النساء الآية ٣٦) إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ (النساء الآية ٤٢)، ومما تضمنته:

- الأمر بعبادة الله وحده، وعدم الإشراك به.
- الوصية بالإحسان إلى الخلق، وبالأخص الوالدين، والقرابات، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار القريب، والصاحب في العمل وفي البيت وفي السفر، وابن السبيل.
- أن الذي لا يعبد الله ولا يحسن إلى خلقه لابد أن يكون مختالًا في نفسه فخورًا على الناس.
- أن من صفات المختالين المتكبرين: البخل وأمر الناس به، والإنفاق رياء.
- النهي عن كتمان فضل الله ونعمه وعدم إظهار آثارها عليه في نفسه وعلى غيره.
- التحذير من اتباع الشيطان وذم قرناء السوء.
- عدل الله ورحمته في المجازاة.
- شدة هول يوم القيامة وما فيه من خزي وافتضاح.

٧- توجيه الجماعة المسلمة في علاقتها مع ربها لأن تكون في أفضل حالاتها عقلًا وإدراكًا، طهارة ونظافة، جاء ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ

وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (النساء الآية ٤٣).

ومما تضمنته:

- النهي عن قربان الصلاة في حال السكر.
- النهي عن قربان الصلاة ومواضعها في حال الجنب إلا للمارّ في المسجد مع عدم المكث فيه.
- وجوب الغسل على الجنب.
- إباحة التيمم للذي يشق عليه استعمال الماء بمرض ونحوه، وللذي لا يجده مطلقًا في الحضر والسفر.

٨- بيان حال أهل الكتاب وما هم عليه من الكفر والجحود والتكذيب بآيات الله، وما أعد لهم من العذاب والنكال في الآخرة. جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (النساء الآية ٤٤) إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء الآية ٥٧).

ومما تضمنته:

- بيان مكر اليهود بالمؤمنين وحرصهم على إضلالهم.
- التحذير عن الاغترار باليهود والوقوع في أشراكهم.
- كفاية الله للمؤمنين ولاية ونصرة.
- الكشف عن بعض طبائع اليهود وضلالهم وعنادهم، وإرشادهم إلى ما هو خير منها.
- دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد صلى الله وعليه وسلم وما نزل عليه من الحق، وأن عدم إيمانهم بذلك يعتبر عدم إيمان بما في أيديهم من الكتب حيث كُتُبِ الله يصدق بعضها بعضًا.
- الأصل في عبادة الله: عدم الإشراك به، ومغفرة الله لما دونه من الذنوب: بحسب مشيئة الله جل وعلا.
- إنكار الله ﷻ على اليهود الذي يزكون أنفسهم بقولهم ﴿نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥۚ﴾ (المائدة الآية ١٨) وقولهم ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰۗ﴾ (البقرة الآية ١١١) وقولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۖ﴾ (آل عمران الآية ٢٤) إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة التي لا برهان عليها.
- قبح اليهودي وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين بتفضيلهم للكفار وعُبّاد الأصنام على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم.

- بيان مكر اليهود، وحسدهم، وغشهم، وعدم تورعهم عن الغش والكذب والتضليل.
- العذاب الشديد للكافرين المعرضين عن الحق.
- الوعد الحق للمؤمنين المتقين.

٩- بيان النظام الذي يجب أن تتبعه الأمة المسلمة في التحاكم. جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء الآية ٥٨) إلى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء الآية ٧٠)، ومما تضمنته:

- الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها.
- الحكم بين الناس بالعدل.
- الأمر بطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ.
- الأمر بطاعة أولي الأمر فيما يأمر به الشرع.
- الأمر برد المتنازع فيه بين الناس إلى الكتاب والسنة، وأن ذلك من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر.
- ذم الذين يعدلون عن الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلى ما سواهما من الباطل.

- الإعراض عن من يرفض الاحتكام للكتاب والسنة مع نصحهم ووعظهم بالقول البليغ.
- وجوب الدعوة التامة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم واجتناب نواهيه.
- التأكيد على أنه لا إيمان حتى يُحكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور.
- بيان أن الخير كله في طاعة الله وطاعة رسوله مهما كان فيهما من مشقة.
- أن مرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من ثمرات طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

١٠- بيان الطريق الصحيح لحفظ الأمة المسلمة من أعدائها، وكيفية التعامل معهم، جاء ذلك في أربع وثلاثين آية من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ (النساء الآية ٧١) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء الآية ١٠٤)، ومما تضمنته:

- أمر الأمة المسلمة بأخذ الحذر من عدوها والاستعداد له في السلم والحرب.
- بيان حال ضعفاء الإيمان الذين يبطئون عن القتال في سبيل الله.

- الترغيب في القتال في سبيل الله وتطهير النفوس مما قد يعتريها من ضعف وذلك:

بوعد الله لمن يقاتل في سبيله بالأجر العظيم، وعظم وشرف القصد في القتال الذي يدفعهم إليه، وأحقية الغاية التي يقاتل لأجلها الذين آمنوا بجانب بطلان الغاية التي يقاتل لأجلها الذين كفروا، وتوضيح حقيقة الدنيا بجانب حقيقة الآخرة التي هي خير لمن اتقى، وتقرير حتمية الموت الذي لا مفر منه بأي حال من الأحوال، وتقرير حقيقة قدر الله وعمل الإنسان وأن الخير والشر كلاهما بتقدير الله تعالى.

- التأكيد على طاعة الرسول ﷺ، وأن طاعته من طاعة الله تعالى.
- الأمر بتدبر القرآن الكريم، وتفهم معانيه فهو الكفيل بزيادة الإيمان وتقويته، وأنه لا طاعة ولا انضباط إلا بتدبره وفقهه والإيمان به.
- وجوب التثبت من الأخبار قبل روايتها وحكايتها وردُّ ذلك إلى الرسول وإلى أولي الأمر أهل الرأي والنصح والعقل.
- الامتثال لأمر الله في قتال الكفار، وتحريض المؤمنين عليه، وأنه ليس على الولي وزر من تمرد وعصا.
- أن الذي يشجع ويحرض ويعاون على القتال في سبيل الله له نصيب من أجر هذه الدعوة، والذي يبطيء ويثبط يكن له تبعة وكفل ما عمل.
- توثيق العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم بإفشاء السلام والرد على التحية بأحسن منها. ومما يلحظ ورود آية السلام وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم

بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء الآية ٨٦) بين آيات القتال للتأكيد على أن القتال لإقرار السلام في الأرض، قال الفخر الرازي: "في النظم وجهان:

الأول: أنه لما أمر المؤمنين بالجهاد أمرهم أيضًا بأن الأعداء لو رضوا بالمسألة فكونوا أنتم أيضًا راضين بها، فقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ (النساء الآية ٨٦) كقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال الآية ٦١) .

الثاني: أن الرجل في الجهاد كان يلقاه الرجل في دار الحرب أو ما يقاربها فيسلم عليه، فقد لا يلتفت إلى سلامه عليه ويقتله، وربما ظهر أنه كان مسلمًا، فمنع الله المؤمنين عنه، وأمرهم أن كل من يُسَلِّم عليهم ويكرمهم بنوع من الإكرام يقابلونه بمثل ذلك الإكرام أو أزيد، فإنه إن كان كافرًا لا يضر المسلم إن قابل إكرام ذلك الكافر بنوع من الإكرام، أما إن كان مسلمًا وقتله ففيه أعظم المضار والمفاسد"(١).

وقال البقاعي: "وما أحسن جعلها تالية لآية الجهاد إشارة إلى أن من بذل السلام وجب الكف عنه ولو كان في الحرب"(٢).

- أن المجازي على الأعمال هو الله الواحد الأحد في يوم لا ريب فيه.

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٢١٤/١٠.

(٢) نظم الدرر ٣٥١/٥.

- بيان كيفية التعامل مع المنافقين، وأنه لا ينبغي التردد في أمرهم بل يكون الموقف منهم واحدًا.
- التحذير من أن تتجرأ الأمة على قتل بعضها بعضًا عمدًا، وبيان حكم ما حصل أو سيحصل من قتل المؤمن خطأً.
- أمر المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته أن لا يُقْدِموا على أمر حتى يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة.
- فضل الجهاد في سبيل الله، وعدم استواء القاعد عنه – بغير ضرر- بالمجاهد في سبيل الله.
- الحث على الهجرة والترغيب فيها.
- بيان حال من أخلد إلى الراحة وقعد عن نصرة الدين واعتذر لنفسه.
- ذكر أحكام الصلاة لمن سافر للجهاد أو الهجرة في سبيل الله وخاف على نفسه الفتنة عنها من الكفار.
- النهي عن الضعف عند لقاء العدو، فهو أجدر بالخوف من المؤمن، إذ الألم يستوي فيه الطرفان، ويمتاز المؤمن بما يرجوه من ربه بعكس الكافر.

١١- بيان كيفية التعامل مع بعض أفراد المجتمع وأن الحق والعدل هو أساس ذلك. جاء ذلك في واحد وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء الآية ١٠٥) إلى قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ

قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ (النساء الآية ١٣٥)، ومما تضمنته:

- بيان أن الحكمة من إنزال القرآن الكريم على رسول الله محمد ﷺ بالحق من أجل أن يحكم به بين الناس.
- النهي عن الوقوف بجانب الخائنين والمجادلة والدفاع عنهم، وأن ذلك ليس من العدل.
- التنفير عن الدفاع عن أهل الباطل ببيان صفاتهم التي منها: استخفاؤهم من الناس بعدم إظهار قبائحهم لهم، وعدم استخفائهم من الله مع أنه عالم بهم مطلع عليهم، وتبييتهم الباطل والظلم. ومن كان هذا شأنه فكيف يدافع المؤمن عنه.
- الترغيب بالتوبة والاستغفار بعد الوقوع بالذنب.
- أن مرتكب الإثم والسوء يعود وباله عليه فهو المؤاخذ عليه وحده دون غيره.
- أن الذي يرتكب الخطيئة ثم يرمي به البريء، فقد اجتمع فيه: كسب الاثم، ورمي البريء.
- نعمة الله ﷻ على رسوله ﷺ بتوفيقه له، وإنزال الكتاب عليه، وتعليمه الحكمة وما لم يعلمه.

- أن حالات النجوى الخيِّرة هي: ما كان أمرًا بصدقة، أو أمرًا بمعروف، أو كان إصلاحًا بين الناس.
- أن من يشاق الرسول ﷺ، ويتبع غير سبيل المؤمنين يجازيه الله باستدراجه في الدنيا، وعقابه في الآخرة.
- أن من أشرك بالله فقد سلك غير طريق الحق وضل عن الهدى، فالله ﷻ لا يغفر ذلك منه.
- النهي عن موالاة الشيطان وطاعته في دعوته، حيث هو الذي يُضِلُّ عن الحق، ويزين الباطل، ويعد الأماني، ويأمر بالتسويف والتأخير.
- التأكيد على وعد الله الحق والصدق بجزاء المؤمنين العاملين للصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار.
- أن استحقاق الجنة ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن بالإيمان والعمل الصالح.
- أنه لا أحد أحسن من دين من جمع بين إخلاص العمل لله واتبع شريعة الله التي أرسل بها رسله.
- الدعوة إلى التعامل العادل في: النساء واليتامى والمستضعفين من الولدان في الميراث والنكاح والمحافظة على الأموال.
- بيان الحكم العدل في العلاقة الزوجية: في حال نفور الرجل من المرأة، وفي حال اتفاقه معها، وفي حال فراقه لها.

- أن مالك السماوات والأرض والحاكم فيهما حقيق بأن يعبد ولا يكفر، ويتقى ولا يفجر، فهو الغني الحميد الوكيل القدير.
- الأمر بالقسط بين الناس، وأداء الشهادة بالحق والعدل ولو على النفس والوالدين والأقربين، وعدم محاباة أحد لغناه أو فقره.

١٢- الأمر بالإيمان وأصوله، وبيان الخارجين عنه، جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء الآية ١٣٦) إلى قوله تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ (النساء الآية ١٤٩).

ومما تضمنته:

- الأمر بالاستمرار على الإيمان وتقويته حتى الموت عليه.
- التحذير من نقض أركان الإيمان أو أحدها.
- أن من تكرر منه الكفر بعد الإيمان واستمر على كفره فإنه بعيد عن المغفرة والتوفيق والهداية.
- تبشير المنافقين بالعذاب الأليم.
- وصف المنافقين باتخاذهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين بقصد ابتغاء العزة في الدنيا، والرد عليهم بأن العزة لله وحده، ومنه تطلب بالإيمان واتباع منهجه.

- النهي عن الجلوس في المكان الذي يُكْفَرُ فيه بآيات الله ويستهزأ بها، فإن الرضا بالإثم إثم، والرضا بالكفر كفر.
- بيان حال المنافقين في الدنيا:
  - يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء.
  - يخادعون الله بما أظهروه من الإيمان وأبطنوه من الكفر.
  - يؤدون الصلاة -إذا قاموا إليها- وهم كسالى؛ لأنه لا إيمان لهم بها، ولا إخلاص لهم فيها.
  - أنهم حائرون مترددون بين المؤمنين والكافرين، فلاهم من المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، ولا من الكافرين ظاهرًا وباطنا، وهذا من علامة الضلال.
- النهي عن مشابهة المنافقين باتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- بيان مآل المنافقين وأنهم في الدرك الأسفل من النار.
- أن باب التوبة عن النفاق مفتوح بشروط أربعة:
  - التوبة والندم على الفعل السابق.
  - إصلاح القول والفعل والعمل.
  - الاعتصام بالله.
  - الإخلاص لله.
- عدم محبة الله للجهر بالسوء من القول - أي بذكر عيوب الناس وتعداد سيئاتهم- إلا في حالة الشكوى وإظهار الظلم.

• استحباب فعل الخير سره وجهره.

• الندب إلى العفو عن المسيء، فالله ﷻ هو الذي يعفو العفو التام مع كمال قدرته ﷻ.

١٣- التنديد بأفعال اليهود وتناقضهم جاء ذلك في ثلاث عشرة آية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾(النساء الآية ١٥٠) إلى قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ (النساء الآية ١٦٢).

ومما تضمنته:

• أن من يؤمن ببعض الرسل دون بعض فقد كفر بسائرهم وجزاؤه العذاب المهين بالآخرة.

• أن المؤمن بجميع الرسل له الجزاء الجزيل، والثواب الجليل والمغفرة والرحمة من الله ﷻ.

• بيان أن سؤال اليهود للرسول ﷺ بأن ينزل عليهم كتابًا من السماء جملة واحدة من التعنت والتحكم لا الرغبة بالدليل والإيمان.

• بيان بعض أعمال اليهود القبيحة ومن ذلك:
  ○ سؤالهم رؤية الله جهرة.

- اتخاذهم العجل إلها يعبدونه.
- امتناعهم من قبول أحكام كتابهم –التوراة– حتى رفع الطور من فوق رؤوسهم.
- امتناعهم من دخول أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدًا مستغفرين.
- اعتداء من اعتدى منهم في السبت.
- نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم.
- قتلهم الأنبياء بغير حق.
- ادعاؤهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما يقال لها ولا تفهمه.
- قولهم على مريم بهتانًا عظيمًا.
- قولهم أنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه.
- صدهم الناس عن سبيل الله.
- أخذهم السحت والربا.

- بيان جزاء الكافرين من اليهود بالتشديد عليهم في الدنيا والعقاب الأليم في الآخرة.
- أن الراسخ في العلم منهم والمؤمن بكل وحي أنزله الله، والمقيم الصلاة والمؤتي الزكاة، والمؤمن بالله واليوم الآخر سيؤتيه الله أجرًا عظيما.

١٤- إقامة الحجة على نبوة محمد ﷺ والرد على اليهود بأن ما جاء به لم يكن خارجًا عما جاءت به الرسل من قبل. جاء ذلك في ثمان آيات من

قوله تعالى: ﴿ * إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ (النساء الآية ١٦٣) إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (النساء الآية ١٧٠)، ومما تضمنته:

- تقرير أن وحي الله ﷻ لمحمد ﷺ مثل وحيه لغيره من الرسل السابقين له سواء الذين قصهم الله في القرآن أم الذين لم يقصصهم.
- أن مهمة الرسل واحدة وهي: التبشير والإنذار وهداية الناس إلى الحق والخير والصراط المستقيم.
- شهادة الله ﷻ على رسالة محمد ﷺ وما أنزل عليه.
- شهادة الملائكة بصدق ما أنزل الله على رسوله.
- التأكيد على أن الكافرين الذين كفروا بأنفسهم وصدوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا، وأن الله لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلا إلى الخير إلا إلى طريق جهنم خالدين فيها أبدا.
- توجيه الناس عمومًا بالإيمان بمحمد ﷺ لمجيئه بالحق والخير، وأن الكفر به وبما جاء به لا يضر الله شيئا فهو الغني عنهم وعن إيمانهم.

١٥- إقامة الحجة على النصارى في الرأي الحق في عيسى ابن مريم عليه السلام، والأمر بتوحيد الله ﷻ. جاء ذلك في ثلاث آيات هي: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ

ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء الآيات ١٧١، ١٧٢، ١٧٣).

ومما تضمنته:

- نهي أهل الكتاب، والنصارى خاصة عن الغلو في دينهم، وعن الافتراء على الله، وأن عليهم أن لا يقولوا على الله إلا الحق.
- تقرير حقيقة عيسى -عليه السلام- بأنه رسول الله، وأنه خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذنه عز وجل.
- أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله وحده، وأنه لا ولد له ولا صاحبة، وأن عيسى عبدالله ورسوله.

• نهي أهل الكتاب أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة، أحدهم: عيسى، والثاني: مريم، فيجعلوهما شريكين مع الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

• بيان أن عيسى والملائكة المقربين لا يستكبرون عن العبودية لله، وأن من يستنكف يُعَذَّب العذاب الأليم.

١٦- دعوة الناس جميعًا إلى الإيمان بمحمد ﷺ، واتباع دعوته وما جاء به. جاء ذلك في آيتين هما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ (النساء الآيتان ١٧٤، ١٧٥).

ومما تضمنته:

• تقرير مجيء برهان الله ﷻ القاطع على وجوده وعلمه وقدرته وهو إرسال رسوله محمد ﷺ.

• وجوب الإيمان بمحمد ﷺ، وبما أنزل عليه من النور المبين.

• أن من يؤمن بالله وبرسوله وما جاء به فإن الله يدخله في رحمته، ويعمه بفضله، ويرشده إلى الهداية للطريق المستقيم. ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به فإن الله يمنعه من رحمته، ويحرمه من فضله ويضله ضلالاً مبينا.

١٧- بيان ما بقي من أحكام وراثة الكلالة التي تنظم العلاقة المالية بعد الممات. جاء ذلك في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ

يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء الآية ١٧٦).

ومما تضمنته:

- بيان ميراث الكلالة وهو المتوفى الذي لا ولد له ولا والد. فإن كان له أخت فلها نصف التركة، وإن كان له أختان فأكثر فلهن الثلثان فريضة، وإن كان له أخوة رجالًا ونساء فيعطى الذكر مثل حظ الأنثيين.
- أن بيان الله عَزَّوَجَلَّ لأحكامه وفرائضه لكي يهتدي عباده بأحكامه، ويعملوا بها، فلا يضلوا عن الصراط المستقيم.

فائدة:

ورود هذه الآية في آخر السورة، وهي تتحدث عن ميراث الأخوة والأخوات، بعد أن تحدثت في آياتها الأولى في أحكام الإرث، ثم في ثناياها عن علاقة المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى وكيفية التعامل معهم كما بينا ذلك في الفقرات السابقة، مما قد يشعر بعدم مناسبتها في هذا الموضع من السورة إلا أن المناسبة واضحة، وقد أشار إليها بعض المفسرين حيث قال الفخر الرازي: "اعلم أنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال، وختم آخرها بذلك؛ ليكون الآخر مشاكلًا للأول، ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين". وقال: "واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى فإنه قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (النساء الآية ١) وهذا

دال على سعة القدرة، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ (النساء الآية ١٧٦) وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلالة والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعًا للأوامر والنواهي منقادًا لكل التكاليف"(١).

وقال أبو حيان بكلام نحوه: " وقد ختمت هذه السورة بهذه الآية كما بدئت أولًا بأحكام الأموال في الإرث وغيره، ليتشاكل المبدأ والمقطع، وكثيرًا ما وقع ذلك في السور"(٢).

وقال برهان الدين البقاعي: "ووضع هذه الآية هنا إشارة منه إلى أن من أبى توريث النساء والصغار الذي تكرر الاستفتاء عنه، فقد استنكف عن عبادته واستكبر، وإن آمن بجميع ما عداه من الأحكام، ومن استنكف عن حكم من الأحكام فذاك هو الكافر حقاً، كما أن من آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض فهو الكافر حقًا" ثم قال: "والحاصل أن تأخير هذه الآية إلى هنا:

- لما تقدم من أن تفريق القول فيما تأباه النفوس وإلقاءه شيئاً فشيئاً باللطف والتدريج أدعى لقبوله.
- وللإشارة إلى شدة الاهتمام بأمر الفرائض بجعل الكلام فيها في جميع السورة أولها وأثنائها وآخرها.

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١١/١٢٢، ١٢٣.

(٢) البحر المحيط ٤/١٥٠.

- والتخويف من أن يكون حالهم كحال المنافقين في إضلال أهل الكتاب لهم بإلقاء الشبهة، وأخذهم من الموضع الذي تهواه نفوسهم، ومضت عليه أوائلهم، وأشربته قلوبهم.
- والترهيب من أن يكونوا مثلهم في الإيمان ببعض والكفر ببعض، فيؤديهم ذلك إلى إكمال الكفر، لأن الدين لا يتجزأ، بل من كفر بشيء منه كفر به جميعه.

ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها؛ لأن أولها مشير إلى أن الناس كلهم كشيء واحد، وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم إلا فيما شرعه الله، وآخرها مشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء والرجال في مطلق التوريث بقرب الأرحام وإن اختلفت الأنصباء، فكأنه قيل: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وسوى بينهم فيما أراد من الأحكام فإنه من استكبر - ولو عن حكم من أحكامه - فسيجازيه يوم الحشر، ولا يجد له من دون الله ناصراً؛ ولا يخفى عليه شيء من حاله"(١).

****

وهكذا: نجد أن سورة النساء يدور مقصودها حول المجتمع المسلم بدءًا من الأسرة والعلاقة فيما بينها رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، محارم وغير محارم، أحياء

---

(١) نظم الدرر ٥/٥٣١، ٥٣٢.

وأمواتًا. ثم العلاقة بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى من منافقين وكفار ويهود ونصارى ببيان حالهم، والتنديد بأفعالهم، وكشف أسرارهم، وإقامة الحجة عليهم، ثم ما أعده الله لهم من العذاب والنكال في الآخرة. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله اعلم.

****

٥- سورة المائدة

أولًا مقصود سورة المائدة:

﴿الوفاء بالعقود والعهود مع الخلق والخالق﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المائدة، ومن هؤلاء:

١- ابن تيمية، حيث قال عنها: "أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي"(١).

٢- الزركشي، حيث قال: "سورة العقود، وبهن تمام الشرائع، قالوا: وبها تم الدين، فهي سورة التكميل بها ذكر الوسائل -كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد- كالتحليل والتحريم"(٢).

٣- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكراً لنعمه واستدفاعاً لنقمه"(٣).

٤- الفراهي، حيث قال: "سورة العقود (المائدة): مثل السابقة، بذكر بناء الإسلام على العهد الإلهي، وبذكر أواسط هذا العهد ونهايته"(٤).

---

(١) التفسير الكبير ٣/٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦١، ٢٦٢.

(٣) نظم الدرر ١/٦، ومصاعد النظر ٢/١٠٦.

(٤) دلائل النظام ٩٤.

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الأمر بالوفاء بالعقود، والتحذير من مشابهة أهل الكتاب في نقضها"[(١)].

ثالثًا دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة المائدة ثلاثة أسماء هي:

١- سورة المائدة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لاشتمالها على قصة نزول المائدة من السماء بعد أن طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام؛ لتدل على صدق نبوته، وتكون لهم عيدًا.

٢- سورة العقود، لافتتاحها بطلب الوفاء بالعقود في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ (من الآية ١).

٣- سورة المنقذة، لما ورد أنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب[(٢)].

ودلالة اسمها على مقصودها: فإن في قصة المائدة دلالة على أن من زاغ عن الدين، ولم يتبع الأوامر، نوقش الحساب، ونال الجزاء على ما يستحق.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المائدة عشرين ومائة آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- الأمر بالوفاء بالعقود، سواء التي ألزم الله بها عباده، أم التي أباح الله إجراءها بينهم، وهذا الوفاء من الدين الذي ارتضاه الله لنا. جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ١٠٦.

(٢) ينظر: جمال القراء ١/٣٦، ونظم الدرر ٦/١، والتحرير والتنوير ٦/٦٩.

بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (المائدة الآية ١) إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة الآية ١١)، ومما تضمنته:

- بيان الحلال والحرام من بهيمة الأنعام.
- حرمة صيد البر في حال الإحرام.
- النهي عن استحلال حرماته والاستهانة بشعائره.
- حرمة الاعتداء حتى على الكافر.
- الأمر بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان.
- تفصيل ما حرم الله ﷻ مما أباحه من بهيمة الأنعام، أو حرمه ابتداء.
- الأمر بالصبر والثبات وعدم الخشية من الكفار، إنما الخشية تكون من الله ﷻ.
- تذكير الأمة بأكبر نعمة عليها وهي: إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الله ﷻ لهم بهذا الدين.
- جواز أكل ما حرم الله للمضطر، على أن لا يكون قاصدًا المعصية.
- إباحة الطيبات من الرزق التي تستطيبها الأنفس الكريمة.

- إباحة الصيد بالجوارح المُعَلَّمة، على أن يذكر المرسل اسم الله وقت إرسالها، وأن تمسك لمن أرسلها لا لنفسها.
- إباحة الأكل من ذبائح أهل الكتاب، وإباحة ذبائح المسلمين لهم.
- إباحة نكاح الكتابيات إذا أديت لهن مهورهن، ونكحن بالطريق المشروع غير زانين بهن، أو متخذين إياهن عشيقات.
- أن استباحة المحرمات قد تؤدي إلى الكفر.
- الأمر بالطهارة للصلاة، سواء بالوضوء أم بالغسل أم بالتيمم. والصلاة من أهم العهود المأخوذة علينا، كما قال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[1].
- أن الشكر هو علة الإنعام.
- وجوب الوفاء بالعهد والميثاق وهو السمع والطاعة لله ولرسوله.
- وجوب القيام بحق الله تعالى في كل أمر، والشهادة بالحق مع كل أحد، والحكم بالعدل مع الجميع.
- الوعد للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ويوفون بالعهود بالمغفرة والأجر العظيم، والوعيد للكافرين الذين يكذبون بآيات الله بالجحيم.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه ٥/١٣، ١٤ في كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة. والنسائي في السنن الكبرى ١/١٤٥ في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة. وينظر: صحيح الجامع الصغير رقم ٤١٤٣.

- التذكير بنعم الله على المؤمنين في كف المشركين عنهم، وما يستتبعه من التزام التقوى والتوكل على الله.

٢- بيان موقف أهل الكتاب من المواثيق التي عاهدهم الله فيها على توحيده والإسلام له، وفي ذلك التأكيد على الأمة المسلمة بالوفاء بالعهود والمواثيق. جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة الآية ١٢) إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (المائدة الآية ٢٦)، ومما تضمنته:

- أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل، ووعده الجزيل إن هم وفوا بذلك، ووعيده الشديد إن هم نقضوا ذلك.

- الإخبار عن نقض بني إسرائيل المواثيق، وأن جزاء ذلك باللعن من الله، وجعل قلوبهم قاسية شديدة لا تقبل الحق ولا تتعظ بموعظة، حتى حرفوا كلام الله عن مواضعه وحملوه على غير مراده، ونسوا قسمًا منه فعطلوه.

- أن من صفات اليهود اللازمة لأكثرهم: الخيانة والمكر والغدر.

- إيثار العفو والصفح عند المقدرة.

- الأخبار عن نقض النصارى العهد والميثاق، حيث نسوا قسمًا مما ذكروا به، وعقابهم على ذلك بإلقاء العداوة والبغضاء بينهم إلى يوم القيامة.
- دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به.
- الحكم بكفر النصارى في دعواهم أن المسيح ابن مريم هو الله.
- ملك الله ﷻ للأشياء كلها وقدرته عليها، وأنه لو أراد إهلاك المسيح وأمه وأهل الأرض كلهم ما منعه من ذلك أحد.
- الرد على اليهود والنصارى في دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه.
- توضيح مهمة النبي ﷺ، وأنه جاء بالبشارة والنذارة، ليخرج الناس من الظلمات الى النور.
- تذكير موسى قومه بنعم الله عليهم.
- مطالبة موسى قومه بدخول الأرض المقدسة، ونهيه لهم عن الارتداد، وتهديده لهم بالخسران إن نكلوا، ولكنهم عصوا أمره واعتذروا عن الجهاد والدخول بالرغم من تبشير الرجلين الصالحين لهم بالنصر والغلبة، بل طالبوا بكل عناد وسوء أدب موسى أن يقاتل هو وربه.
- تبرء موسى من القوم الفاسقين، ودعوته الله ﷻ أن يقضي بينه وبينهم.
- عقاب الله لبني إسرائيل المتمردين عن طاعة موسى بالتيه في الأرض أربعين سنة.

٣- حرمة الفساد في الأرض بقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والتعدي على مال الغير، وأن ذلك جزء من الميثاق الذي أمر الله به. جاء ذلك في أربع عشرة آية: من قوله تعالى: ﴿۞وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة الآية ٢٧) إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة الآية ٤٠)، ومما تضمنته:

- بيان قصة ابني آدم، وكيف غدا أحدهما على الآخر فقتله بغيًا وحسدًا فيما وهبه الله من النعمة وقبول القربان الذي أخلص فيه لله.
- فوز المقتول بالجنة، والقاتل بالخسران في الدنيا والآخرة.
- تشريع الله ﷻ لبني إسرائيل حرمة قتل النفس بلا سبب من قصاص أو فساد في الأرض.
- وجوب نصرة الرسل وما جاؤا به.
- بيان عقوبة حرب الله ورسوله، وعقوبة الفساد في الأرض.
- استثناء من تاب من المحاربين قبل أن يقدر عليه بإسقاط العقوبة عنه.
- الدعوة إلى تقويم النفس البشرية وردعها عن الانحراف بدعوتها لتقوى الله وخشيته والخوف من عقابه، وابتغاء الحاجة منه وحده، ومجاهدة النفس في طاعته والشيطان في معصيته.

• عظم عذاب يوم القيامة، وأن لا فدية ولا شفاعة تنفع الكافر حين يدخل النار.

• بيان عقوبة السرقة بقطع يد السارق والسارقة.

• قبول توبة السارق إذا أصلح نفسه.

• وجوب التسليم بحكم الله وقضائه، فهو المالك للسماوات والأرض العزيز الحكيم.

٤- أن الحكم والشريعة يجب أن يكونا حسب مواثيق الله وعقوده التي شرعها للناس بمقتضى ألوهيته لهم وعبوديتهم له، وعاهدهم عليها وعلى القيام بها. جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ (المائدة الآية ٤١) إلى قوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة الآية ٥٠). ومما تضمنته:

• تسلية النبي ﷺ مما يحصل له من الحزن نتيجة ما يسمعه ويراه من المنافقين واليهود.

فالمنافقون: يسارعون في إظهار الكفر والانحياز للأعداء، ويؤمنون بالأفواه لا بالقلوب.

واليهود: يصغون السمع للكذب، ويحرفون كلام الله، ويأكلون الحرام.

- توجيه النبي ﷺ بأن يكون مخيراً في الحكم بين أهل الكتاب أو إحالتهم إلى علمائهم.
- الإنكار على اليهود في تركهم ما يعتقدون صحته (وهو التوراة)، والعدول إلى غيره مما يعتقدون بطلانه وعدم لزومهم له (وهو القرآن)، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين به.
- الحديث عن كتب الله الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن):

فالتوراة: فيها الهدى والنور ويحكم بها النبيون من بني إسرائيل والربانيين والأحبار.

والإنجيل: فيه الهدى والنور والمصدق لما قبله من التوراة وهدى وموعظة للمتقين.

والقرآن الكريم: المنزل بالحق والمصدق لما قبله من الكتب السابقة، والمهيمن عليها.

ويؤخذ من الحديث عنها:

- أن الحكمة من إنزال التوراة والإنجيل هي أن يحكم بهما، ويتحاكم إليهما، وأن من لم يحكم بكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق.

- أن القرآن الكريم المصدق لهما ولغيرهما من الكتب المنزلة، المهيمن عليها جميعًا، الجامع لكل وحي أنزله الله، هو الذي يجب أن يحكم به بين الناس.
- أن الحكمة من اختلاف الشرائع هو ابتلاء الله عباده؛ ليعلم من يطيعه ومن يعصيه.
- التأكيد على الحكم بما أنزل الله، وعدم اتباع أهواء البشر، والحذر من أن يفتن عما أنزل الله أو أن يتولى عن الحكم بما أنزل الله.
- الإنكار على من يعدل عن الحكم بما أنزل الله إلى حكم الجاهلية.

٥- التحذير من مولاة غير المؤمنين من اليهود والنصارى والكفار، وأن ذلك يُعَدُّ من الارتداد عن دين الله، والتأكيد على أن الموالاة إنما تكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وأنها مما أخذه الله على المؤمنين وأمر به أن يوصل، وأخذ على المؤمنين العهد والميثاق به. جاء ذلك في ست عشرة آية من قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المائدة الآية ٥١) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة الآية ٦٦)، ومما تضمنته:

- النهي عن موالاة اليهود والنصارى.

- أن اليهود والنصارى كل واحد منهم يوالي الآخر على حساب المسلمين.
- أن من يوالي اليهود والنصارى فهو من الظالمين الذين يضعون الموالاة في غير محلها.
- أن أعذار الذين في قلوبهم مرض في موالاتهم للذين كفروا تتبدد وتزول أمام تدبير الله وتأييده ونصره للمؤمنين.
- قدرة الله تعالى على استبداله بالمرتدين الموالين لغير المؤمنين من هو خير منهم ممن يحبون الله ويحبهم الله، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.
- أن ولاية الله ورسوله والمؤمنين توجب لصاحبها النصر والغلبة على الأعداء.
- التنفير من موالاة أعداء الإسلام عامة، لأنهم يستهزؤون بالدين وبشرائعه وأحكامه، وبخاصة وقت النداء للصلاة.
- توبيخ أهل الكتاب على تعييرهم المسلمين بما ينبغي أن يمدحوا فيه وهو إيمانهم بالله وما أنزله من كتب وما أرسل من نبيين.
- التذكير بسوء حال أسلاف اليهود مع أنبيائهم، وما كان من جزاء الله لهم على فسقهم.

- بيان حال منافقي اليهود بأمرين:
  - مصانعتهم المؤمنين حيث يعلنون الإيمان في الظاهر، ويضمرون الكفر بالباطن. وهم في الحقيقة مستصحبون الكفر مقيمون عليه.
  - مسارعتهم في تعاطي الإثم والظلم والمعاصي والاعتداء على الناس وأكل أموالهم بالباطل.
- الإنكار على علماء اليهود سكوتهم على ما يرتكبه اليهود من معاصي ومنكرات، وأن هذا بئس الصنيع.
- أن من أقبح مخازي اليهود جرأتهم على الله ووصفهم إياه بالبخل والإمساك عن الرزق.
- دعاء الله عليهم بعدم التوفيق للإنفاق والطرد والإبعاد من رحمته.
- بيان كذبهم في مقالتهم "يد الله مغلولة" فإن يدي الله مبسوطتان ينفق كيف يشاء لا راد لفضله وعطائه.
- أن نزول القرآن بالآيات البينات التي تكشف عنهم وعن سلفهم، يزيدهم طغيانًا وكفرًا.
- تقرير إلقاء الله العداوة والبغضاء بين طوائف اليهود، وسعيهم الدائم في الإفساد في الأرض.
- وعد الله ﷻ لليهود والنصارى بوعدين:

الأول: أنهم لو آمنوا واتقوا لكفر الله عنهم سيئاتهم وأدخلهم جنات النعيم.

الثاني: أنهم لو أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل الله من كتب بما في ذلك القرآن الكريم لبسط الله عليهم الرزق وأصبحوا في خيرات وبركات تحيطهم من كل جانب.

- بيان واقع اليهود والنصارى فمنهم الأمة المقتصدة المؤمنة بكل ما أنزله الله إليهم وإلى محمد ﷺ، والكثير منهم كذبوا الرسل وحرفوا الكتب وأكلوا السحت.

ويلاحظ أن الآيات بدأت بتحريم الولاء لليهود والنصارى، وختمت بما ينفر عن الولاية لهم.

٦- توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي المنزل إليه، وبخاصة ما نزل في شأن أهل الكتاب الذي كشف به حالهم وما هم به من انحرافٍ فيما يعتقدون، ومن سوءٍ فيما يصنعون، وكيف أنهم ليسوا على شيء إذا لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم. جاء ذلك في عشرين آية، من قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة الآية ٦٧) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ (المائدة الآية ٨٦)، ومما تضمنته:

- أمر الرسول ﷺ بأن يبلغ جميع ما أرسل به.

- وعد الله ﷻ للرسول ﷺ بحفظه ونصره وعصمته من الناس.

- أمره بتبليغ أهل الكتاب بأنهم ليسوا على شيء من الدين ما لم يقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل من الله.
- التأكيد على أن أكثر أهل الكتاب لا يزيدهم القرآن إلا طغيانًا وكفرًا، فعلى النبي ﷺ أن لا يأسف على عدم إيمانهم به.
- تقرير أن الدين الذي يقبله الله من الناس أيًّا كانت نحلتهم هو الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح وفق ما جاء به خاتم النبيين محمد ﷺ.
- أخذ الله العهود والمواثيق على بني إسرائيل بالسمع والطاعة لله ولرسله، ولكنهم نقضوها واتبعوا أهواءهم ففريق منهم يكذب الرسل، وفريق يقتلهم.
- اضطراب اليهود بين التوبة والعصيان، وعدم الاتعاظ بالمواعظ وسماع الحجج والبيانات.
- بيان فساد عقيدة النصارى في ادعائهم ألوهية المسيح عيسى عليه السلام مع أنه دعاهم إلى عبادة الله وحده، وحذره من الشرك به.
- تقرير كفر القائلين بالتثليث وأن من لم ينته عن هذا الافتراء سيصيبه العذاب الأليم في الآخرة.
- دعوة النصارى إلى التوبة والاستغفار من عقيدة التثليث، وأن المسيح إنما هو عبدٌ لله ورسول من عنده كغيره من الرسل، وهو وأمه الصديقة كانا

من جنس البشر كسائر المخلوقين، لا يملكان لنفسيهما ولا لعابدهما ضرًا ولا نفعًا، فكيف تترك عبادة من يملك ذلك إلى من لا يملكه.

- نهي أهل الكتاب عن مجاوزة الحد في اتباع الحق، وعن التقليد الذي كان سبب ضلال من قبلهم، فالنصارى: غلوا في تعظيم العزير وعيسى، فأوصلوا عيسى إلى مقام الألوهية وعزيرًا إلى أنه ابن الله. واليهود: غلوا في إهانة عيسى وأمه، فآذوا عيسى وسعوا في قتله، ونسبوا أمه إلى الفاحشة.

- لعن الله للذين كفروا من بني إسرائيل في الزبور والإنجيل بسبب عصيانهم لله تعالى ورسله، واعتدائهم في الدين بالغلو والابتداع، وعدم نهي بعضهم بعضًا عن المنكر.

- بيان أن كثيرًا من اليهود في المدينة يتولون الذين كفروا من دون المؤمنين، وهذا دليل على عدم إيمانهم بالله ورسوله وما أنزل إليه.

- بيان شدة عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين، وأن النصارى الصادقين هم أقرب الناس مودة في الجملة للذين آمنوا بسبب: وجود علماء وعباد فيهم، وعدم استكبارهم عن الحق وقبوله، وأنهم إذا سمعوا القرآن يبكون لما عرفوا من الحق.

فالله يثيب من يؤمن منهم بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار، ويجازي الكافر المكذب منهم بآيات الله بالجحيم.

٧- بيان بعض الأحكام التي أُخِذ علينا العهد بالالتزام بها تحقيقًا لإكمال الدين، وأن عدم القيام بها نقض للميثاق الذي أمر الله به أن يوصل. جاء ذلك في اثنتين وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (المائدة الآية ٨٧) إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (المائدة الآية ١٠٨)، ومما تضمنته:

- النهي عن تحريم ما أحل الله، وعن الاعتداء في الأكل والشرب، إما بمنع المباحات أو الإسراف في تناولها.
- الأمر بالأكل من الحلال الطيب.
- الأمر بالتقوى في جميع الأمور.
- الأمر بحفظ الأيمان، وأن المنعقد منها لابد من بره أو التكفير عنه.
- بيان ما حرم الله مطلقًا من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وكيف أن الخمر والميسر تسببان في إيقاع العداوة والبغضاء، وفي الصد عن ذكر الله.
- التأكيد على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ في أوامرهما ونواهيهما.
- نفي الجناح على من طعم محرمًا إذا ما اتقى وآمن وعمل صالحًا واستمر على ذلك.

- ابتلاء الله ﷻ للمُحرِمِ بكثرة الصيد وسهولة تناوله مع تحريمه عليه، ليعلم من يطيع أمره ومن يعتدي فيخالف أمره.
- التأكيد على تحريم صيد البر على المحرم، وبيان جزاء صيده ومن يحكم به.
- حل صيد البحر للمحرم وغيره.
- التحذير من انتهاك حرمة أربعة أشياء: البيت الحرام، والشهر الحرام، والهدي، والقلائد، وذلك لأسباب يعلمها الله ﷻ.
- أن وظيفة الرسول ﷺ البلاغ وأداء الرسالة وليس حمل الناس على الهداية والتوفيق للإيمان.
- أن القليل الحلال الطيب خير من الكثير الحرام الخبيث.
- الترغيب في طاعة الله والتنفير عن معصيته.
- النهي عن السؤال في ما لا فائدة في السؤال عنه، لئلا يكون سببًا في تكاليف ثقيلة ومطالب جديدة.
- النهي عن التزام أمور لم يُكَلَّف بالالتزام بها.
- توجيه المؤمنين بإصلاح أنفسهم وتطهيرها من الشرك والمعاصي، وأن ضلال غيرهم لا يضرهم بعد أمرهم ومناصحتهم وبيان طريق الهداية لهم.

- مشروعية الوصية في الحضر والسفر وتوثيقها بالإشهاد عليها حتى وإن كان الشاهد غير مسلم إذا لم يوجد مسلم.
- مشروعية تحليف الشهود عند الارتياب في شهادتهم.

٨- شهادة الرسل على أقوامهم، وبراءتهم مما لم تلتزم فيه أممهم بما جاءوا فيه من دعوتهم إلى عبادة الله وحده وما أخذوه عليهم من العهود، وكيف أنهم نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان بهم وبما جاؤا به، والتمثيل بشهادة عيسى ابن مريم بأنه لم يأمرهم بتأليهه وعبادته، وكيف أنهم غلوا فيه وفي أمه. جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (المائدة الآية ١٠٩) إلى قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة الآية ١٢٠). ومما تضمنته:

- الإخبار عن جمع الرسل يوم القيامة وسؤالهم عن جواب أقوامهم لهم، مما يدل على أن كل رسول شهيد على قومه.
- أدب الرسل مع الله، فمع علمهم نفوا أن يكون لهم علم بالنسبة إلى علم الله المحيط بكل شيء.
- التذكير بالنعم والمعجزات التي أجراها الله على يدي عيسى عليه السلام، وفي ذلك دلالة على قدرة الله، وصدق نبوة عيسى، وأنه عَبْدٌ لله ورسوله، وأن هذه المعجزات بإذن الله وبطلب منه عليه السلام، فلو كان إلها لما كان بحاجة أن يطلب شيئًا من أحد. وهذه النعم هي:
  - التأييد والتقوية بروح القدس وهو جبريل عليه السلام.

- الكلام في المهد.
- تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.
- خلق الطير.
- إبراء الأكمه والأبرص.
- إحياء الموتى.
- منع أذى اليهود عنه فلم يقتلوه ولم يصلبوه ولكن شبه لهم.
- إلهام الحواريين الإيمان بالله وبعيسى عليه السلام.
- إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين.

- توبيخ النصارى وتقريعهم على تأليههم عيسى ووالدته.
- تبرؤ عيسى عليه السلام لنفسه من أن يقول مثل هذا الكلام، وأنه إن كان صدر منه فإن الله يعلم ما في نفسه فكيف بقوله وعمله.
- إخبار عيسى عليه السلام بأن ما قاله لهم هو ما أرسله الله به وأمره أن يبلغه، وهو عبادة الله وحده، وأنه يشهد عليهم ما دام فيهم، فلما توفاه الله لم يعد إلا الله هو الرقيب والشهيد عليهم، وأنهم تحت مشيئته في أمر تعذيبه إياهم أو مغفرته لهم.
- تقرير أن يوم القيامة هو الذي ينفع فيه صدق الصادقين في إيمانهم وشهاداتهم وسائر أقوالهم وأفعالهم في الدنيا، وأن ملك السماوات والأرض لله وحده دون عيسى وسائر المخلوقات.

وفي ذلك درس للذين نقضوا عهد الله وميثاقه، ودرس للصادقين المهتدين.

وهكذا: نجد أن سورة المائدة يدور مقصودها حول الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وأن عليهم الالتزام بالوفاء بالعقود مع الخلق والخالق(١)، وبيان حال أهل الكتاب من المواثيق التي واثقهم الله عليها وما هم به من انحراف وسوء، وأن الحكم يجب أن يكون حسب مواثيق الله وتشريعاته. وقد عرضت السورة لجملة من الأحكام التي أخذ الله علينا العهد القيام بها والالتزام بشرع الله فيها، وأن ما جاء به الرسل هو الحق، ولا يضرهم عدم إيمان أقوامهم بما جاءوا به. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

(١) **مع الخلق**: بأداء ما تعاقد عليه المسلمون مع بعضهم، **ومع غيرهم**. **ومع الخالق**: بأداء العبادات والشرائع التي فرضها الله عز وجل.

٦- سورة الأنعام

أولا: مقصود سورة الأنعام:

﴿تقرير توحيد الله، ومحاجّة المشركين العادلين به غيره، المكذبين برسوله﴾.

ثانيا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الأنعام، ومن هؤلاء:

١- أبو إسحاق الإسفراييني، حيث قال: إن في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد"[١].

٢- الفخر الرازي، حيث قال: "إنها مشتملة على دلائل التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين"[٢].

٣- أبو عبد الله القرطبي، حيث قال: "هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور[٣].

٤- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: الاستدلال على التوحيد بأنه سبحانه الحائز لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره"، وقال: "وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة

---

(١) ينظر: قوله في روح المعاني ٧٧/١.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٤٩/١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٣/٦.

والقدرية وأهل الملل الزائغة، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين"[١].

٥- جلال الدين السيوطي، حيث قال: "المقصود من هذه السورة بيان الخَلْقِ والملك"[٢].

٦- السعدي، حيث قال: "اعلم أن هذه السورة الكريمة، قد اشتملت على تقرير التوحيد، بكل دليل عقلي ونقلي، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله"[٣].

٧- بن عاشور، حيث قال: "وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم، واحتجاج على سفاهة أحوالهم"[٤].

٨- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تقرير عقيدة التوحيد، والرد على ضلالات المشركين"[٥].

ثالثا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الأنعام اسمان، هما:

١- سورة الأنعام، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لتفصيلها أحوال الأنعام أكثر من غيرها من السور.

---

(١) نظم الدرر ٧/١، ٢، ومصاعد النظر ١١٨/٢.

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور ٩٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٢١٤.

(٤) التحرير والتنوير ١٢٥/٧.

(٥) المختصر في تفسير القرآن الكريم ١٢٨.

٢- سورة الحجة، لورود لفظ الحجة فيها في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (من الآية ٨٣). وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ (من الآية ١٤٩)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث تناولت ذكر الأنعام وأحكامها، وما دلت عليه من قدرة الله تعالى على خلقها وما أفاض فيها من النعم على خلقه.

رابعًا دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الأنعام خمسًا وستين ومائة آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١-استحقاق الله ﷻ للحمد، والدلالة على توحيده وقدرته على البعث، وما يتخلل ذلك من مجادلة الكافرين وإقامة الحجة عليهم.

جاء ذلك في ثمان وخمسين آية، من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام الآية ١) إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام الآية ٥٨) ومما تضمنته:

- فضل الله على عباده بخلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ومع ذلك فقد كفر به من كفر، وجعلوا له شريكًا يعدلون به سواه.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢٧٠/١، وبصائر ذوي التمييز ١٨٧/١، والتحرير والتنوير ١٢١/٧.

- تقرير أن الله ﷻ خلق الإنسان من طين، وجعل له أجلاً، ثم جعل أجلًا أخيرًا للبشر جميعًا، ومع وجود الدلائل على ذلك فقد شك في أمر الإعادة والبعث من شك.

- تقرير ألوهية الله في السماوات والأرض، وعلمه المطلق بما فيها، بالسر والجهر، وما كسبته الأيدي من خير أو شر.

- أن حال الكفار بآيات الله الدالة على وحدانيته، وصدق رسله الكرام على مراتب ثلاث:

١- الإعراض عن التأمل في الدلائل والتفكر في البينات.

٢- التكذيب بها.

٣- الاستهزاء بها(١).

- أن الوعيد بالعذاب الشديد سنة الله في المكذبين برسلهم الكافرين بأنعم الله.
- عناد المشركين ومكابرتهم عن قبول الآيات، فلذلك إجابة مطالبهم لا تحقق الغرض وسيظلون على ما هم عليه.
- أن الاستهزاء بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم سُنَّة ماضية، والعقوبة على الاستهزاء بهم سُنَّة ماضية أيضًا.
- محاجة الكافرين على تكذيبهم وعاقبة ذلك. وقد ورد ذلك بعدة صور:
  - الأمر بالسير في الأرض والاعتبار بعاقبة الكافرين السابقين.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٢/١٦٦.

- النظر في مالكية المكان السماوات والأرض وأنها لله.
- رحمة الله ﷻ بعدم معاجلة المكذبين العذاب، وإمهالهم إلى يوم القيامة يوم الحساب والجزاء.
- النظر في ما لكية الزمان الليل والنهار وأنها لله.
- أن خالق السماوات والأرض فاطرهما، والرزاق لعباده من غير احتياج إليهم، هو المستحق لأن يكون وليًا لا غيره.
- الأمر بالإسلام لله وعدم الإشراك به.
- الأمر بالخوف من الله وخشيته من عذابه يوم القيامة.

- التأكيد على أن الله ﷻ مالك الضر والخير، وأنه لا يكشف الضر إلا هو، ولا يصيب بالخير إلى هو، فهو القادر على كل شيء.
- تقرير ربوبية الله تعالى المستلزمة ألوهيته، فهو القاهر والسلطان على كل أحد.
- تقرير نبوة الرسول ﷺ بشهادة الله تعالى له وإيحائه له بهذا القرآن.
- أن نذارة الرسول ﷺ بلغت كل من بلغه القرآن إلى يوم الدين.
- الإنكار على المشركين اتخاذهم آلهة مع الله، وبراءة الرسول ﷺ من ذلك وتقريره وحدانية الله تعالى.
- معرفة أهل الكتاب بنبوة محمد ﷺ وصدق رسالته كما يعرفون أبناءهم ولكنهم لم يؤمنوا به فخسروا أنفسهم بإيثارهم الدنيا على الآخرة.

- أن الافتراء على الله وبآيات الله الدالة على توحيده وعلى رسالة نبيه محمد ﷺ ظلم للنفس وعدم فلاح لها.
- بيان حال المشركين يوم القيامة، حث يسألون سؤال إنكار وتوبيخ، فيجيبون بالتكذيب على أنفسهم وتضليلها.
- بيان حال بعض المشركين في الدنيا حيث يسمعون القرآن ولا يستفيدون منه شيئا، لعدم إرادتهم للخير، ويزعمون أن ما فيه أساطير الأولين.
- أن المشركين بالله يجمعون بين الضلال والإضلال، وهم بهذا يهلكون أنفسهم دون شعور منهم.
- بيان حالي هذا الصنف من الكافرين يوم القيامة:

الأولى: أنهم إذا وقفوا على النار يتمنون العودة إلى الدنيا للإيمان بالله وعدم التكذيب بآياته، وهذا ليس رغبة في الإيمان، ولكنه خوفًا من العذاب الذي شاهدوه، إذ لو ردوا إلى الدنيا فإنهم سيعودون لحالهم السابقة بأنه لا حياة إلا الدنيا ولا معاد ولا بعث.

الثانية: أنهم إذا وقفوا على ربهم، وقيل لهم: أليس هذا الذي تشاهدونه هو الحق فيسارعون بالإجابة ببلى ويحلفون بذلك ولكن لا ينفعهم هذا الاعتراف، فليس لهم إلا العذاب يذوقونه بكفرهم ربهم وبالبعث وبالرسل.

- تقرير خسران من كذب بلقاء الله، وخيبته إذا جاءته الساعة بغتة، وندامته على ما فرط من العمل، وحمله الأوزار العظيمة على ظهره.
- تقرير حقيقة الحياة الدنيا والآخرة. فالدنيا: ليست إلا لهوًا ولعبًا، والآخرة: هي الدار والخير والأحسن للمتقين.

- تربية الرسول ﷺ وإرشاده لما يشد من عزمه ويزيد في ثباته على دعوته بأربعة أمور:

الأول: أن تكذيب الكفار بالرسول ليس تكذيبًا حقيقيًا، فهم في واقع الأمر لا يكذبونه فيما جاء به ولكنه العناد والجحود.

الثاني: أن الرسل السابقين قد كُذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله، فاصبر يا محمد حتى يأتيك النصر فهذه سنة الله.

الثالث: أن على الرسول ﷺ بذل الوسع في دعوتهم، ولو شق عليه أمر إعراضهم فإنه لا يستطيع هدايتهم مهما فعل إلا بإرادة الله ﷻ.

الربع: قدرة الله تعالى على هداية الناس أجمعين، ولكن لحكمته جعلهم متفاوتين.

- أن المستجيب للدعوة هو من يسمع الكلام ويعيه، أما موتى القلوب فلا يستجيبون وموعدهم يوم القيامة يبعثهم الله وإليه يرجعون.
- قدرة الله ﷻ على إنزال الآيات في أي وقت وفق حكمته وتدبيره جل وعلا لا باقتراحات الكفار ورغباتهم.
- إن من قدرة الله تعالى على إنزال الآيات شمول علمه وسعة تدبيره، فما من دابة في الأرض أو طائر في الهواء إلى أمم مثل الأمة الإنسانية، مفتقرة إليه في خلقها ورزقها وتدبير حياتها، وإحصاء عملها ومحاسبتها.
- أن المكذبين بآيات الله صم عن سماع الحق، وبكم عن النطق به، وفي ظلمات الجهل والعناد منغمسون.

- محاجة الكافرين في حالهم حين يصيبهم العذاب أو تأتيهم الساعة بغتة، فهم يلجؤن إلى الله وحده لعلمهم أنه النافع الضار المجيب لدعوة المضطر، وينسون ما يشركون به من الأصنام والآلهة ليأسهم من إجابتها.
- أن من سنة الله في عباده: أنهم يأخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون الله ويدعونه وحده، وأن من لم يرعو ولم يتعض بالابتلاءات يختبره الله بالحسنات وفتح أبواب الرزق استدراجًا منه وإمهالًا، حتى إذا فرحوا بما أعطوا أخذهم الله بغتة فإذا هم آيسون من كل خير.
- دلائل أخرى على توحيد الله وعدم الإشراك به من خلال محاجة الكافرين الذين يتركون عبادة من يملك سمعهم وأبصارهم وقلوبهم إلى من لا يملكها، فكيف يكون حالهم إذا أخذها الله منهم، ومع هذا فهم يعرضون عن آيات الله.
- التحذير من الإقامة على الظلم، فإذا أتى عذاب الله لا يُهْلِك إلا الظالمون.
- أن مهمة الرسل عليهم السلام ليست لإجابة رغبات الكفار واقتراحاتهم بل هي للتبليغ والبشارة والنذارة.
- أن الرسول ﷺ ليس إلا عبد يوحىٰ إليه فهو لا يملك خزائن الله ولا يعلم الغيب، وليس مَلَكًا من الملائكة فكيف يطلب منه ما ليس بمقدوره.
- توبيخ الكفار على ضلالهم ببيان عدم استواء الأعمى والبصير.
- توجيه الرسول ﷺ بإنذار الذين يخافون أن يحشروا بأن لا ولي ولا شفيع لهم من دون الله.

- النهي عن إبعاد المتقين الداعين ربهم على الدوام رغبة في غيرهم، فكل له حسابه وعمله.
- ابتلاء الله العباد بعضهم ببعض.
- تكريم المؤمنين مهما كانوا ضعفاء برد السلام عليهم وتبشيرهم برحمة الله الواسعة الشاملة، وترهيبهم من الإقامة على الذنوب، وأمرهم بالتوبة عن المعاصي.
- أن آيات الله واضحة ومفصلة بحيث تقوم الحجة ويظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل.
- أن الحق الذي تقوم عليه الأدلة والبراهين هو توحيد الله وإخلاص العمل له، أما العبادة من دون الله فهي مبنية على اتباع الهوى الذي اتباعه أعظم الضلال.
- أن الحق الذي يجب اتباعه هو شريعة الله التي أوحاها الله إلى نبيه محمد ﷺ.
- أن ما يستعجله الكفار من العذاب لا يملكه الرسول ﷺ، ولو كان إليه لأوقع بهم ما يستحقونه، ولكن الأمر لله الحكيم الصبور الأعلم بالظالمين.

٢-الدلالة على مظاهر علم الله وقدرته وقهره، ومجادلة المشركين في شركهم مع الله وبُعْدُهم عن كثير من سنن الله والاعتبار بها.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام

الآية ٥٩) إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام الآية ٧٣).

ومما تضمنته:

- علم الله المطلق المحيط بالغيب كله، ومنه ما في البر والبحر، والحركات والسكنات، والرطب واليابس، في الجماد والحيوان والنبات.
- تقرير ألوهية الله تعالى المستحق وحده للعبادة، فهو المتفرد بتدبير عباده في يقظتهم ومنامهم، فهو الذي يتوفاهم بالليل، ويعلم ما كسبوه في النهار، ثم ينفذ أجله فيهم أجل الحياة ثم أجل البعث بعد الموت.
- إنفاذ إرادة الله تعالى على عباده فهو القاهر فوقهم لا يقدرون على شيء إلا بإذنه.
- أن من مظاهر قهر الله لعباده أن وَكَّل بهم ملائكة يحفظون أعمالهم ويقبضون أرواحهم، ولا يفرطون فيما وكلوا به.
- أن الحكم المطلق لله وحده يوم القيامة وهو أسرع الحاسبين، لكمال علمه وحفظه لأعمالهم.
- توبيخ الله عَجَّلَ للمشركين معه في دعائهم إياه عند الشدائد، ثم دعائهم معه غيره عند الرخاء.
- الدلالة على توحيد الله بقدرته على إيصال العذاب للمشركين من طرق مختلفة ليعتبروا ويتعظوا.
- الوعيد الشديد على من كذب بالقرآن أو تخلى عن العمل به.

- وجوب الإعراض عن المجالس التي يخاض فيها بآيات الله بالاستهزاء والسخرية حتى ينتقل في الحديث إلى كلام غيره، وهذا لمن لم يستعمل تقوى الله معهم بأن يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر(١).
- التأكيد على ترك الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وشغلوا أنفسهم بالحياة الدنيا عن طاعة الله.
- تذكير الناس بالقرآن قبل أن يتعرضوا للهلاك والعذاب في يوم لا يقبل فيه ولي ولا شفيع إلا بإذن الله.
- الرد على عبدة الأصنام باستنكار الشرك والعودة إليه بعد الهدى، والتمثيل له بمن تستهويه الشياطين وتجعله حيرانًا هائمًا على وجهه تاركًا رفاقه يدعونه الى الهدى ولا يستجيب لهم.
- تقرير أن هدى الله هو الهدى الذي استجاب له الرسول ﷺ والمؤمنون، وأمروا بالإسلام له، وأن يقيموا الصلاة ويتقوه فهو الذي إليه المرجع والمعاد.
- تقرير ألوهية الله تعالى ببيان أن الحشر إليه، وأن خلق السماوات والأرض له، وأن أمره بالشيء كائن لا رادَّ له، وأن الملك في الدنيا ويوم ينفخ في الصور له، وأنه العالم بالغيب والشهادة الحكيم الخبير.

٣-إقامة الحجة على الكافرين المنكرين لتوحيد الله من خلال قصة إبراهيم الخليل عليه السلام ورهط من الأنبياء عليهم السلام الداعين إلى توحيد الله.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ١٣٥، ١٣٦.

جاء ذلك في واحد وعشرين آية من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام الآية ٧٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام الآية ٩٤).

ومما تضمنته:

- مناقشة إبراهيم عليه السلام متعجبًا من عبادة غير الله.
- توفيق الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام برؤية ملكوت السماوات والأرض وما فيهما من بديع النظام والصنع، والاستدلال على وحدانية الله وعظيم قدرته وسعة علمه.
- مناقشة إبراهيم قومه في عبادتهم الكواكب، والقمر، والشمس، وإثباته أن لا شيء منها يستحق الربوبية والألوهية، وإعلانه براءته من عبادتهن، وأنه إنما يعبد خالقها ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء.
- محاجة قوم إبراهيم له فيما ذهب إليه من عبادة الله وحده، وجوابه لهم ببيان شبهاتهم في شركهم بتخويفه بالأصنام، وأن تعدد الآلهة لا ينافي الإيمان بالله، ثم إنكاره عليهم مجادلتهم له في أمر الله الذي بيده الهداية والأمن والعلم بكل شيء.

- أن الحجة التي احتج بها إبراهيم على قومه منة من الله تعالى على إبراهيم عليه السلام، وأن رفضها ليس دليلًا على قصورها، بل لعمى وصمم عند متلقيها.

- فضل إبراهيم عليه السلام بما مَنَّ الله به عليه من العلم والنبوة والدعوة والصبر، وما أكرمه به من الذرية الصالحة بجعل صفوة الخلق من نسله.

- ذكر ثمانية عشر نبيًا آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة وجميعهم يدعون إلى توحيد الله وعدم الإشراك به.

- دعوة النبي محمد ﷺ وأمته إلى الاقتداء بهم وبهداهم.

- أن من لم يؤمن بالله ولا بدعوة محمد ﷺ فإنه لم يعرف الله حق معرفته ولا يعظمه حق تعظيمه.

- أن من أنكر رسالة محمد ﷺ والوحي المنزل عليه، كيف يقول بالكتاب المنزل على موسى عليه السلام الذي كان نورًا وهداية، حتى إنهم كانوا يتناسخونه في القراطيس ويتصرفون فيه بما شاؤا.

- تقرير إنزال القرآن الكريم، وأنه مبارك ومصدق للكتب السابقة، ومنذر به الخلق جميعًا بدءًا بمكة أم القرى إلى الخلق أجمعين.

- أن من يؤمن بالله وباليوم الآخر ويقيم الصلاة ويحافظ عليها فإنه يؤمن بهذا القرآن.

- تقرير أنه لا أحد أظلم ممن كذب على الله وجعل له شركاء، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله، أو ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله

من الوحي. وأن جزاء هؤلاء الظالمون التقريع والتوبيخ ساعة موتهم ويوم بعثهم.

٤-بيان بعض آيات الله الدالة على قدرته وإرادته وعلمه وحكمته، ومواقف الكافرين بالله وإقامة الحجة عليهم.

جاء ذلك في واحد وأربعين آية من قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام الآية ٩٥) إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (الأنعام الآية ١٣٥).

ومما تضمنته:

- آيات الله الدالة على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته وإحسانه على الخلق وهي أنواع:

أ- آيات الله في أحوال النبات، فهو شاق الحب والنوى لإنبات الزرع والشجر، ومخرج النبات الأخضر من الحب اليابس، ومخرج اليابس من النبات الحي.

ب- آيات الله في أحوال الفلك، فهو فالق ظلمة الليل بنور الصبح، وجاعل الليل سكنًا، والشمس والقمر آيتين للحساب والنجوم للاهتداء بها.

ج- آيات الله في الأنفس، فهو الذي خلقها من نفس واحدة ثم جعل لها مستقر ومستودع فيتناسل البشر عن طريق الأرحام والأصلاب.

د- آيات الله في تكوين النبات، بإنزال الماء وجعله سببًا لانبات مختلف الأصناف والأنواع.

- تنزيه الله تعالى عن شرك من أشرك في عبادة الله تعالى بطاعة الجن فيما يأمرونهم به، وبمن جعل له بنين وبنات بغير علم.

- تقرير خلق الله للسماوات والأرض ومبدعهما، ومن هذا شأنه كيف يكون له ولد والحال أنه لا صاحبة ولا زوجة له مع أنه خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم.

- أن خالق كل شيء هو المستحق وحده للعبادة، وهو الذي لا تدركه الأبصار وهو يدركها.

- تقرير أنه بإنزال القرآن الكريم أعطي الناس البصائر التي تبصر بها الحقائق، فمن أبصر الحق فآمن فلنفسه، ومن عمي عن الحق فعلى نفسه.

- أن مهمة الرسول ﷺ البلاغ والإنذار، ولم يجعله الله حفيظًا ولا رقيبًا ولا وكيلًا عليهم.

- إقامة الحجة وبيان الآيات للقوم الذين يعلمون.

- الأمر باتباع الوحي المنزل من الله، والإعراض عن المشركين.

- أن إضلال الضالين وشركهم، لحكمة يعلمها الله ﷻ، ولو شاء لهدى الناس أجمعين.

- نهي الرسول والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، لما يترتب عليه من مفسدة وهي: سَبُّ الله ﷻ.

- بيان أن المشركين المعاندين- الذين يقسمون إن جاءتهم الآيات البينات ليؤمنن بها- لن يؤمنوا؛ لسبق علم الله بعدم إيمانهم وتأصلهم في الضلال، حتى ولو نزل عليهم الملائكة وبعث لهم الموتى، وحشر عليهم الأمم، وأخبرهم الجميع بصدق الرسل، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله هدايتهم فضلا منه ورحمة.

- أن من سنة الله أن جعل لكل نبي أعداء يخالفونه ويعاندونه.

- أمر النبي ﷺ بترك ما يزينه أهل الباطل بعضهم لبعض، فإن دأبهم صرف الناس عن اتباع الحق وتزيين الباطل فيغتر بهم ويرضى بعملهم من لا يؤمن بالآخرة.

- إقامة الحجة على الكافرين بصدق نبوة محمد ﷺ من خلال:
  - إنزال القرآن الكريم المفصل المبين، الدال بإعجازه على أنه كلام الله.
  - علم أهل الكتاب بأن محمدًا وما أنزل عليه حق من عند الله.

- النهي عن اتباع أهل الضلال حتى وإن كثروا، فالله يعلم الضالين والمهتدين.

- الأمر بمخالفة الضالين في أنفسهم المضلين لمن أطاعهم بحملهم على الشرك بالله بالذبح لغيره والتوسل به إليه.

- النهي عن ارتكاب الآثام والمعاصي الظاهرة والباطنة.

- النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح، وعن ما لم يذبح أصلا، وأن ذلك فسوق ومخالفة لأمر الله.

- أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعل حيًا بعد ذلك وأعطي نورًا يهتدي به. والكافر الضال بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها.
- أن من سنة الله في المجتمعات أن جعل منهم زعماء مجرمين يمكرون بالرسل وبالمصلحين من بعدهم، وأن مكرهم عائد في النهاية على أنفسهم.
- بيان أن المجرمين إذا جاءتهم آية رفضوا الإيمان بها لأن دافعهم حسدهم أن يبعث رسولا غيرهم.
- الرد عليهم بأن الله ﷻ هو الأعلم حيث يضع رسالته.
- سنة الله فيمن يريد هدايته للإيمان بشرح صدره للإسلام وتيسيره له، وفيمن يريد إضلاله يجعل صدره ضيقًا حرجًا من قبول الإيمان وسماع الحق.
- بيان أن طريق الحق أصبح واضحًا لكل ذي بصيرة، فمن اتبعه فله دار السلام، ومن أعرض عنه فلهو عذاب النار.
- إقامة الحجة على الكفار يوم الجزاء.
- اعتراف الكفار من الإنس والجن يوم الجزاء باستمتاع بعضهم ببعض حتى بلغوا الموت.
- أن من سنة الله في خلقه تولية الظالمين بعضهم بعضًا بأعمالهم التي كسبوها.
- تقريع الكفار من الجن والإنس يوم القيامة بسؤالهم عن تبليغ الرسل لهم، وعن قصهم عليهم الآيات، وعن إنذارهم لقاء اليوم الآخر.

- إقامة الحجة على الكفار يوم القيامة بإقرارهم باغترارهم بالحياة الدنيا، وتفريطهم بها، وشهادتهم على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين.
- أن من سنة الله في خلقه عدم معاجلتهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولًا ويقيم عليهم الحجة.
- أن من سنة الله في محاسبة الخلق مجازاتهم بحسب أعمالهم وعدم غفلة الله عنها.
- غنى الله عن جميع خلقه وفقرهم إليه، ورحمته العامة الشاملة لعباده.
- قدرة الله على الإماتة والاستئصال بالعذاب، واستخلاف خلق آخر أمثل وأطوع.
- أن وعد الله بيوم القيامة آت ولا أحد يستطيع المنع من إتيانه.
- تهديد المشركين المُصِرِّين على كفرهم وشركهم بأن العاقبة للمتقين وليست للظالمين.

٥-إقامة الدلائل على أنه خالق الثمار والأنعام هو مصدر بقائها واستمرارها، والمشرع لها تحليلًا وتحريمًا، وإقامة الحجة على المشركين الذين يشرعون من عند أنفسهم.

جاء ذلك في ثمان عشرة آية من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ

﴿شُرَكَآؤُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الأنعام الآية ١٣٦) إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام الآية ١٥٣). ومما تضمنته:

- بيان لبعض أعمال المشركين التي ابتدعوها وجعلوها شرعة لهم، ومن ذلك:
  - عدم عدلهم في قسمتهم الزروع والثمار والأنعام، فما جعلوه لله بزعمهم صرفوه لأوثانهم، وما جعلوه لأوثانهم قدموه لها.
  - قتلهم الأولاد بتزيين من الشياطين، ليهلكوهم ويخلطوا عليهم دينهم.
  - تصنيفهم الأنعام والحرث ثلاثة أصناف: صنف لمعبوداتهم وأوثانهم، وصنف حرمت ظهورها، وصنف لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح.
  - تخصيصهم ألبان الأنعام وذكورها لذكورهم، وتحريمها على الإناث، أما الميتة فيشترك فيها الذكور والإناث.
  - تنديد الله بمن يعمل هذه الأعمال بالخسران، والسفه، والجهل، وتحريم الحلال، والافتراء على الله، والضلال، وعدم الهداية.
- امتنان الله على عباده بخلق الزروع والثمار على هيئات وأشكال مختلفة، وإباحته الأكل منها قبل أن يؤدى حقها يوم حصادها، وعدم الإسراف في ذلك.
- امتنان آخر منه ﷻ بإنشاء الأنعام بمنافعها وفوائدها المتعددة، وأن نتبع أوامر الله وأحكامه فيها.

- التنديد بأعمال المشركين الذين جعلوا الأنعام أنواعًا وأجزاء، وحرموا أنواعًا منها ابتدعوها من أنفسهم.
- التبكيت والتقريع بمن حرم ما لم يحرمه الله، وأنهم بذلك مفترون ظالمون قائلون على الله بغير علم.
- بيان أن ما حرمه الله من المطعومات هو الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، مع إباحتها عند الاضطرار، إذا لم يكن آكلها في حال بغي أو عدوان.
- أن ما حرمه الله على اليهود كان بسبب بغيهم ومجاوزتهم الحد.
- الترغيب في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله.
- زعم المشركين بأن ما قاموا به من تحليل وتحريم إنما هو بمشيئة الله، والرد عليهم بأن زعمهم هذا ليس جديدا فقد كذب الذين من قبلهم حتى جاءهم العذاب، ولو كان صحيحًا ما ذكروه فليأتوا بالدليل والبرهان عليه.
- تقرير أن لله وحده الحجة البالغة والمشيئة المطلقة.
- مطالبة المشركين بإحضار شهود على ما يزعمونه، مع عدم إقرار شهادة الباطل حيث لا يتبعون في دعاويهم إلا الأهواء.
- أن التحريم يجب أن يصدر من الشارع الحكيم، لا بحسب الأهواء وتزيين الشركاء، لذا فقد أمر الله رسوله ﷺ أن يعدد لهؤلاء المشركين المحرمات حقيقة وهي:

الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، والتطفيف في الكيل والوزن، والجور في الأقوال والأحكام، ونكث العهد، والانحراف عن صراط الله.

٦-وفاء القرآن الكريم وتصديقه لما في التوراة التي اشتهرت بين المشركين، وأنه مبارك يجب اتباعه، وقطع عذرهم في عدم الاهتداء به والوعيد لمن لم يؤمن به.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام الآية ١٥٤) إلى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام الآية ١٦٠).

ومما تضمنته:

- الثناء على التوراة بتفصيلها ما تحتاج إليه أمة بني إسرائيل، وعلى رسولها بإحسان طاعة ربه.
- الامتنان على الأمة بإنزال القرآن وما أودع فيه من البركة، والأمر باتباعه والنهي عن ترك العمل به.
- أن إنزال القرآن على محمد ﷺ فيه قطع لعذر وحجج الكافرين الذين يقولون: أن كتب الله قد أنزلت على اليهود والنصارى من قبل وما كنا

نفهم ما يقولون، أو يقولوا لو أنزل علينا كتابًا هاديًا لكنا أهدى من غيرنا.

- أنه لا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله وصد الناس عنها فهؤلاء سيجزيهم الله أشد العذاب.
- التهديد والوعيد لمن أصر على التكذيب وانتظر إتيان الملائكة أو إتيان الرب تعالى، أو إتيان بض آيات الله حتى يؤمن، فهؤلاء لن ينفعهم إيمانهم إن لم يكونوا آمنوا من قبل.
- التهديد أيضا لمن فارق دين الله، وتفرق فيه، وأن أمرهم إلى الله يحكم بينهم بحكمه العادل.
- فضل الله ورحمته بمضاعفته الحسنة وعدم مضاعفة السيئات.

٧-بيان أن الدين القيم هو القائم على توحيد الله، وعبادته وحده، وعدم الإشراك به، وأن الجزاء يكون على الأعمال التي يقوم بها الإنسان، ولا يحمل ما عمله غيره.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام الآية ١٦١) إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ (الأنعام الآية ١٦٥).

ومما تضمنته:

- نعمة الله على محمد ﷺ بأن هداه إلى صراط الله المستقيم على أمر الله، الطاهر من الشرك.
- إعلان محمد صلى الله وعليه وسلم للناس إخلاصه لله في صلاته ونسكه ومحياه ومماته.
- إنكاره على المشركين الذين دعوه أن يعبد معهم آلهتهم، بكيف يتم ذلك والله رب كل شيء، وهو الذي يحاسب كل نفس على عملها، ولا يُحَمِّلها إثم غيرها، وأن المرجع إليه يوم الجزاء.
- تقرير جعل البشر خلائف في الأرض لابتلاء بعضهم لبعض.

وهكذا نجد أن سورة الأنعام بما تضمنته آياتها دلت على توحيد الله، وعدم الإشراك به، ومحاجة الكافرين الذين أشركوا وعدلوا معه غيره.

وقد ورد ذلك بأساليب وطرق مختلفة عن طريق:

- إثبات علم الله وقدرته وقهره.
- عرض قصة إبراهيم عليه السلام وعدد من الأنبياء الذين يدعون إلى توحيد الله.
- بيان عدد من سنن الله عز وجل في خلقه، وأن البعد عنها سبب في الكفر وعدم الإيمان.
- بيان أن الثمار والأنعام نِعَمٌ من الله عز وجل خلقها وقدَّرها وأنه المشرع لها تحليلًا وتحريمًا.

- إثبات أن القرآن الكريم هو محل الاحتجاج، وأنه مهيمن على الكتب السابقة ومصدق لها.
- أن الدين القيم هو ملة إبراهيم عليه السلام القائمة على توحيد الله، وعبادته وحده، وعدم الإشراك به.

وهو ما قررناه في مقصود السورة والله أعلم.

****

٧- سورة الأعراف

أولًا: مقصود سورة الأعراف:

﴿تقرير توحيد الله، وإنذار المخالفين له، وأسباب الضلال عنه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الأعراف، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب، من التوحيد، والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام به على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين"(١).

٢- الفراهي، حيث قال: "تنذر أهل القرى، وتوعدهم بالهزم وغلبة الحق"(٢).

٣- محمد عناية الله، يرى أن مقصد السورة: النصح(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: انتصار الحق في صراعه مع الباطل، وبيان عاقبة المستكبرين في الدنيا والآخرة"(٤).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الأعراف عدة أسماء منها:

١-سورة الأعراف، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود ذكر

---

(١) نظم الدرر ٣٤٧/٧، ومصاعد النظر ١٣٠/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٤.

(٣) ينظر: إمعان النظر في نظام الآي والسور ٢٧٨.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ١٥١.

أصحاب الأعراف فيها، في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ من الآية ٤٦. والأعراف: هو الحجاب الحاجز بين الجنة والنار، والمانع من وصول أهل النار إلى الجنة(١).

٢- سورة طولى الطوليين، وهما سوره الأنعام والأعراف.

٣-سورة الميقات، لذكر ميقات موسى عليه السلام فيها، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ من الآية ١٤٣.

٤-سورة الميثاق، لذكر حديث الميثاق فيها، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ من الآية ١٧٢(٢).

ودلالة اسمها على مقصودها: لما في ذكر الأعراف من دلالة على توحيد الله، وعاقبة المكذبين المتبعين للشيطان، المستكبرين عن آيات الله، وما جاء به الأنبياء من الدعوة إلى عبادة الله وحده.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الأعراف ستا ومائتي آية تحدثت في مجملها عما يلي:

١-التنويه بالقرآن، والأمر باتباعه، وعاقبة من لم يتبعه، ولم يتبع رسل الله، وأن الجميع سيسأل عما عمل، وستكون معاملتهم بالحق والعدل، وعدم الظلم.

---

(١) ينظر: جامع البيان ١٩٠/٨، وتفسير القرآن العظيم ٤١٧/٣، ٤١٨.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٢٠٣/١، والتحرير والتنوير ٥/٨.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأعراف الآيتان ١، ٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ (الأعراف الآية ٩).

٢- التذكير بنعم الله على عباده، وخلق أبينا آدم وتكريمه، وعداوة إبليس له ولذريته، وبداية إغوائه لبني آدم، ثم قصة آدم في الجنة، وخروجه منها، والتحذير من فتنة الشيطان وأثر متابعته.

جاء ذلك في ست وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ (الأعراف الآية ١٠) إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ (الأعراف الآية ٢٥).

٣-توجيه الله ﷻ بني آدم، بعد دعوة إبليس لأبيهم بالعري بقوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا﴾ (سورة الأعراف الآية ٢٠) فجاء التوجيه لبني آدم بنداءات أربعة وهي:

أ- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف الآية ٢٦).

ب- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف الآية ٢٧).

ج- ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الأعراف الآية ٣١).

د- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (الأعراف الآية ٣٥).

جاء ذلك بأحد عشر آية من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف الآية ٢٦) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الأعراف الآية ٣٦).

٤-التحذير من الافتراء على الله، أو التكذيب بآياته، فهذا لا ينفعهم عند أخذ الملائكة لهم، فلا يصعد لهم عمل صالح، ولا يدخلون الجنة، ولهم من الله ما يستحقون، أما الذين آمنوا فهم الذين يدخلون الجنة.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف الآية ٣٧) إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف الآية ٤٣).

٥-عرضت السورة المحاورة بين أهل الجنة وأهل النار، ثم بين أهل الأعراف وأهل الجنة وأهل النار. واتضح منها عاقبة الإيمان والعمل الصالح، وعاقبة الكبر والكفر.

جاء ذلك في ثمان آيات من قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف الآية ٤٤)، إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (الأعراف الآية ٥١).

٦-إعذار الله إلى الكافرين بإرسال الرسل إليهم بالكتاب المفصل المبين على علم، والتذكير بالله وقدرته المستحق وحده لعبادته ودعائه، والنهي عن الإفساد في الأرض، والتذكير بأنه الذي يرسل الرياح، وينزل المطر، وينبت الأرض، فالقادر على ذلك قادر على البعث وإحياء الأجساد بعد موتها.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف الآية ٥٢) إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف الآية ٥٨).

٧-عرضت السورة قصص عدد من الأنبياء مع أقوامهم فذكرت:

١- قصة نوح وقومه الآيات ٥٩-٦٤.

٢- قصة هود وقومه الآيات ٦٥-٧٢.

٣- قصة صالح وقومه الآيات ٧٣-٧٩.

٤- قصة لوط وقومه الآيات ٨٠-٨٤.

٥- قصة شعيب وقومه الآيات ٨٥-٩٣.

والجامع بين هذه القصص هو:

- دعوة أقوامهم إلى عبادة الله وحده.
- مجيئهم رسل من الله بالهدى.
- موقف الأقوام من أنبيائهم وما جاؤا به.
- ما حلّ بهم جزاء عدم اتباعهم رسلهم.
- أن العاقبة الحسنة للمتقين.

جاء ذلك في خمس وثلاثين آية من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف الآية ٥٩) إلى قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف الآية ٩٣).

٨-تحدثت السورة عن سنة الله في الأمم التي ينزل عليها الهدى، ويرسل لها الرسل ولم تتبعهم، فوعظ وحذر، وخَوَّف وأنذر، وكيف أخذهم بالبأساء والضراء.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ (الأعراف الآية ٩٤) إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ (الأعراف الآية ١٠٢).

٩-عرضت السورة قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه وسحرته، وما حلّ بقوم فرعون من البلايا والنكبات، وما ابتلاهم به من الجدب والقحط، والطوفان والجراد.. وغير ذلك، نتيجة إصرارهم على الكفر وتكذيبهم بآيات الله، وفيها إظهار لمعجزتيه العصا واليد أمام فرعون، وأثر ذلك، وما أجابه فرعون لملئه، ثم نصيحة موسى لقومه وما وعده لهم بأمر الله، وأظهرت الآيات التي أخذ الله بها آل فرعون، فذكرت خمس آيات في هذه السورة، وأثرها عليهم بإغراق فرعون وملئه في البحر، ونجاة موسى ومن آمن معه.

جاء ذلك في خمس وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (الأعراف الآية ١٠٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ

كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف الآية ١٣٧).

١٠- عرضت السورة قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، ببيان إهلاكه لعدوهم، وإنجائهم وخروجهم من البحر آمنين، إلا أنهم ارتدوا عليه، وطلبوا أن يعمل لهم آلهة وأصنامًا. ثم عرضت بدء الوحي لموسى وامتنان الله عليهم بما حصل لهم من الهداية بتكليم موسى وإعطائه التوراة، وما حصل من قوم موسى، ثم أسى موسى على ما حصل منهم، من عصيان وتمرد على أوامر الله، وما عاقبهم به من اقتلاع جبل الطور وسحقهم به إن لم يعملوا بأحكام التوراة، وتخلله البشارة بالنبي الأمي عليه الصلاة والسلام، وأنه رسول الله إلى الناس جميعًا.

جاء ذلك في أربع وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف الآية ١٣٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف الآية ١٧١).

١١- ذكرت السورة هداية الله للبشر بما أودعه في فطرهم وعقولهم، من الاستعداد للإيمان به وتوحيده وشكره، ثم ضرب الله مثلًا للمكذبين بآياته المنزلة على رسله ولم يهتدوا بها، وأرشدت السورة من يهتدي ومن

يكذب، وعاقبة كل فريق، ثم أرشدت إلى التفكر بالساعة التي ينتهي بها أجل جميع الناس، وأن الأمور بيد الله وهو عالم الغيب والسر.

جاء ذلك في سبع عشرة آية من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف الآية ١٧٢)، الى قوله تعال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف الآية ١٨٨).

١٢- ذَكَّرت السورة في خاتمتها بالنشأة الأولى في الخلق والتكوين، والعداوة بين الإنسان والشيطان، ونهت عن الشرك، واتباع وسوسة الشيطان، فأمرت بالتوحيد واتباع ما جاء به القرآن، وبينت كيفية اتقاء إفساد الشيطان والاستعاذه منه، وقراءة القرآن، وذكر الله.

جاء ذلك في سبع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (الأعراف الآية ١٨٩) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ (الأعراف الآية ٢٠٦).

وهكذا: نجد أن سورة الأعراف، تحدثت في مجملها عن التوحيد، ونبذ الشرك، وعاقبة المشركين، وذلك منذ بدء الخلق في قصة آدم وإبليس، ثم بقصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى مع فرعون، وموسى مع بني إسرائيل عليهم السلام، ثم ختمت بنبينا محمد ﷺ. التي جاءت جميعها لتقرر توحيد الله وعدم الإشراك به. وهو ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

****

٨- سورة الأنفال

أولًا: مقصود سورة الأنفال:

﴿عوامل النصر، والأحكام المتعلقة بالقتال والغنائم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الأنفال، ومن هؤلاء:

١- ابن العربي المالكي، حيث قال عن سورة الأنفال: " فإن السورة هي سورة بدر كلها"[(١)].

٢- الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٥هـ، حيث قال: "ولا خلاف أن هذه السورة نزلت في شأن بدر، وأمر غنائمه"[(٢)].

٣- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله، واعتقاد: أن الأمور ليست إلا بيده، وأن الإنسان ليس له فعل"[(٣)].

٤- الفراهي، حيث قال: "سورة الأنفال في فرائض الجهاد، ووعد سطوع الحق والتطهير"[(٤)].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٤٤.

(٢) تفسير الثعالبي الجواهر الحسان ٢/٨٠.

(٣) نظم الدرر ٨/٢١٤، ومصاعد النظر ٢/١٤٦.

(٤) دلائل النظام ٩٤.

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الامتنان على المؤمنين بنصر الله لهم في بدر، وبيان سنن النصر والهزيمة"(١).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الأنفال عدة أسماء منها:

١-سورة الأنفال: وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاح السورة بالسؤال عن الأنفال، وتكراره فيها.

٢-سورة بدر: لأن معظمها في ذكر غزوة بدر، وما جرى فيها.

٣-سورة الجهاد: لأن معظم ما في هذه السورة عن الجهاد وأحكامه(٢).

وهذه الأسماء لها علاقة ودلالة على مقصودها فهي تتضمن الأحكام المتعلقة بالحرب والسلم وما ينتج عنهما، كما وضحت الغنائم ومصارفها.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الأنفال خمسًا وسبعين آية، تضمنت في مجملها تحقيق العناصر التالية:

١- عوامل النصر وما يتعلق به:

- أن يتحلى المؤمنون بالصفات التالية: تقوى الله، طاعة الله ورسوله، إقامة الصلاة، الإنفاق في سبيل الله، الإيمان بأن النصر بيد الله، الثبات أمام

---

(١) المختصر في تفسير القرآن ١٧٧.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٢٢٢، ومصاعد النظر ٢/١٤٤.

العدو، الوحدة وعدم التنازع، الأخوة في الله، ترك الرياء والعجب، إصلاح ذات البين.

- أن يكون الخروج في سبيل الله.
- الاستغاثة بالرب جل وعلا، ودعاؤه بالسراء والضراء.
- الأخذ بالأسباب، وأثره على النصر، ومن ذلك:
  - إعداد العدة في جميع الأحوال.
  - رفع معنويات المسلمين.
  - كيفية القتال.

٢- **النصائح والتوجيهات أثناء القتال**، ومن ذلك:

- الثبات وعدم التولي.
- مخادعة العدو.
- التحذير من الخيانة، والاغترار بالدنيا.
- أخذ الحيطة والحذر.
- عدم الغدر.

٣- **تربية المؤمنين بعد النصر**، ومن ذلك:

- أن النصر من الله.
- اتقاء الفتنة.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الاستجابة لله والرسول.
- التحذير من المعاصي الباطنة.
- حفظ المواثيق مع الأعداء.

وهكذا: نجد أن سورة الأنفال بما تضمنته آياتها تحدثت عن الأحكام المتعلقة بالجهاد، وما يظهر بعد الغزوات، كأحكام السلم والأسر والغنائم، وتناولت نعمة الله على الرسول ﷺ إذا نجاه من المشركين ومكرهم، ودعوتهم لأذى المسلمين، والتحذير من المنافقين، وضرب المثل بالأمم التي حاربت رسل الله ومن خلال حديثها عن الأنفال وقسمة الغنائم، وغزوة بدر وآثارها، أبرزت عوامل النصر وما يتعلق به. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٩- سورة التوبة

أولا: مقصود سورة التوبة:

﴿البراءة من المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وفتح باب التوبة إلى الله تعالى﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة التوبة، ومن هؤلاء:

١-ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة قال: "بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أن لا يبقى معنا أحد إلا ذكر فيها"(١).

٢- سفيان بن عيينة، حيث قال: "هذه السورة نزلت في المنافقين"(٢).

٣- الفخر الرازي، حيث قال عنها: "مجاهدة أهل الكتاب"(٣).

٤-أبو عبدالله القرطبي، حيث قال: "هذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف"(٤).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥٨/٦ في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر. ومسلم في صحيحه ٢٣٢٢/٤ في كتاب التفسير، باب في سورة براءة.

(٢) ينظر: زاد المسير ٣٩٠/٣.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٨٥/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦٢/٨.

٥-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: معاداة من أعرض عما دعت إليه السورة الماضية، من اتباع الداعي إلى الله في توحيده، واتباع ما يرضيه، وموالاة من أقبل عليه"[(١)].

٦- بن عاشور حيث قال عن سورة التوبة: "هذه السورة سورة شدة وغلظة على المشركين وأهل الكتاب والمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، وأمرًا للمؤمنين بالجهاد، وإنحاء على المقصرين في شأنه. وتخلل ذلك تنويه بالمتصفين بضد ذلك من المؤمنين الذين هاجروا والذين نصروا واتبعوا الرسول في ساعة العسرة"[(٢)].

٧- الفراهي، حيث قال: "غلبة الحق والجهد والتطهير"[(٣)].

٨-وجاء في المختصر: "البراءة من المشركين والمنافقين وجهادهم، وفتح باب التوبة للتائبين"[(٤)].

ثالثًا: دلالة أسمائها على مقصودها:

لسورة التوبة أسماء كثيرة، أوصلها بن عاشور إلى أربعة عشر اسمًا[(٥)]،كلها تدور حول مقصودها في البراءة من المشركين، والتعامل مع أهل الكتاب، وفضح المنافقين، والدعوة إلى التوبة إلى الله والرجوع إليه. وأشهر هذه الأسماء اثنان هما:

---

(١) نظم الدرر ٨/٣٥٠، ومصاعد النظر ٢/١٥٣.

(٢) التحرير والتنوير ١١/٧٠.

(٣) دلائل النظام ٩٤.

(٤) المختصر في تفسير القرآن ١٨٧.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ١٠/٩٥.

١-التوبة: وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لما تضمنته من الترغيب في التوبة سواء الذين تبرأ الله منهم، أو غيرهم من أصحاب الذنوب والمعاصي، وقد تكرر ذكر التوبة في السورة سبع عشرة مرة.

٢-براءة: وذلك لاستهلال السورة به، كما أنها في مجملها تشير إلى براءة المسلمين من المشركين وكفرهم.

ومن أسمائها: سورة الفاضحة: لفضحها المنافقين وكشفهم. وسورة العذاب: لأنها نزلت بعذاب الكفار، وتكرره فيها. وسورة المقشقشة: لأنها تخلص وتبريء المؤمن من النفاق والشرك.

وسورة البحوث: لبحثها عن أسرار المنافقين. وسورة المنقرة: لنقرها عن ما في قلوب المشركين والمنافقين(١).

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

تحدثت سورة التوبة في آياتها التسع والعشرين ومائة حول مقصودها العام، فتناولت ما يلي:

١- بينت السورة علاقة المسلمين بالمشركين، فقررت البراءة من المشركين وإعطائهم عهدًا ومدة للالتزام به، ووضحت كيفية التعامل معهم بعده، وتأمين المستجير منهم، والأسباب التي أوجبت البراءة منهم، وقتالهم.

جاء ذلك في ثمان وعشرين آية، من أول السورة: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (التوبة الآية ١) إلى قوله

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٢٢٧، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٢٠٤.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (التوبة الآية ٢٨).

٢- حددت السورة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب، بقتالهم حتى يعطوا الجزية، وبينت عقيدتهم الباطلة، وأن من سماتهم أكلهم أموال الناس بالباطل، ثم شبهت حال المشركين بهم في القبائح، فصار تشابه بينهم في أسباب قتالهم ومنافعه، وذكرت مثالًا لذلك وهو غزوة تبوك، وما صاحبها من أحداث.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية من قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ (التوبة الآية ٢٩)، إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة الآيتان ٣٩، ٤٠)

٣- بينت السورة حال المسلمين عند استنفارهم في سبيل الله ما بين ملبين لنداء الجهاد وهم الأكثر، ومتثاقلين عنه وهم الأقل.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة الآية ٤٥).

٤- فضحت السورة المنافقين، وكشفت أحوالهم ومؤامراتهم على المسلمين، وحذرت من كيدهم، وحددت العلاقة معهم، وبينت موالاتهم لبعض، وقابلتهم بأوصاف المؤمنين وما أعده الله لهم من الثواب. ثم دعت الآيات إلى مجاهدة المنافقين والغلظة عليهم، وعدم الصلاة عليهم أو الاستغفار لهم، وذكرت أوصافهم وجزاؤهم الأخروي.

جاء ذلك في خمس وأربعين آية، من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ (التوبة الآية ٤٦) إلى قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة الآية ٩٠).

٥- تحدثت السورة عن فئات المجتمع في المدينة وما حولها فذكرت:

- أصحاب الأعذار المقبولة وغير المقبولة عن النفير للجهاد، وحال كل فريق. من الآية ٩١ إلى الآية ٩٦.
- الأعراب المنافقون من الآية ٩٧ إلى الآية ١٠٨.
- الأعراب المخلصون. الآية ٩٩.
- المهاجرون والأنصار. الآية ١٠٠.
- الأعراب الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا. الآية ١٠٢.
- الأعراب المرجون لأمر الله. الآية ١٠٦.
- المؤمنون الصادقون. الآيتان ١١١، ١١٢.

٦- دعت السورة إلى التوبة إلى الله في جميع الأحوال، فدعت إلى:

- توبة المشركين الآيات ٣، ٥، ١١، ١٥، ٢٧.
- توبة المنافقين والمرتدين الآيتان ٧٤ ، ١٢٦.
- توبة المترددين. الآية ١٠٢.
- تذكير الجميع بالتوبة، وخاصة المتخلفين عن غزوة تبوك. من الآية ١٠٣ إلى الآية ١٠٦.
- التوبة على المؤمنين والمهاجرين والأنصار. الآيات ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١١٩.

٧- تحدثت السورة عن البراءة أيضًا من الكفار والمنافقين، وعدم الاستغفار لهم.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة الآية ١١٣)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة الآية ١١٦).

٨- جاء الأمر بالسورة بمتابعة الرسول ﷺ، وخاصة إذا دعا إلى الجهاد. وعدم التخلف عنه، والأحوال في ذلك.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة الآية ١٢٠) إلى قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة الآية ١٢٢).

٩- أرشدت السورة إلى الطريق الأصوب في القتال، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ (التوبة الآية ١٢٣).

١٠- أعادت السورة الحديث عن بعض صفات المنافقين، ومن ذلك استهزاؤهم بالقرآن.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ (التوبة الآية ١٢٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ (التوبة الآية ١٢٧).

١١- الامتنان على الناس كافة بأن أرسل الله إليهم رسولا رؤوفًا رحيمًا بهم.

جاء ذلك في آيتين هما خاتمة السورة: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (التوبة الآيتان ١٢٨، ١٢٩).

وهكذا: نجد أن سورة التوبة في مجملها تحدثت عن المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وكيفية التعامل مع الجميع، والدعوة إلى التوبة إلى الله تعالى، كما أن اسميها "التوبة" و"براءة" وأسمائها الأخرى، كل ذلك يدل على مقصود السورة الذي قررناه... والله أعلم.

١٠- سورة يونس

أولًا مقصود سورة يونس:

﴿الدعوة إلى الإيمان بالله وبرسله، وما جاءوا به من توحيد الله، ونبذ الشرك، وإثبات البعث والجزاء، وأن ذلك سبب للنجاة من عذاب الله﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة يونس، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "مقصود السورة: إثبات النبوة، وبيان فساد اعتقاد الكفار في حق النبي ﷺ والقرآن"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: وصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة"(٢).

٣- الفراهي، حيث قال: " تبشير وإنذار أخروي، خلاف اليهود الذين تثبطوا من الكمال فأخلدوا إلى الأرض"(٣).

٤- المراغي، حيث قال: وموضوعها يدور على إثبات أصول التوحيد، وهدم الشرك، وإثبات الرسالة، والبعث والجزاء، وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين وأصوله"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٢٣٨.

(٢) نظم الدرر ٩/٦١، ومصاعد النظر ٢/١٦٤.

(٣) دلائل النظام ٩٤.

(٤) تفسير المراغي ١١/٥٨.

٥- عبد الله شحاته، حيث بين أن سورة يونس تضمنت ثلاثة دروس: "الأول: مظاهر قدرة الله تعالى. الثاني: الأدلة على وجود الله تعالى. الثالث: قصص الأنبياء وقد تحقق فيها عاقبة المكذبين"(١).

٦- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تقرير النبوة بالأدلة، ودعوة المكذبين للإيمان مع تهديدهم بالعذاب"(٢).

٧- وفي موسوعة التفسير في الدرر السنية: "تقرير أصول العقيدة وإثبات التوحيد والرسالة والبعث، ودفع شبه المشركين"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

ليس لسورة يونس سوى هذا الاسم وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لاختصاصها بذكر قصة يونس وقومه، وإيمانهم بالله بعد أن توعدهم يونس بنزول العذاب عليهم، فعفا الله عنهم لَمَّا آمنوا، حيث قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (سورة يونس الآية ٩٨).

وأضاف بن عاشور إلى هذا التوجيه توجيهًا آخر، فقال: "والأظهر عندي أنها أضيفت إلى يونس تمييزا لها عن أخواتها الأربع المفتتحة بـ «الر»، ولذلك أضيفت كل واحدة منها إلى نبي أو قوم نبي عوضًا عن أن يقال: الر الأولى، والر الثانية..

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/١١٩، ١٢٤.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٠٨.

(٣) موسوعة التفسير، إصدار الدرر السنية.

وهكذا، فإن اشتهار السور بأسمائها أول ما يشيع بين المسلمين بأولى الكلمات التي تقع فيها، وخاصة إذا كانت فواتحها حروفا مقطعة فكانوا يدعون تلك السور بـ آل حم، وآل الر، ونحو ذلك"[(١)].

وقصة يونس وقومه تدور حول الإيمان بالله، وأنه سبب النجاة من عذاب الله قيل وقوعه وهو المقصود الأسمى في السورة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

تحدثت سورة يونس في آياتها التسع والمائة حول مقصودها العام، فتناولت ما يلي:

١- إثبات رسالة النبي محمد ﷺ، في الآيتين الأولى والثانية، حيث قال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ (يونس الآيتان ١، ٢).

٢- إقامة الحجة على إنفراد الله بالألوهية، والوحدانية، ووجود البعث والجزاء، وإبطال الشركاء لله، وأن المشركين عادتهم المكر والجحود والعناد.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس الآية ٣) إلى

(١) التحرير والتنوير ٧٧/١١، وينظر: أسماء سور القرآن الكريم للدكتور محمد الشايع ٧٧.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس الآية ١٥).

٣- بيان موقف المشركين من الرسالة والقرآن، ونعيه عليهم عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم، وضرب مثلًا يصرفهم عن طلباتهم التي اغتروا بها، وترغيبهم بالآخرة وما فيها من جزاء.

جاء ذلك في واحد وأربعين آية، من قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يونس الآية ١٦) إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يونس الآية ٥٦).

٤- إثبات أن القرآن منزل من عند الله، وأن فيه من المواعظ ما تصلح به أخلاقكم، وأعمالكم، والشفا لصدوركم، والهداية لكم، والرحمة للمؤمنين، وبيان أن الدلائل على بطلان أن يكون مفترى لا تقبل الجدل والشك.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس الآية ٥٧) إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن

مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس الآية ٦١).

٥- بيان صفة أولياء الله، وتسلية النبي ﷺ على ما يلقاه من أذى من قومه، وبشارته بالنصر والتأييد.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس الآية ٦٢) إلى قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ (يونس الآية ٧٠).

٦- إنذار المشركين بما حل بالأمم التي كذبت الرسل، وأنهم إن حل بهم العذاب لا ينفعهم إيمانهم.

جاء ذلك في اثنتين وعشرين آية في قصة نوح مع قومه، وقصة رسل آخرين إلى أقوامهم، ثم قصة موسى وهارون إلى فرعون وملئه. من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (يونس الآية ٧١) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ

حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس الآية ٩٣).

٧- بيان سنة الله تعالى في الأمم مع رسلهم، بأن من آمن منهم قبل وقوع العذاب بهم، فإن الله يصرف عنهم عذاب الذل والهوان في الدنيا.

جاء ذلك في عشر آيات، ذكر فيها قصة يونس وقومه من قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس الآية ٩٤)، إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس الآية ١٠٣).

٨- تقرير صدق النبي ﷺ، وما جاء به، وأنه حق من الله، وأن الله سيظهر دينه.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس الآية ١٠٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (يونس الآية ١٠٩).

وهكذا: نجد أن سورة يونس من أولها إلى آخرها تدعو إلى الإيمان بالله وبرسله وكتبه، وتوحيده، وعدم الإشراك به، وأن ذلك سبب للنجاة من عذابه وسخطه، وتخلل ذلك قصص عدد من الأنبياء تؤكد على هذه المعاني، ويتفق ذلك مع مقصود السورة الذي قررناه... والله أعلم.

❋❋❋❋

١١- سورة هود

أولًا مقصود سورة هود:

﴿الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، ومنهج الرسل في مواجهة المكذبين والمعاندين من أقوامهم بالحجج والبراهين، والوعيد والتهديد﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة هود، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة"(١).

٢- الفراهي، حيث قال: "تخويف أهل مكة، والأمر بالصبر، والقطع من الكفار، ترشيحًا للهجرة والنصر، وفيها أن إثبات أن الشرك والكفر بالمعاد يجر إلى فساد الأخلاق بالكلية والهلاك، فيهلكون، والمؤمنون ينصرون"(٢).

٣- عبد الله شحاته، حيث قال عن السورة: "قررت عناصر الدعوة الإلهية (التوحيد والرسالة والبعث)، عن طريق الحجج العقلية"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تثبيت النبي والمؤمنين بقصص الأنبياء السابقين، وتشديد الوعيد للمكذبين"(٤).

---

(١) نظم الدرر ٩/٢٢٤، ومصاعد النظر ٢/١٧٥.

(٢) دلائل النظام ٩٤.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/١٢٧.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٢١.

ثالثًا دلالة اسم السورة على مقصودها:

سورة هود هو الاسم الوحيد لها، وهو اسمها التوقيفي. ووجه تسميتها به: لورود ذكر قصة هود عليه السلام فيها، وهو أطول موضوع وَرَدَ في القرآن يتحدث عنه. وقد تكرر اسم هود في هذه السورة دون غيره من الأنبياء المذكورين فيها خمس مرات[(١)].

وقصة هود عليه السلام وقومه في السورة، تتحدث عن دعوته قومه إلى عبادة الله وحده، وجحود قومه للبينة والحجة التي أتى بها، ورده عليهم، وعاقبة أمره وأمرهم. وهو ما ذكرناه في مقصود السورة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة هود ثلاثًا وعشرين ومائة آية، جاءت في مجملها تتحدث عن مقصود السورة الأساس في الدعوة إلى عبادة الله وحده، والحديث عن عدد من الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم، وما واجهوه من صدود، رغم الحجج والبراهين، والوعيد والتهديد، والترهيب والتغليظ، إلا أن ذلك لم ينفع مع المكذبين والمعاندين منهم، فأتت موضوعات السورة تتحدث عن ذلك على النحو التالي:

١- **بدأت السورة بالحديث عن بعثة النبي ﷺ، والقرآن الذي جاء به، وما فيه من أمر بعبادة الله وحده، وما تضمنه من بشارة ونذارة، وعلم الله وإحاطته بكل شيء في الكون، وأن من الناس من يؤمن بالقرآن، ومنهم من يكذب به، وبيان أن هذا القرآن من عند الله، وأن الله تحداهم أن**

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٢٤٦، وأسماء سور القرآن وفضائله ٢٢٤، ٢٢٥.

يأتوا بعشر سور مثله، ثم بينت أن الناس على فريقين: فريق يريد الدنيا، وفريق على بينة من ربه. وحال كل فريق.

جاء ذلك في أربع وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود الآية ١) إلى قوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود الآية ٢٤).

٢- الحديث عن قصص عدد من الأنبياء قبل بعثة محمد ﷺ، ببيان مهمتهم الأولى، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده، وإنذار من يكذب بها، والبشارة بالنعيم لمن يؤمن بها، مع بيان شبهات أقوامهم، ومواجهتهم بالحجج والبراهين. فتحدثت عن كل من:

- نوح عليه السلام في خمس وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ (هود الآية ٢٥) إلى قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (هود الآية ٤٩).

- هود عليه السلام في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾ (هود الآية ٥٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾ (هود الآية ٦٠).

- صالح ﷺ، في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود الآية ٦١) إلى قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ (هود الآية ٦٨).

- لوط ﷺ، في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود الآيتان ٦٩، ٧٠)، إلى قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود الآية ٨٣).

- شعيب ﷺ، في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (هود الآية ٨٤)، إلى قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (هود الآية ٩٥).

- موسى ﷺ مع فرعون وملائه، في أربع آيات من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (هود الآية ٩٦) إلى قوله تعالى:

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ (هود الآية ٩٩).

٣- بيان العبرة والعظة من قصص الأنبياء وأممهم الظالمة، وما آل إليه أمرهم في الدنيا، وما ينتظرهم في الآخرة. وقابلهم بالذين آمنوا بأن لهم السعادة والمتاع في الجنة.

جاء ذلك في عشر آيات من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ (هود الآية ١٠٠)، إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ (هود الآية ١٠٩).

٤- تذكير كفار قريش بقوم موسى حين آتاهم الكتاب واختلفوا فيه، وأن مصيرهم سيكون مثلهم إن اختلفوا في القرآن وكذبوه.

جاء ذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (هود الآيتان ١١٠، ١١١).

٥- تثبيت النبي ﷺ، ومن آمن به، وتاب معه، بالاستقامة على الصراط المستقيم، وعدم تجاوز ما حدّه الله لهم، وإقامة الصلاة والصبر على أذى مخالفيهم.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ (هود الآية ١١٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (هود الآية ١١٥).

٦- بيان السنن العامة في إهلاك الأمم المكذبة برسلهم، وأثر القرآن الكريم في تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين على الحق أمام المكذبين والمعاندين.

جاء ذلك في ثمان آيات وهي ختام السورة، من قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ (هود الآية ١١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (هود الآية ١٢٣).

وهكذا: نجد أن سورة هود تضمنت آياتها الدعوة إلى عبادة الله وحده وتوحيده، وأن هذا هو أصل دعوة الرسل السابقين، وما واجهوه من صدود وعناد من أقوامهم، وأن الرسل ينذرون ويخوفون العصاة بالعذاب، ويبشرون بالثواب والرضوان المطيعين بالجنة وحسن المآب، وهو مقصودها الذي قررناه، والله أعلم.

****

١٢- سورة يوسف

أولا: مقصود سورة يوسف:

﴿**العاقبة لمن اتقى، وصبر، ولم ييأس**﴾. ويجمل هذا المقصد قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (الآية ٩٠).

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود السورة، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: وصف الكتاب بالإبانة لكل ما يوجب الهدى، لما ثبت فيما مضى"[(١)].

٢- الفراهي، حيث قال: "سورة يوسف: إشارة إلى قرب الهجرة، وتمثل للفرج بعد اليأس، وغلبة الحق"[(٢)].

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "الدعوة إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأنداد، وبيان أن الإيمان بالله هو الطريق الواضح والدين القيم الذي يسمو بصاحبه، ويعصمه من الفتنة، ويمنعه من الرذيلة، ويجعله ثابت اليقين، يقاوم الإغراء، ويرد المنحرف إلى طريق الصواب"[(٣)].

---

(١) نظم الدرر ١/١٠، ومصاعد النظر ١٨٥/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٥.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ١٤١/١.

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الاعتبار بلطف تدبير الله لأوليائه وتمكينهم، وحسن عاقبتهم"(١).

٥- وفي موسوعة التفسير في الدرر السنية: "بيان أن العاقبة للمؤمنين المتقين الصابرين، رغم الابتلاء والمحن، وتسلية الرسول ﷺ وأصحابه، وتطمين نفوسهم"(٢).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة يوسف اسم واحد، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لأنها قصَّت قصة يوسف كلها، وتفردت بذكرها، ولم تذكر في غيرها من السور(٣).

وقصة يوسف عليه السلام في هذه السورة وما مَرَّ به من أحداث وعبر، تدور في مجملها على أن العاقبة للمتقي، والصابر على البأساء والضراء، والمحن والبلايا، وهو وعد الله الذي لا يخلف وعده.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة يوسف إحدى عشرة ومائة آية، وهي في مجملها تتحدث عن قصة يوسف عليه السلام بملامحها كلها، وما لاقاه من البلايا والمحن، والشدائد والمصائب، سواء من إخوته، أم من امرأة عزيز مصر، أم في تآمر النسوة عليه، أم في السجن.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٣٥.

(٢) موسوعة التفسير، إصدار الدرر السنية.

(٣) ينظر: جمال القراء ١/٣٦، وبصائر ذوي التمييز ١/٢٥٥.

ومن أبرز ما تناولته هذه السورة، في مقدمتها، وفي تفاصيل القصة، وفي خاتمتها، ما يلي:

١- بيان نعمة إنزال هذا القرآن على هذه الأمة بلغتها، وما تضمنه من أحكام الدين وأنباء الرسل.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (يوسف الآيات ١، ٢، ٣).

٢- الحديث عن قصة يوسف عليه السلام، وما أحاط به، وذلك من خلال المحاور التالية:

• رؤيا يوسف، وما فهمه أبوه منها، وتحذيره وإنذاره مما قد يواجهه من كيد إخوته.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ (يوسف الآية ٤) إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف الآية ٦).

• قصة يوسف مع أخوته، و كيدهم له، بإلقائه في غيابة الجب، وكيف أنقذه الله منه.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (يوسف الآية ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ (يوسف الآية ٢٠).

- قصة يوسف في بيت العزيز الذي اشتراه وأكرمه، فمكَّنه الله، وآتاه الحكم والعلم.

جاء ذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف الآيتان: ٢١، ٢٢).

- محنة يوسف مع امرأة العزيز، ومراودتها له، ومخادعتها له عن نفسه، ثم تبرئة يوسف لنفسه، حتى أدرك العزيز براءته وثبوت خطيئتها، وظهر إثر ذلك حديث النسوة في المدينة بما فعلت، فأرادت أن تمكر بهن لتظهر المعذرة لنفسها، وعزمها على سجنه لكي ينسى الناس هذا الحدث.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية من قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (يوسف الآية ٢٣)، إلى قوله

تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف الآية ٣٥).

- دخوله السجن، ودعوته إلى توحيد الله تعالى، بعد أن آتاه الله العلم والحكمة وحسن التدبير.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف الآية ٣٦) إلى قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف الآية ٤٠).

- خروجه من السجن وتفسيره رؤيا صاحبي السجن للملك، ووصيته للناجي منهما، واستلامه لخزائن الأرض.

جاء ذلك في سبع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ (يوسف الآية ٥١).

- مجيء إخوته إلى مصر بسبب القحط، فأنزلهم وأكرمهم، وجهزهم بجهازهم. وعمل على إبقاء أخيه الشقيق عنده.

جاء ذلك في ثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ (يوسف الآية ٥٨)، إلى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف الآية ٨٧).

- تعرف إخوة يوسف عليه السلام عليه، واعترافهم بخطئهم، وعفوه عنهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف الآية ٨٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ (يوسف الآية ٩٣).

- اجتماعه بأبيه وإخوته، ودخولهم عليه، وتحيتهم له، وتحدث يوسف بنعم الله عليه، وطلبه من ربه حسن الخاتمة.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف الآية ٩٤)، إلى قوله تعالى: ﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (يوسف الآية ١٠١).

٣- بيان العبرة من قصة يوسف عليه السلام، وفيها إثبات نبوة محمد ﷺ، وتسليته مما أصابه من قومه من الأذى: فتقوى الله، والصبر على الأذى، والإعراض عن الجاهلين، من أسباب النصر والغلبة، وحصول العاقبة الحميدة.

جاء ذلك في ثلاث آيات، هي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الآيات ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤).

٤- التنديد بمواقف المشركين من الإيمان بالله، وبيان أن دعوة النبي ﷺ هي إلى التوحيد الخالص، ورفض الشرك بجميع أشكاله وأنواعه، وقصة يوسف هي عبرة لذوي العقول النيرة.

جاء ذلك في سبع آيات هي خاتمة السورة، من قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف الآية ١٠٥)، إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف الآية ١١١).

وهكذا نجد أن سورة يوسف وما فيها من أحداث وعبر تُظْهِر:

- أن من اتقى وصبر وأحسن فإن العاقبة له.
- وأن المحن تجلب المنح.

- وأن الرجاء يوجب السعي والاجتهاد.
- وأن اليأس يؤدي إلى التثاقل والتباطؤ.

وهو ما تم تحريره في مقصود السورة، والله أعلم.

✻✻✻✻

١٣- سورة الرعد

أولا مقصود سورة الرعد:

﴿إثبات كمال قدرة الله تعالى، وإقامة الحجة على منكري البعث، وأن دعوة الله هي دعوة الحق، والقرآن الذي أنزله هو الحق﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الرعد، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يتأثر عنه مع أن له صوتًا وصيتًا، وإرعابًا وإرهابًا يهدي بالفعل، وتارة لا يتأثر بل يكون سببًا للضلال والعمى"(١).

٢- الفراهي، حيث قال: "للعذاب وقت، ويؤخر لكي يتوبوا، ويقدم عذاب الدنيا للتنبيه"(٢).

٣- بن عاشور، حيث قال: "إثبات صدق الرسول فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية والبعث، وإبطال قول المكذبين"(٣).

٤- عبد الله شحاته، حيث قال: "موضوع سورة الرعد الرئيسي هو العقيدة وقضاياها هي: التوحيد والبعث"(٤).

---

(١) نظم الدرر ٢٦٢/١٠، ومصاعد النظر ١٩٣/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٥.

(٣) التحرير والتنوير ٧٦/١٣.

(٤) أهداف كل سورة ومقاصدها ١٥٠/١.

٥- وجاء في المختصر: "الرد على منكري الوحي والنبوة، ببيان مظاهر عظمة الله"[١].

ثالثًا دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الرعد اسم واحد، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود ذكر الرعد فيها، ومناسبة ذلك لمقصودها: لبيان كمال قدرة الله تعالى، ولفت الأنظار لهذا الأمر العجيب، وهو: تسبيح الرعد بحمده تعالى[٢].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الرعد ثلاثًا وأربعين آية، كلها تدور حول مقصودها العام، فتناولت ما يلي:

١- إثبات أن القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو الحق، وإن لم يؤمن به أكثر الناس.

جاء ذلك في الآية الأولى من هذه السورة، وهي قوله تعالى: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الرعد الآية ١).

٢- بيان كمال قدرة الله تعالى الدالة على وحدانيته، وإقامة الحجة على منكري البعث، فاستدل بأحوال السماوات، وأحوال الشمس والقمر، وأحوال الأرض، واختلاف ثمراتها، وسائر العوالم، على وجود الله القادر

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٤٩.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٢٦٢، والتحرير والتنوير ١٣/٧٥.

القاهر، الذي بيده الخلق والأمر، فالذي قَدِرَ على ذلك لا يعجز عن إعادة خلق الإنسان وبعثه.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد الآية ٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد الآية ٧).

٣- الحديث عن علم الله، وإحاطته بكل شيء، وعظمته، وعنايته بالإنسان، والعدل في خلقه، ومظاهر قدرته وانتقامه، ونعم الله على عباده، وأن كل من في السماوات والأرض خاضع لقدرته، منقاد لإرادته بالغدو والآصال، والذي هذا شأنه هو الحقيق بالوحدانية والعبادة، كما ضربت السورة الأمثال المتنوعة لكل مكذب أو مشرك بالله، فمثل البصير والأعمى للمؤمن والكافر، ومثل النور والظلمات للإيمان والكفر، ومثل الحق في ثباته وبقائه، وللباطل في اضمحلاله وفنائه. ثم بينت مآل كل من السعداء والأشقياء، وما أعد لكل منهم يوم القيامة.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد الآية ٨) إلى قوله تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الرعد الآية ١٩).

٤- بيان صفات من اتبع الحق، وأن لهم حسن العاقبة، والسعادة في الدنيا والآخرة، وهي:

- الوفا بعهد الله.
- وصل ما أمر الله أن يوصل.
- خشية الله.
- الخوف من سوء الحساب.
- الصبر ابتغاء وجه الله.
- إقامة الصلاة.
- الإنفاق من رزق الله.
- درء السيئة بالحسنة.

وصفات الأشقياء، وما ينتظرهم من العذاب والنكال، وهي:

- نقض عهد الله.
- قطع ما أمر الله به أن يوصل.
- الإفساد في الأرض.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾(الرعد الآية ٢٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ

بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (الرعد الآية ٢٥).

٥- التذكير بأن الله هو الذي يوسع الرزق، وهو الذي يضيقه، على ما اقتضته حكمته وعدله. كما عرضت السورة لبعض مقالات الكافرين غير المؤمنين بمحمد ﷺ، والرد عليها، و أن الهداية والإضلال من الله. ووظيفة الرسول ﷺ البلاغ وعلى الله الحساب.

جاء ذلك في ثمان عشرة آية من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ (الرعد الآية ٢٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (الرعد الآية ٤٣).

وهكذا نجد أن سورة الرعد تتحدث عن كمال قدرة الله تعالى في خلقه وإنشائه وبعثه، وأن القرآن الذي أنزله هو الحق من الله ﷻ، ودعوته هي دعوة الحق التي لا محيد عنها، كما حاجّت السورة منكري الدعوة والبعث، وردت على مقالاتهم، وهو مقصود السورة الذي قررناه... والله أعلم.

❋❋❋❋

١٤- سورة إبراهيم

أولًا: مقصود سورة إبراهيم:

﴿وحدة الرسل في دعوتهم إلى الإيمان بالله وعبادته وحده، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن ذلك من نعم الله التي تستحق الشكر وعدم الكفر﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة إبراهيم ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "التوحيد وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله"[(١)].

٢- الفراهي، حيث قال: "في عموم سنة الفتح للمؤمنين وانتقام الكافرين بعد الهجرة"[(٢)].

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم، وبيان نعمة الله على البشر، وزيادة النعمة بالشكر، ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران"[(٣)].

٤- وجاء في المختصر: "إثبات قيام الرسل بالبيان والبلاغ، وتهديد المعرضين عن اتباعهم بالعذاب"[(٤)].

---

(١) نظم الدرر ٣٦٩/١٠، ومصاعد النظر ١٩٨/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٥.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ١٦١/١.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٥٥.

٥- وفي موسوعة التفسير، "التذكير بنعم الله على الناس، وتحريضهم على شكرها، وتحذيرهم من جحودها وكفرها"[(١)].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة إبراهيم اسم واحد، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لتضمنها قصة إبراهيم عليه السلام، ودعاءه الله وشكره له على ما أنعم عليه بما تمت به هذه الملة، فهو خليل الله، وخير من يُقَدِّر نعمة الله عز وجل على الناس عمومًا[(٢)]. وهو ما تضمنه مقصود السورة العام.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة إبراهيم اثنتين وخمسين آية، تحدثت في مجملها عن مقصودها العام، فتناولت موضوعاتها ما يلي:

١- بيان أن إنزال القرآن على النبي ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهو نعمة من الله عليه وعلى قومه.

جاء ذلك في الآية الأولى من هذه السورة، وهي قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾(إبراهيم الآية ١).

٢- بيان أن إرسال الرسل على أقوامهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن ذلك نعمة من الله عليهم، ومن هؤلاء: قوم موسى ونوح وعاد وثمود

---

(١) موسوعة التفسير في الدرر السنية.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٢٦٨، والتحرير والتنوير ١٣/١٧٧.

ومن بعدهم، والحوار الذي دار بين الرسل وأقوامهم، وما سيلاقيه الكافرون بربهم نتيجة كفرهم، وقدرة الله على إذهابهم واستئصالهم.

جاء ذلك في تسع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (إبراهيم الآية ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (إبراهيم الآيتان ١٩، ٢٠).

٣- الحوار بين الأتباع المستضعفين والرؤساء المتبوعين، والمناظرة بين الشيطان وأتباعه من الإنس، ومآل المؤمنين السعداء، وما أعد لهم من الثواب.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ (إبراهيم الآية ٢١) إلى قوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ (إبراهيم الآية ٢٣).

٤- ضربت السورة المثل ببيان حال السعداء والأشقياء: الكلمة الطيبة - وهي كلمة الإيمان-، بالشجرة الطيبة -المثمرة-. والكلمة الخبيثة -وهي كلمة الكفر-، بالشجرة الخبيثة - التي لا نفع فيها.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (إبراهيم الآية ٢٤)، إلى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم الآية ٢٧).

٥- بيان أحوال الكافرين لنعم الله حين بدلوا الشكر بالكفر، واتخذوا الله أندادًا، وأَمْرُ الله للمؤمنين بإقامة شعائر الدين من صلاة ونفقة، مع بيان الأدلة التي توجب المثابرة على شكر الله ودوام الطاعة له.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ (إبراهيم الآية ٢٨)، إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم الآية ٣٤).

٦- ذكرت السورة أن إبراهيم عليه السلام حث قومه على ترك عبادة الاصنام، وأنها السبب في إخراج الناس من النور إلى الظلمات، ودعاءه ربه بأن يجعل البيت الحرام آمنًا لا يعبد فيه صنم، وتقام فيه الصلاة، وتهوي إليه أفئدة الناس، كما شكر الله على ما أنعم عليه من الذرية، ودعا ربه بالمغفرة له ولوالديه وللمؤمنين عمومًا عند العرض والحساب.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم الآية ٣٥)، إلى

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ (إبراهيم الآية ٤١).

٧- بيان أن تأخير العذاب عن الظالمين ليوم معلوم، إنما هو لحكمة أرادها الله، وعلى الرسول أن ينذر الناس بقرب حلوله، وأن وعد الله لا يخلف، فهو ناصر أهل دينه، خاذل الكافرين به.

جاء ذلك في إحدى عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ (إبراهيم الآية ٤٢)، إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (إبراهيم الآية ٥٢).

وهكذا نجد أن سورة إبراهيم بينت أن دعوة الرسل واحدة، وهي: الإيمان بالله وعبادته وحده، وأن هدفهم إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأن على الجميع شكر الله على نعمه التي لا تحصى عليهم، وأن ذلك سبب لزيادتها، وأن كفران النعمة يؤدي إلى الهلاك والشقاء. وهذا ما تم تحريره في مقصود السورة... والله أعلم.

✻✻✻✻

١٥- سورة الحجر

أولًا: مقصود سورة الحجر:

﴿حفظ الله لدينه وكتابه ونبيه والمؤمنين به، وأن ما على الرسول والمؤمنين إلا الدعوة والاستمرار بها، وأن مصير المكذبين الخسران والعقاب الأليم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

قال عدد من العلماء عن مقصود سورة الحجر ما يلي:

١- البقاعي، حيث قال: "وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني، الموضحة للحق من غير اختلاف"[(١)].

٢- الفراهي، حيث قال: "في أن لعذاب المنكرين وقتًا معلومًا فاصبر"[(٢)].

٣- عبد الله شحاته حيث قال: "إبراز المصير المخيف الذي ينتظر الكافرين المكذبين"[(٣)].

٤- وجاء في المختصر: "توعد المستهزئين بالقرآن، والوعد بحفظه تأييدًا للنبي وتثبيتًا له"[(٤)].

٥- وجاء في موسوعة التفسير: "تثبيت المؤمنين"[(٥)].

---

(١) نظم الدرر ١/١١، ومصاعد النظر ٢٠٣/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٥.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ١٦٩/١.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٦٢.

(٥) موسوعة التفسير في الدرر السنية.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

سورة الحجر ليس لها غير هذا الاسم، وهو اسمها التوقيفي. ووجه تسميتها به: لذكر أهل الحجر في السورة. والحِجر: اسم للمكان الذي كانت فيه ديار ثمود، المقترنين كثيرًا بقوم عاد. وقد بعث الله إليهم نبيهم صالحًا ﷺ[(١)].

وجَعْل اسم ديار ثمود اسمًا للسورة؛ ليكون هؤلاء القوم عبرة لمن لم يؤمن بالله وكتبه ورسله، وهو مقصود السورة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الحجر تسعًا وتسعين آية، تناولت في مجملها مقصود السورة العام، وما عرضته يتلخص في الآتي:

١- التنويه بشأن القرآن، وحفظ الله له، وكونه مبيِّنًا للحق، مرشدًا من الضلال. وبيان ما قاله الكفار فيه وفي من نزل عليه كفرًا وعنادًا، واستمرارًا لما كانت عليه الأمم السابقة مع أنبيائهم، مع وجود الدلائل من آيات الله في السماء والأرض وما بينهما، وخزائنه التي ينزل منها بقدر معلوم، كل ذلك دال على وحدانية الله ووجوده واستحقاقه العبادة وحده، وأنه المحيي المميت، الباعث بعد الموت إلى الحشر.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٢٧٢، والتحرير والتنوير ١٤/٥، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٢٣٧، ٢٣٨.

جاء ذلك في خمس وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ (الحجر الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ (الحجر الآية ٢٥).

٢- بيان للهدى والضلال، من خلال قصة آدم وعدوه إبليس، وتكليف الملائكة أن يسجدوا له، وامتثالهم، وعصيان إبليس وحده عن ذلك، وطرده من الجنة، وذكر الحوار بينه وبين ربه، وطلبه الانتظار إلى يوم الدين، وبيان حال أهل النار وأهل الجنة يوم القيامة، وغفران الله لذنوب التائبين المنيبين إلى ربهم.

جاء ذلك في خمس وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ (الحجر الآية ٢٦)، إلى قوله تعالى: ﴿۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ (الحجر الآيتان ٤٩، ٥٠).

٣- ذكرت السورة قصص بعض الأنبياء وأقوامهم ممن جاءهم المرسلون وكذبوا بهم، وهم إبراهيم، ولوط، وأصحاب الأيكة -قوم شعيب-، وأصحاب الحجر - قوم صالح-، وما في هذه القصص من العبر، وما حلّ بالمكذبين بشتى أنواع العذاب، وأنهم بتكذيبهم تركوا ما قضت به الحكمة والمصلحة من خلق السماوات والأرض وما بينهما، وأمر الرسول ﷺ بأن يصبر على أذى قومه، ويصفح عنهم الصفح الجميل.

جاء ذلك في ست وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الحجر الآية ٥١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (الحجر الآيتان ٨٥، ٨٦).

٤- تذكير الرسول ﷺ بالنعمة العظمى المنزلة عليه وهي: السبع المثاني والقرآن العظيم، ونهيه عن تمني زخرف الدنيا وزينتها، وعن الحسرة على الكفار إن لم يؤمنوا بالقرآن، وأمره بإنذار قومه من المشركين وتحذيرهم إن لم يؤمنوا، وأن لا يبالي بما سيكون منهم فالله قد حفظه من المستهزئين، وأمره بالتسبيح والتحميد وإكثار الطاعة.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر الآية ٨٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر الآية ٩٩).

وهكذا فإن سورة الحجر ركزت على حفظ الله للدين والقرآن والنبي والمؤمنين، وأن الله ناصر رسوله وكافيه من المستهزئين، وأن عليه الدعوة والبلاغ، والهداية على الله ﷻ، وأن المكذبين مصيرهم الهلاك والخسران، كما حلَّ بالمكذبين من أقوام المرسلين السابقين. وهذا ما تم ذكره في مقصد السورة... والله أعلم.

****

١٦- سورة النحل

أولًا: مقصود سورة النحل:

﴿إثبات وحدانية الله، واستحقاقه للعبادة وحده، والأمر باتباع ما جاء به الرسل، والتذكير بنعمه سبحانه التي لا تكاد تحصى، وتستوجب الشكر لله﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النحل، ومن هؤلاء:

١- قتادة بن دعامة السدوسي، حيث : "هذه السورة تسمى سورة النعم"(١).

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: "سورة النحل وتسمى سورة النعم"(٢).

٣- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص"(٣).

٤- السعدي، حيث قال: "هذه السورة تسمى سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها"(٤).

---

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، ينظر: الدر المنثور ١٥٤/٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠٨/١٤.

(٣) نظم الدرر ١٠١/١١، ومصاعد النظر ٢١٣/٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٣٨٩.

٥- الفراهي، حيث قال: "فيها جواب منكري القرآن، وأحكام تنسخ بعض ما في التوراة، حيث قال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ١٠١)، وظن المشركين حيث قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾" (الآية ٣٥) [(١)].

٦- عبد الله شحاته، حيث قال: "حقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ، وحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال"[(٢)].

٧- وجاء في المختصر: "التذكير بالنعم الدالة على المنعم، سبحانه وتعالى"[(٣)].

٨- عموم المفسرين كالزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي قالوا: إنها سورة النعم[(٤)].

---

(١) دلائل النظام ٩٥.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ١٧٨/١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٦٧.

(٤) ينظر: الكشاف ٤٢٢/٣، والمحرر الوجيز ٣٦٣/٨، وزاد المسير ٤٢٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٠.

ثالثًا دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة النحل عدد من الأسماء أشهرها:

١- سورة النحل، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به، لورود ذكر النحل فيها.

٢- سورة النعم، ووجه تسميتها به: لما ذكر الله فيها من النعم التي أنعم الله بها على عباده، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ (الآية ١٨)، وقال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ (الآية ٥٣)(١).

ودلالة اسمها على مقصودها: لورود الحديث عن النحل في معرض نعم الله على عباده، وفي ذلك دلالة على قدرة الله واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة النحل ثمان وعشرين ومائة آية، كلها تدور حول مقصودها العام، فتناولت ما يلي:

١- تهديد الكافرين بالله وبرسوله بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

جاء ذلك في الآيتين الأولى والثانية من السورة، قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٢٧٨/١، والتحرير والتنوير ٩٣/١٤، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٢٤١، ٢٤٢.

مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ (النحل الآيتان ١، ٢).

٢- بيان أدلة وجود الله ووحدانيته، بخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، والأنعام، والنبات، وأن كل دليل كاف في صرف المشركين عما هم عليه من الشرك.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النحل الآية ٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل الآية ١٦).

٣- التنديد بالكفار المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام والأوثان، وأن نعم الله ﷻ على خلقه لا تحصى، وأن ما يعبدونه من دون الله لا فهم لها، ولا قدرة، ولا اختيار، فلا ينبغي عبادتها ولا الاشتغال بطاعتها.

جاء ذلك في سبع آيات من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل الآية ١٧)، إلى قوله تعالى ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل الآية ٢٣).

٤- بيان شبهات المنكرين للقرآن والرد عليهم، وأنهم ليسوا ببدع في مقالاتهم، فقد سبقهم أمم قبلهم، ومع ذلك فإنهم لا يزدجرون عن أباطيلهم حتى تأتيهم الملائكة قابضة لأرواحهم، أو يأتيهم العذاب يستأصلهم، كما ذكر مقابلًا لهم المؤمنين بالقرآن وما أعد لهم من الخير في الجنة.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (النحل الآية ٢٤) إلى قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (النحل الآية ٣٤).

٥- بيان أن المشركين طعنوا في إرسال الرسل، وأن لا فائدة من إرسالهم، وأنهم مجبورون على أعمالهم، وأنه لا بعث بعد الموت. ورد الله عليهم بأن الرسل أرسلوا للتبليغ وليس الهداية، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها. والمهتدي له أجر إيمانه وإن أوذي وصبر واضطر إلى الهجرة فله في الدنيا حسنة، وأن البعث ليميز العاصي من المطيع.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (النحل الآية ٣٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل الآية ٤٢).

٦- بيان شبهة أخرى للمشركين، وهي أن الرسول ينبغي أن يكون مَلَكًا، ورد الله عليهم، بأن سنة الله ببعث الرسل من البشر، وعليكم بسؤال من سبقكم من الأمم، ثم أنذرهم بأن يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم العذاب، فالله قادر على ذلك، فجميع ما في السماوات والأرض يسجدون له ويفعلون ما يؤمرون. فعليكم بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به، فهو مصدر النعم، وهو المنجي من الضر، وإليه الملتجأ.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (النحل الآية ٤٣) إلى قوله تعالى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ (النحل الآية ٥٥).

٧- بيان بعض أعمال الكفار القبيحة كاتخاذ الأنداد من دون الله، ونسبة البنات إليه، وافترائهم عليه، ومع ذلك فإن الله حليم بخَلْقِه مع ظلمهم، وأنه يمهل ولا يهمل، وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ على ما يناله من أذى قومه.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ (النحل الآية ٥٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (النحل الآية ٦٤).

٨- بيان دلائل التوحيد، من إنزال الله للمطر من السماء، وإخراجه اللبن من الأنعام، واتخاذه من ثمرات النخيل والأعناب رزقًا حسنًا، وإخراج العسل من النحل، وجعله شفاء للناس، وخَلْقِ الإنسان وإيجاده وأحوال عمره. كل ذلك فيه دلالة على كمال قدرة الله ووحدانيته، فلماذا بعد هذه الدلائل يشركون بالله، ويكفرون بنعمه؟ ثم ضرب لهم مثلين يؤكدان على بطلان عبادتهم. ثم بين كمال علمه بأن له غيب السماوات والأرض، وأن الساعة أمرها عنده كلمح البصر، وهو الفاعل المختار في كل خلقه، ونعمه عليهم لا تحصى.

جاء ذلك في تسع عشرة آية من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (النحل الآية ٦٥)، إلى قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (النحل الآية ٨٣).

٩- الوعيد الشديد للمشركين والمنكرين لنعم الله بعد معرفتها، وأن الرسول شهيد على هؤلاء، وما أنزل عليه فيه بيان لكل شيء.

جاء ذلك في ست آيات، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (النحل الآية ٨٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل الآية ٨٩).

١٠- بيان بعض الآداب والأخلاق التي أمر بها الخالق المستحق للعبادة وحده، المحمود على أفضاله ونعمه، وضرب الأمثال لمن يحيد عنها ولا يفعلها، وأن أمر الهداية والإضلال بيده ﷻ، وأنه يجزي المؤمنين بأحسن أعمالهم. ثم بين العمل الذي به تخلص الأعمال وهو: قراءة القرآن، والتعوذ عند قراءته من الشيطان الرجيم، والرد على شبهات الكافرين به، وبين حال من يستحب الحياة الدنيا على الآخرة، ويستحب الآخرة على الدنيا، وحال من كفر بأنعم الله وكذبوا الرسول، بضرب المثل بالقرية الآمنة وما حلّ بهم.

جاء ذلك في أربع وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل الآية ٩٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ (النحل الآية ١١٣).

١١- توجيه المؤمنين بالأكل من الحلال الطيب، وشكر نِعَم الله عليهم، وطاعتهم للرسول ﷺ، وما حرم عليهم من المآكل.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ (النحل الآية ١١٤)، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (النحل الآية ١١٩).

١٢- الحديث عن إبراهيم عليه السلام رأس الموحدين، الشاكرين لنعم الله، الذي كان المشركون يوجبون الاقتداء به، ووصفه بأنه أمة بنفسه، فذِكْره يحملهم على الإقرار بتوحيد الله، والرجوع عن الشرك، وأمر نبيه محمد ﷺ باتباعه، وتكون الأسس التي تبنى عليها الدعوة هي: الحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالحسنى واللين، وجعل الصبر هو الرائد، وعدم الحزن على كفر المدعوين.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل الآية ١٢٠)، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل الآية ١٢٨).

وهكذا فإن سورة النحل ركزت على إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه المعبود بحق دون سواه، وهو المتفضل على خلقه بسائر النعم، وشكره متعين عليهم، وهو وسيلة إلى استمرارها، كما أكدت على أن جميع الرسل ذو دين واحد، ودعوتهم واحدة، وهذا ما تم تحريره في مقصود السورة ... والله أعلم.

****

١٧- سورة الإسراء

أولًا: مقصود سورة الإسراء:

﴿كمال رسالة النبي ﷺ، وما أيده الله من إسرائه ونزول القرآن عليه بما تضمنه من فضل وإعجاز، وما اشتمل عليه من هدايات للتي هي أقوم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الإسراء ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "المقصود بها: الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه"(١).

٢- الفراهي، حيث قال: "سورة بني إسرائيل: في البشارة والإنذار، والأمر بالعمل الصالح الذي به الفلاح"(٢).

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "موقف المشركين من القرآن الذي نزل على النبي ﷺ"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "تثبيت الله لرسوله ﷺ، وتأييده بالآيات البينات، وبشارته بالنصر والثبات"(٤).

---

(١) نظم الدرر ١١/٢٨٦، ومصاعد النظر ٢/٢٣٠.

(٢) دلائل النظام ٩٥.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/١٩٤.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٨٢.

٥- وجاء في موسوعة التفسير: "ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية، وتنقيتها من كل ما يشوبها، والحديث عن الرسول ﷺ، وبيان موقف المشركين منه، وبيان بعض التكاليف الشرعية المتضمنة لقواعد السلوك الفردي والجماعي"(١).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الإسراء ثلاثة أسماء هي:

١- سورة الإسراء، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بذكر قصة إسراء النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وقد اختصت هذه السورة بهذا الحدث فلم يذكر في غيرها.

٢- سورة بني إسرائيل، ووجه تسميتها به: لِمَا ذكر فيها من قصة موسى مع بني إسرائيل.

٣- سورة سبحان، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بهذه الكلمة الدالة على كمال التنزيه(٢).

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: أن الإسراء هو إسراء النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فهو حديثٌ عن النبي ﷺ وإسرائه، وإثبات صدقه في دعوته، وما جاء به، وأُنْزِل عليه، وهو مقصود السورة العام.

---

(١) موسوعة التفسير، إصدار الدرر السنية.

(٢) ينظر: جمال القرّاء ١/٣٧، وبصائر ذوي التمييز ١/٢٨٨، ونظم الدرر ١١/٢٨٦، والتحرير والتنوير ١٥/٥، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٢٤٥.

رابعًا: دلالة آيات السورة على مقصودها:

ضمت سورة الإسراء أحد عشر ومائة آية تحدثت في عمومها عن مقصودها العام، وذلك على النحو التالي:

١- إكرام الله ﷻ لنبيه محمد صلى الله ﷺ بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليريه من آيات الله الباهرة التي تدل على قدرة الله تعالى ووحدانيته، بعد أن أكرم الله موسى بإتيانه التوراة لهداية بني إسرائيل وموقفهم من ذلك.

جاء ذلك في ثمان آيات من قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء الآية ٨).

٢- الدعوة إلى الاهتداء بالقرآن، الهادي للتي هي أقوم، وأن عمل الإنسان لازم لصاحبه، والمنفعة والمضرة تعود عليه، وأن لا عقاب على أحد إلا بعد إرسال الرسل.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء الآية ٢١).

٣- الدعوة إلى توحيد الله تعالى في عبادته، وأن من وحي الله وتبليغه العمل بما تقتضيه الفطر السليمة في جملة من الأوامر والنواهي، وختمها بتوحيد الله تعالى وعدم اتخاذ إلهًا آخر معه، والتنديد بمن أثبت له ولدًا، وأن القرآن بين الله فيه الحجج والأدلة على قدرته ووحدانيته.

جاء ذلك في ثلاث وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء الآية ٢٢) إلى قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء الآية ٤٤).

٤- النعي على من لم يفهم القرآن، واستهزأ به، وولّى نفورًا عنه، وشك بما جاء به من البعث والمعاد والجزاء، ثم الرد عليهم بما لو نظروا بإنصاف لصدقوا وآمنوا. وأن ما منع الله من إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين بمثلها فعوجلوا ولم يمهلوا كما هو سنة الله في عباده.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء الآية ٤٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء الآية ٦٠).

٥- تثبيت النبي ﷺ وتسليته وأمته بذكر ما لاقاه آدم عليه السلام مع إبليس، وأن الحسد والكبر هما اللذان حملاه على الخروج من الإيمان إلى الكفر،

والتأكيد على أن الله ﷻ هو الحافظ والهادي، وهو المنعم على بني آدم بإكرامهم على كثير من خلقه، وأن دلائل قدرته ﷻ كثيرة، ودعوة الإنسان إلى شكر المنعم وعدم الإشراك به. كما بينت تفاوت أحوالهم في الآخرة، وأن الله يحاسب كل أمة بإمامهم، وأن سنة الله بأن الأمم التي تلجيء رسلها إلى الخروج من أرضها يصيبها الوبال والنكال.

جاء ذلك في سبع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (الإسراء الآية ٦١)، إلى قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (الإسراء الآية ٧٧).

٦- توجيه النبي ﷺ بالإقبال على الله، وعبادته، وعدم الالتفات لما يلقاه من قومه، فأمره بالصلاة والتهجد، ووعده بالمقام المحمود، ودعائه ربه بالأمور الدنيوية والأخروية، وأن ما أنزل عليه من القرآن فيه الشفاء والرحمة للمؤمنين، والخسارة والضلال للكافرين.

جاء ذلك في سبع آيات من قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء الآية ٧٨)، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء الآية ٨٤).

٧- بيان انشغال اليهود عن القرآن بمسألة الروح، وامتنان الله لعباده ببقاء القرآن المشتمل على الحِكَم والأحكام والآداب التي يحتاجها الناس، وعدم

قدرة الإنس والجن على معارضته والإتيان بمثله، حتى ولو تعاونوا على ذلك.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء الآية ٨٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء الآية ٨٩).

٨- بيان مراوغة اليهود والكفار عن الإيمان بالقرآن بطلب آيات أخرى تدل على صدق الرسول ﷺ، وردَّ الله عليهم بأن اقتراح الآيات ليس من وظيفة الرسل، وإنما وظيفتهم البلاغ، ثم تسليته لنبيه عما يلاقيه من قومه بأن الهداية والإيمان من الله، وأنه سبق وأنزل على موسى مثل ما اقترحوه ولم ينفع ذلك فرعون وقومه شيئًا فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلا فائدة إذن فيما اقترحوه.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ (الإسراء الآية ٩٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء الآية ١٠٤).

٩- تعظيم القرآن وجلالة قدره، فهو الثابت المحفوظ الذي لا يزول، المُنَزَّل مفرقًا، ليسهل حفظه، وتدرك معانيه، وبيان حال المؤمن به وغير المؤمن به، ثم ختم السورة بتنزيه الله عن الولد والشريك والناصر والمعين.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الإسراء الآية ١٠٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ (الإسراء الآية ١١١).

وهكذا فإن سورة الإسراء وما تضمنته من معجزات للنبي ﷺ بإسرائه، ونزول القرآن عليه، ودعوتها إلى الإيمان بالله وتوحيده، ونعيها على من لا يؤمن به بخسرانه الدنيا والآخرة. هو ما ذكرناه في مقصود السورة العام.. والله أعلم.

****

١٨- سورة الكهف

أولًا: مقصود سورة الكهف:

﴿العصمة من الفتن﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الكهف، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجرًا عن الشريك"[١].

٢- الفراهي، حيث قال: "في الإنذار والبشارة والصبر للوقت الموعود، حيث قال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الآية ٥٩) ووجه الكلام إلى النصارى"[٢].

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "إثبات أن البعث حق، وأن المؤمن يكافأ بحسن الجزاء، وأن الكافر يلقى جزاء عنته وكفره في الدنيا والآخرة"[٣].

٤- عناية الله، حيث قال: "تبشير المؤمنين، وحثهم على الصبر، إلى أن يأتي وعد الله"[٤].

---

(١) نظم الدرر ١٢/١، ومصاعد النظر ٢٤٣/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٥.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢٠١/١.

(٤) إمعان النظر في نظام الآي والسور ٣٠٣.

٥- وجاء في المختصر: "بيان منهج التعامل مع الفتن"[١].

٦- وجاء في موسوعة التفسير: "الهداية إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السلوك القويم، وإلى الخلق الكريم، وإلى التفكير السليم، الذي يهدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة"[٢].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الكهف اسم واحد اشتهرت به وهو: سورة الكهف، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لتضمنها قصة أصحاب الكهف الذين لم يرد ذكرهم في القرآن في غير هذه السورة[٣].

ودلالة اسمها على مقصودها: أن قصة أصحاب الكهف الذين وردت قصتهم فيها تبين كيف عصم الله الفتية الصالحة من بطش السلطان الجائر، والقرية الكافرة، حين هربوا بدينهم منهم فعصمهم الله من فتنتهم عن دينهم.

رابعًا: دلالة آيات السورة على مقصودها:

ضمت سورة الكهف عشر ومائة آية، تناولت في مجملها المقصود العام للسورة، وذلك على النحو التالي:

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٢٩٣.

(٢) موسوعة التفسير من إصدار الدرر السنية.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٢٩٧، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٢٥٤.

١- بينت في مطلعها فضل القرآن الكريم وأن الله جعله كتابًا مستقيمًا لا عوج فيه، كما جعل فيه البشارة والنذارة، ووضحت أن ما على الأرض من زينة اختبار وابتلاء، ودليل على قدرة الله.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ (الكهف الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ (الكهف الآية ٨).

٢- تحدثت السورة عن أربع قصص، تعالج في مجملها أربع فتن وكيفية العصمة منها، وهي:

الأولى: قصة أصحاب الكهف، التي هدفت إلى **العصمة من فتنة الدين**، حيث تحدثت عن الفتية المؤمنين بالله الذين خرجوا من بلادهم فرارًا بدينهم من فتنة قومهم لهم، فلجؤا إلى غار في الجبل، ومكثوا فيه ثلاثمائة وتسع سنين، داعين الله أن يؤتيهم رحمة منه تحفظ لهم دينهم. فحفظهم الله إلى أن هدى الله أهل القرية لتوحيد الله، وأوضحت أن العصمة من فتنة الدين تكون بالآتي:

- الثبات على الدين.
- عدم التعلق بالدنيا.
- الهجرة في سبيل الله.
- الصبر والثبات على الحق.

- عدم الالتفات إلى الدنيا وزينتها.

وختمت القصة ببيان حال المتقين والظالمين.

جاء ذلك في ثلاث وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف الآية ٣١).

الثانية: قصة صاحب الجنتين التي هدفت إلى **العصمة من فتنة المال**، حيث آتاه الله كل شيء من الثمرات والأنعام، ولكنه كفر بنعمة الله عليه، واستكبر عن الالتجاء إليه، فعاقبه الله بزوالها وفنائها.

ودلت على أن العصمة من فتنة المال تكون بالآتي:

- أن اللجوء إلى الله هو الملجأ العاصم من فتنة المال والحياة.
- أن اللجوء إلى الشيطان يوقع في فتنته.
- دنو الحياة الدنيا بانقضائها وفنائها وزوال زخرفها.
- أن ما يأمله الإنسان من ربه خير من زينة الحياة الدنيا.
- أن النعمة الحقيقية هي نعمة الإيمان والإسلام، وأن الولاية الحق لله وحده، وليست بكثرة المال والسلطان.

- إرشاد العباد بأن النعمة ترجع إلى مُوْلِيها ومسديها، وعليهم أن يؤمنوا بأن ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

- أن العدل هو أساس الحياة، وأن الإنسان محاسب على عمله خيرًا كان أو شرًا.

- الحث على اتخاذ الشيطان عدوًا، فهو العدو الأول لآدم وذريته، وأنه يأمر بالفحشاء والمنكر.

- سعة رحمة الله تعالى ومغفرته، وأنه يغفر الذنوب ويتوب على من يتوب.

جاء ذلك في ثمان وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (الكهف الآية ٣٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف الآية ٥٩).

الثالثة: قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح الخضر، التي هدفت إلى **العصمة من فتنة العلم**.

ودلت على أن العصمة من فتنة العلم تكون بالآتي:

- التواضع في طلب العلم.

- سعة علم الله وإكرامه لأوليائه.

• التحلي بآداب طلب العلم[١].

جاء ذلك في ثلاث وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ (الكهف الآية ٦٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف الآية ٨٢).

الرابعة: قصة ذي القرنين، التي هدفت إلى **العصمة من فتنة السلطة والملك**، فقد كان ذو القرنين ملكًا عادلًا عالمًا ينشر الخير بين الناس، حتى وصل إلى قوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج عليهم، فطلبوا مساعدته، فأعانهم على بناء سد ليمنعه عنهم.

ودلت القصة على أن العصمة من فتنة السلطة تكون بالآتي:

• الإخلاص لله في الأعمال وتذكر الآخرة.

• التواضع لله.

• رد الفضل في القوة والتمكين إلى الله.

• التحذير من الإشراك بالله وعدم الإخلاص له في العمل.

---

(١) ينظر جملة من هذه الآداب والفوائد في: تيسير الكريم الرحمن ٤٣٣، ٤٣٥.

وهكذا نجد أن سورة الكهف وما تضمنته من قصص أربع هدفت في المقام الأول إلى العصمة من الفتن:

١- فتنة الدين في قصة أصحاب الكهف.

٢- فتنة المال في قصة صاحب الجنتين.

٣- فتنة العلم في قصة موسى والخضر.

٤- فتنة السلطة والملك في قصة ذي القرنين.

وهو ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

****

١٩- سورة مريم

أولًا: مقصود سورة مريم:

﴿إثبات وحدانية الله تعالى ورحمته بخلقه﴾.

ثانيًا القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة مريم، ومن هؤلاء:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: "مضمونها تحقيق عبادة الله وحده، وأن خواص الخلق هم عباده"[(١)]، وقال في موضع آخر: "سورة مريم: سورة عباده ورسله"[(٢)]. وقال أيضا: "فهذه السورة سورة المواهب، وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذرية الطيبة، والعمل الصالح، والعلم النافع"[(٣)].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بإفاضة النعم على جميع خلقه"[(٤)].

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "تنزيه الله عن الولد والشريك، وإثبات وحدانيته، والإلمام بقضية البعث القائمة على التوحيد"[(٥)].

---

(١) التفسير الكبير ١٨٣/٥، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٣٠/١٥.

(٢) التفسير الكبير ١٩١/٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٣١/١٥.

(٤) نظم الدرر ١٥٦/١٢، ومصاعد النظر ٢٥٦/٢.

(٥) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢١٣/١.

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إبطال عقيدة نسبة الولد لله من المشركين والنصارى، وبيان سعة رحمة الله بعباده"[(١)].

٥- وفي موسوعة التفسير: "تحقيق العبودية، وتعظيم شأن الربوبية، وتقرير مبدأ البعث"[(٢)].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة مريم اسمان هما:

١- سورة مريم، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لذكر قصة مريم فيها.

٢- سورته كهيعص، وذلك لافتتاحها بهذه الحروف.

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: لعرضها قصة مريم عليها السلام، وما اتصفت به من كمال عبوديتها لله، ورحمة الله بها.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة مريم ثمان وتسعين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- ذكرت السورة في مقدمتها قصة زكريا عليه السلام، الذي كانت امرأته عاقرًا، فدعا الله أن يرزقه غلامًا، فاستجاب الله له بأن رزقه يحيى عليه السلام العبد العامل بكتاب ربه بقوة، البار بوالديه، المطلع لأوامر ربه، وذلك رحمة منه عز وجل.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٠٥.

(٢) موسوعة التفسير، إصدار الدرر السنية.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ (مريم الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم الآية ١٥).

٢- ذكرت قصة مريم عليها السلام وإنجابها لطفل من غير أب، وفي ذلك دليل على عظمة الله وإعجازه في الخلق، والتأكيد على رحمة الله بعباده الموحدين.

جاء ذلك في خمس وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (مريم الآية ١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (مريم الآية ٤٠).

٣- ذكرت السورة جملة من قصص الأنبياء: إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وهارون، وإسماعيل، وإدريس، ونوح، وهي: في جملتها تدل على ما يلي:

- كمال عبودية الأنبياء لله.
- رحمة الله بأنبيائه ورسله.
- الثناء على الأنبياء، والرفع من قدرهم، وهدايتهم إلى سبل الخير، واصطفائهم على سائر خلقه، بما هم أهله.

جاء ذلك في ثمان عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ (مريم الآية ٥٨).

٤- التحذير من مخالفة الأنبياء ممن أتى بعدهم سواء بإضاعة الصلوات، أو اتباع الشهوات، أو الانهماك في المعاصي. والترغيب في التوبة وبيان ما أعده الله للتائبين من الجنات.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم الآية ٥٩)، إلى قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ (مريم الآية ٦٥).

٥- ذكرت بعض شبهات الكفار المكذبين للبعث، والمنكرين لوحدانية الله، وادعاؤهم أن حالهم في الدنيا أحسن من حال غيرهم استهزاء، وطعنًا في القول بالحشر والبعث. والرد عليهم بالأدلة القاطعة، وما سيلقونه من الذل والعذاب. وبيان أن جميع الناس يردون النار ولا ينجو منها إلا من آمن واتقى وعمل صالحًا.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم الآية ٦٦)، إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم الآيتان ٧٩ و٨٠).

٦- بيان سبب ضلال الكفار، واتخاذهم آلهة دون الله، وإقامة الأدلة على وحدانيته جل وعلا، ونفي الشرك والولد عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وتسلية النبي ﷺ بعدم العجلة بالدعاء عليهم، فموعدهم قريب وحسابهم يسير.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ (مريم الآية ٨١)، إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ (مريم الآيتان ٩٤، ٩٥).

٧- بيان حال المؤمنين الموحدين، وأن ما ذكره الله في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والحشر، والرد على المبطلين، يسّره الله بلسان النبي ﷺ ليبشر به المتقين.

جاء ذلك في ثلاث آيات، هي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم الآيات ٩٦، ٩٧، ٩٨).

وهكذا: نجد أن سورة مريم، وما تضمنته من معاني وقصص أنبياء تشير في جملتها إلى وحدانية الله تعالى، وإفراده بالعبادة، وإثبات البعث والحشر، وأن كل ذلك رحمة منه عَزَّ وَجَلَّ بأنبيائه وعموم عباده وخلقه جل وعلا. وهو ما أشرنا إليه في مقصود السورة. والله أعلم.

****

٢٠- سورة طه

أولًا: مقصود سورة طه:

﴿التنويه بشأن القرآن الكريم، ومن نزل عليه، وذم المعرضين عنه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة طه، ومن هؤلاء:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: "سورة طه مضمونها: تخفيف أمر القرآن، وما أنزل الله تعالى من كتبه، فهي سورة كتبه"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: إعلام الداعي ﷺ بإقبال المدعوين، والترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرفه ﷺ"(٢).

وقال في موضع آخر: "مقصودها: الإعلام بإمهال المدعوين، والحلم عنهم، والترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم"(٣).

٣- الفراهي، حيث قال: "أمر فيها بانتظار الفتح، حيث قال في آخرها: ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (طه الآية ١٣٥)(٤).

---

(١) التفسير الكبير ١٩١/٥، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٣٧/١٥.

(٢) مصاعد النظر ٢٧١/٢.

(٣) نظم الدرر ٢٥٥/١٢.

(٤) دلائل النظام ٩٦.

٤- عبد الله شحاته، حيث قال: "تيسير الأمر على رسول الله ﷺ، وبيان فضل الله الواسع على رسله وأصفيائه، وبيان وظيفة الرسول وحصرها في الدعوة والتذكرة والتبشير والإنذار، ثم ترك أمر الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إله غيره"(١).

٥- وجاء في المختصر: "السعادة باتباع هدى القرآن وحمل رسالته، والشقاء بمخالفته"(٢).

٦- وجاء في موسوعة التفسير: "رعاية الله للمختارين لحمل الدعوة من الرسل وأتباعهم"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة طه ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة طه: وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاح السورة به.

٢- سورة موسى: لاشتمالها على قصة موسى مفصلة.

٣- سورة الكليم: لاشتمالها على قصة كليم الله، وهو موسى عليه السلام، وسمي بذلك لأن الله عز وجل كلمه(٤).

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٢٥.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣١٢.

(٣) موسوعة التفسير، إصدار الدرر السنية.

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٣١١، والتحرير والتنوير ١٦/١٧٩، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٢٦٥، ٢٦٨.

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: فعلى القول بأن "طه" اسم من أسمائه ﷺ، أو يشير إليه، فلا إشكال في العلاقة بين اسم السورة ومقصودها. فالسورة خاطبته ﷺ، وبما أنزله الله عليه، وبما قَصَّة الله فيها عن موسى عليه السلام، وأن محمدًا سينتصر على معانديه، كما انتصر موسى على معانديه.

رابعًا: دلالة آيات السورة على مقصودها:

ضمت سورة طه خمسًا وثلاثين ومائة آية، تحدثت في عمومها عن النبي ﷺ، والقرآن الذي نزل عليه، وأن الله سيكرمه وينصره به، ويخزي المعرضين عنه، وذلك على النحو التالي:

١- التنويه بشأن القرآن، ومن أنزله، ومن نزل عليه.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ (طه الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (طه الآية ٨).

٢- تقوية قلب النبي ﷺ من خلال ذكر قصة موسى عليه السلام، ليأتم به في تحمل أعباء النبوة، وما حوته من معاني أجملها في الآتي:

- مناجاة موسى لربه.
- ابتداء الوحي عليه.
- معجزاته، ونعم الله عليه.
- توجيهه بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى توحيد الله، والحوار الذي دار بينهما.

- اتهام موسى بالسحر وما جرى بينه وبين السحرة، إلى أن انتهوا إلى إعلان إيمانهم بالله تعالى.
- إغراق فرعون وجنوده في البحر.
- نعم الله على المؤمنين من بني إسرائيل.
- تكليم الله لموسى.
- فتنة السامري بصناعة العجل إلها.
- تقرير موسى بتوحيد الله، وهي رسالة كل نبي.

جاء ذلك في واحد وتسعين آية، من قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ (طه الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ (طه الآية ٩٩).

وفي هذه القصة وغيرها من قصص الأنبياء في القرآن الكريم فوائد وحكم، منها:

- إثبات صدق النبي ﷺ، وإعجاز القرآن الذي نزل عليه.
- حث للنبي ﷺ وللمكلفين بالقرآن بالاعتبار والاتعاظ بما حل بالأمم السابقة.
- تسلية النبي ﷺ وأمته بما حصل للأنبياء السابقين مع أقوامهم.

٣- ذكر جزاء المعرضين عن القرآن، مع بيان شيء من مشاهد القيامة.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ (طه الآية ١٠٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه الآية ١١٢).

٤- بيان منزلة القرآن، وما يحصل به من التقوى والاتعاظ، والوعيد لمن خالفه.

جاء ذلك في آيتين، هما: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه الآيتان ١١٣، ١١٤).

٥- ذكر قصة آدم في الجنة، وإخراجه منها، وإلزامهم بالهداية الربانية، وجزاء المطيع لله والمعرض عنه.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (طه الآية ١١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (طه الآية ١٢٧).

٦- الاعتبار بما حلّ بالمكذبين بالرسل، وأمر النبي ﷺ بالصبر على تكذيبهم وأذاهم، والمداومة على الصلاة والتسبيح، ونهيه عن تمني ما عند الكفار، وعدم الاكتراث بما يقولونه عن القرآن، وبيان الجزاء الذي ينتظر المعاندين المكذبين.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ (طه الآية ١٢٨)، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ (طه الآية ١٣٥).

وهكذا: نجد أن سورة طه جاءت في مجملها للتنبيه بشأن القرآن الكريم، والذي أنزله، ومن نزل عليه، وأن ما ذكر فيها من قصة موسى عليه السلام إعجاز للنبي ﷺ، ودعوته وأمته إلى العظة والعبرة بمن كفر بالله وبرسله، ولم يعبد الله وحده، وأن الصبر على الدعوة والمداومة على الصلاة والذكر كفيلان بالنصر وإقامة الحق، وهو ما قررناه في مقصودها... والله أعلم.

****

٢١ - سورة الأنبياء

أولًا: مقصود سورة الأنبياء:

﴿وحدة رسل الله وأنبيائه في دعوتهم إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وأن ما أوتوه من وحي ذِكْرٌ لمن اتقى الله، وخشيه بالغيب، وأشفق من يوم القيامة﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الأنبياء، ومن هؤلاء:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: "سورة الأنبياء: سورة الذكر، وسورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر، افتتحها بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ (الآية ٢)، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٧)، وقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الآية ١٠)، وقوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ (الآية ٢٤)، وقوله: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الآية ٤٨)، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ (الآية ٥٠)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ (الآية ١٠٥)"[(١)].

---

(١) التفسير الكبير ٥/٢١٧، ٢١٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٢٦٥.

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الاستدلال على تحقيق الساعة وقربها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير، لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها، وهو من لا يبدل القول لديه"[١].

٣- الفراهي، حيث قال: "في اقتراب عذاب كفار مكة"[٢].

٤- عبد الله شحاته: "إنذار كفار مكة باقتراب العذاب، قال الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ (الأنبياء الآية ١)، والأدلة على الألوهية والتوحيد والرسالة والبعث"[٣].

٥- وجاء في المختصر: "إثبات الرسالة، وبيان وحدة غاية الأنبياء، وعناية الله بهم"[٤].

٦- وجاء في موسوعة التفسير: "بيان معالم التوحيد، وإقامة الأدلة عليه، وما لقى الأنبياء في سبيل الدعوة إليه، وإثبات المعاد، وبيان الأدلة على وقوعه"[٥].

---

(١) نظم الدرر ٣٧٨/١٢، ومصاعد النظر ٢٨٦/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٦.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢٣٦/١.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٢٢.

(٥) موسوعة التفسير، إصدار الدرر السنية.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الأنبياء اسمان هما:

١- سورة الأنبياء: وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لتضمنها الحديث عن ثمانية عشر نبيًا.

٢- سورة اقترب: لافتتاح السورة بكلمة "اقترب"(١).

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: أن السورة سورتهم، فهي تتحدث عن دعوتهم إلى عبادة الله وحده، وأن ما أوحي إليهم هو ذِكْرٌ من الله ﷻ.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الأنبياء ثنتا عشرة ومائة آية، تناولت آياتها في مجملها ما يشير إلى مقصودها، وذلك على النحو التالي:

١- ذكرت السورة في مطلعها شبهة أثارها المشركون حول الرسول ﷺ ودعوته، بأنه بشر مثلهم، وعجزه عن الإتيان بمعجزات مادية. وقد رد القرآن عليهم بأن الأنبياء جميعهم كانوا بشرًا. وأن القرآن معجزة محمد ﷺ، وأن عليكم تدبره وعقله، وإلا سيحل بكم مثل ما حل بالأمم السابقة من الهلاك والبأساء. ولفتت النظر إلى خلق السماوات والأرض وعظمة ذلك، وأنه لحكمة منه ﷻ.

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، وبصائر ذي التمييز ٣١٧/١، والتحرير والتنوير ٥/١٧.

جاء ذلك في عشرين آية، من قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ (الأنبياء الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ (الأنبياء الآية ٢٠).

٢- توبيخ المشركين المنكرين لوحدانية الله، وإقامة الحجة عليهم، وأن الدنيا ما خلقت للدوام، ولا خلق من فيها للبقاء، فهي للابتلاء والامتحان، وأن الكفار لا يستطيعون أن يمنعوا من أنفسهم النار، ولولا أن الله قدر لهم السلامة في الدنيا لما سلموا، ودعوتهم إلى أن يتفكروا بمخلوقات الله، والأدلة التي ترشدهم إلى الإيمان به.

جاء ذلك في سبع وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ (الأنبياء الآية ٢١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء الآية ٤٧).

٣- بيان سنة الله في أنبيائه بإتيانهم الوحي، وتبليغهم الشرائع، وما فيه هداية لأقوامهم. فذكرت السورة ثمانية عشر نبيًا هم:

موسى، هارون، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، لوط، نوح، داود، سليمان، أيوب، إسماعيل، إدريس، ذا الكفل، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، محمد. صلى الله عليهم أجمعين.

وأفادت قصصهم ما يلي:

١- أن الدين عند الله واحد، واتفاق جميع الأنبياء عليه، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له.

٢- أن الصبر على الشدائد والأهوال، والبلايا والمحن هو طريق الأنبياء وديدنهم في دعوتهم.

٣- نِعَمُ الله على أنبيائه وفضله عليهم، وإجابة دعائهم.

٤- تسلية الرسول ﷺ من المستهزئين به من قومه، وأن ما أتى به ليس بدعًا من الرسل.

٥- تقوية قلب النبي ﷺ لأداء الرسالة والصبر عليها.

٦- طمأنة المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالجزاء الحسن.

جاء ذلك في ثلاث وأربعين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء الآية ٤٨)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء الآية ٩١).

٤- الدعوة إلى وحدة الأمة، فهي أمة واحدة، تعبد إلهًا واحدًا، والحذر من التفرق، والاغترار بتأخر العذاب، فيوم القيامة قريب. وبيان شيء من أحواله وأحوال الناس فيه.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء الآية ٩٢)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء الآية ١٠٦).

٥- بيان أن إرسال محمد ﷺ إنما هو رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين.

جاء ذلك في ست آيات هن ختام السورة، من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء الآية ١٠٧)، إلى قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء الآية ١١٢).

وهكذا: غلب على سورة الأنبياء الحديث عن الأنبياء، وأنهم رسل الله بدين واحد، ودعوة واحدة، يدعون إلى الإيمان به ﷻ، وتقواه، وخشيته، والإشفاق من عذابه عند مخالفته، وهو ما جاء في مقصودها.. والله أعلم.

****

٢٢- سورة الحج

أولًا: مقصود سورة الحج:

﴿الحديث عن اليوم الآخر وأهواله، والدعوة إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، وتعظيم شعائر الله والانقياد له﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الحج، ومن هؤلاء:

١-شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: "سورة الحج سورة الملة الإبراهيمية الذي جادل بعلم، وعَبَدَ الله بعلم، ولهذا ضمنت ذكر الحج، وذكر الملل الست"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "الحث على التقوى المعلية عن دركة الاستحقاق للحكم بالعدل إلى درجة استئهال الإنعام بالفضل، في يوم الجمع للفصل، وأنسب ما فيها لذلك الحج"(٢).

٣-الفراهي، حيث قال: "في الجهاد وهلاك القرى"(٣).

---

(١) التفسير الكبير ٥/٢٢٠، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٦٧/١٥.

والملل الست، يشير فيها إلى الآية التي جمعت تلك الملل وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (الآية ١٧).

(٢) نظم الدرر ١/١٣، ومصاعد النظر ٢/٢٩٤.

(٣) دلائل النظام ٩٦.

٤- عبد الله شحاته، حيث قال: "استعراض مشاهد الكون، ومشاهد القيامة، ومصارع الغابرين، والأمثلة والعبر، والصور والتأملات، لاستجاشة مشاعر الإيمان والتقوى، والإخبات والاستسلام"(١).

٥- وجاء في المختصر: "تعظيم الله سبحانه وتعالى، والتسليم لأمره"(٢).

ثالثًا: دلالة أسماء السورة على مقصودها:

لسورة الحج اسم واحد فقط وهو:

"سورة الحج"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لما فيها من الدعوة إلى الحج على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام، واشتمالها على مناسك هذه الشعيرة، وما فيها من فضائل ومنافع.

ودلالة اسمها على مقصودها: أن الحج من شعائر الله، وهو من أعظم الدلائل على توحيد الله وعبادته دون سواه، وهو مقصود السورة العام.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الحج ثمان وسبعين آية، تحدثت في مجملها عما يلي:

١- أمر الناس بالتقوى، والخشية من يوم الجزاء وأهواله.

جاء ذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٤٥.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٣٢.

﴿كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج الآيتان ١، ٢).

٢- ذم منكري البعث، والمشركين مع الله، وتقريع المجادلين في ذلك، سواء المقلدين أم الداعين إلى الضلال، ببيان حالهم ومآلهم.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ (الحج الآية ٣)، إلى قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ (الحج الآية ١٣).

٣- بيان حال المؤمنين بالله، وما يلقونه من النصر في الدنيا والآخرة. وحال غيرهم من أرباب الفرق والفصل بينهم بالعدل، وبيان حال فريقي الإيمان والكفر ومآل كل فريق.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (الحج الآية ١٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (الحج الآية ٢٤).

٤- تعظيم الله للبيت الحرام، وبيان مكانته، وعظم من صدّ الناس عنه، ودعوة إبراهيم عليه السلام الناس إلى الحج، وتعظيم حرمات الله وشعائره، وبيان مناسك الحج وما فيها من منافع.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج الآية ٢٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الحج الآية ٣٧).

٥- الإذن للمؤمنين بقتال من يقاتلهم، وإزالة من يصدهم عن دين الله وعن المسجد الحرام، ليتمكن المسلمون من أداء مناسك الحج.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج الآية ٣٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(الحج الآية ٤١).

٦- تسلية النبي ﷺ على ما يرى من قومه من: تكذيب بالوحي، وإنكار للبعث، وإشراك بالله. وذلك بالصبر على أذاهم، وأن هذا ليس ببدعًا بهم، فهو أيضا في الأمم السابقة، وأن عدم إيمانهم وتكذيبهم، واستهزائهم لن يمنع الرسول ﷺ ولن يضره شيئًا، فهو بعث للإنذار والتخويف وإقامة الحجة.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ (الحج الآية ٤٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحج الآية ٥١).

٧- تقرير صدق النبي ﷺ، وصدق ما جاء به من الوحي، وأن على النبي ألا يتألم بما يردد الكفار على لسان الشيطان، فقد أصاب مثل هذا الأنبياء قبله، وأن هذه حالهم حتى يموتوا أو يأتيهم العذاب.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج الآية ٥٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (الحج الآية ٥٥).

٨- بيان أن الملك لله وحده يوم القيامة، فهو الذي يجازي بين العباد مؤمنهم وكافرهم، وفي الدنيا وعده للمهاجرين بالرزق الحسن، والمقاتلين في سبيله بالنصر والتأييد، فمن قدر على تصريف الكون، قادر على تحقيق النصر والتمكين.

جاء ذلك في إحدى عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

(الحج الآية ٥٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ (الحج الآية ٦٦).

٩- التذكير بنعم الله على الناس، وزجره لمن نازع النبي ﷺ بذكر خطئهم، وأمره بالبيان على ما عليه من الحق، وأن لا يضره عناد الجاحدين، وأن الله يصطفي من خلقه من يعلم أنه الأكفأ والأوفق ليكون أمينًا على دينه، وتنفيذ أوامر شرعه وأحكامه.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج الآية ٦٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج الآية ٧٨).

وهكذا: نجد أن سورة الحج وما تضمنته من الحديث عن يوم القيامة وأهواله، والإيمان بالبعث والحساب، والدعوة إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، وتعظيم مشاعر الله، ونصر الله للمؤمنين ومجازاته للكافرين، هو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٢٣- سورة المؤمنون

أولًا: مقصود سورة المؤمنون:

﴿فلاح المؤمنين، وخسران الكافرين﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المؤمنون، ومن هؤلاء:

١- الشاطبي، حيث قال: "وسورة المؤمنون فيها المعاني الثلاثة[(١)] على أوضح الوجوه، إلا أنه غلب على نسقها ذكر: إنكار الكفار للنبوة، التي هي المدخل للمعنيين الباقيين" وقال: "فسورة المؤمنين قصة واحدة في شيء واحد"[(٢)].

٢- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: اختصاص المؤمنون بالفلاح"[(٣)].

٣- الفراهي، حيث قال: "في فلاح المؤمنين الصالحين، وهلاك المكذبين"[(٤)].

٤- عبدالله شحاته، حيث قال: "هي سورة الإيمان بكل قضاياه، ودلائله

---

(١) المعاني الثلاثة هي: ١- تقرير الوحدانية لله جل وعلا.

٢- تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ.

٣- إثبات أمر البعث والدار الآخرة.

(٢) الموافقات ٣/٣١٢- ٣١٤.

(٣) نظم الدرر ١٣/١٠٥، مصاعد النظر ٢/٣٠٣.

(٤) دلائل النظام ٩٦.

وصفاته"[١].

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان فلاح المؤمنين وخسران الكافرين"[٢].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة المؤمنون ثلاثة أسماء هي:

١- سورة المؤمنون، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بفلاح المؤمنين، وما تضمنته من صفاهم، وثوابهم، وجزائهم.

٢- سورة قد أفلح، ووجه تسميتها به: لأول جملة ابتدأت بها.

٣- سورة الفلاح، ووجه تسميتها به: أخذًا من قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (الآية ١)[٣].

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: إذ السورة هي سورة المؤمنين بالله: صفاهم، ودلائل إيمانهم، وعبوديتهم لله، وإيمانهم بالبعث والحساب، وما يقابلهم من الكافرين بالله، المكذبين برسوله، وبالبعث والنشور.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المؤمنون ثمان عشرة ومائة آية، تحدثت في مجملها عما يلي:

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٥٠.

(٢) المختصر في تفسير القرآن ٣٤٢.

(٣) ينظر: جمال القراء ١/٣٧، والتحرير والتنوير ١٨/٥، وأسماء سور القرآن الكريم للشايع ٩٧.

١- البشارة بالفلاح والفوز بالفردوس الأعلى من الجنان للمؤمنين المتصفين بالصفات السبع: الإيمان، والخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفرج، وأداء الأمانة، والمحافظة على الصلاة.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (المؤمنون الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (المؤمنون الآية ١١).

٢- بيان دلائل وجود الله وقدرته، وتفرده بالتصرف في الملك والملكوت، واستحقاقه للعبادة وحده، وذلك بما أنعم به على عباده في: خلق الإنسان، وخلق السماوات السبع، وإنزال الماء من السماء، وخلق الحيوانات لمنافع لهم.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ (المؤمنون الآية ١٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٢٢).

٣- ذكرت السورة خمس قصص للأنبياء عليهم السلام:

- قصة نوح عليه السلام الآيات ٢٢- ٣٠.
- قصة هود عليه السلام الآيات ٣١ -٤١.
- قصص صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام الآيات ٤٢- ٤٤.
- قصة موسى وهارون عليهما السلام الآيات ٤٥- ٤٩.

- قصة عيسى وأمه مريم عليهما السلام الآية ٥٠.

وبين الله فيها:

- تكذيب أمم هؤلاء الأنبياء برسلهم، وهو الحال الذي وقع به كفار مكة مع نبيهم محمد ﷺ.
- دعوتهم جميعًا إلى عبادة الله وحده لا شريك له.
- نظر الله لأنبيائه، واستجابته لدعائهم.
- الإنذار والوعيد الشديدين لكل قوم لا يصدقون برسل الله، ولا يؤمنون بوجوده ووحدانيته.
- عاقبة الكافرين المنكرين لوحدانية الله، والبعث، والرسل.
- أن من رحمة الله وحكمته إرسال الرسل في كل الأمم.

جاء ذلك في ثمان وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٢٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون الآية ٥٠).

٤- التأكيد على أن دعوة الأنبياء واحدة، فأصل الدين واحد قائم على الدعوة إلى توحيد الله لا شريك معه. ولكن الأمم هي التي فرقت دينها شيعًا.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ (المؤمنون الآية ٥١)، إلى قوله تعالى: ﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٥٦).

٥- بيان صفات المسارعين في الخيرات، وأن الدين يسر، لا يخرج عن الوسع والطاقة، وما يعمله المرء محفوظ، ولن يظلم أحد، وما يقابلهم من إعراض المشركين عن فعل الخيرات، والبعد عن سماع الأدلة، ورؤية العبر والتأمل في الحقائق.

جاء ذلك في واحد وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٥٧)، إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٧٧).

٦- بيان دلائل قدرة الله وسعة علمه، ونعمه على عباده، ليسترشد بها على وجوده وقدرته على بعثهم وحشرهم إليه. وبيان شُبَه المشركين في أمر البعث والحساب والجزاء، والرد عليهم فيه وفي نسبة الولد لله، وإتخاذ شريك له.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٧٨)، إلى قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٩٢).

٧- توجيه الرسول الله ﷺ إلى الدعاء والتضرع للنجاة من العذاب الذي سيحل بالكافرين، وأن يقابل السيئة بالحسنة، ويستعيذ من وساوس

الشيطان، فمآل المشركين إلى خسران، وإذا جاء أحدهم الموت تمنى الرجوع لكي يعمل صالحًا، ولكن بعد فوات الأوان. فهم صائرون إلى يوم لا نسب ولا حسب ولا قريب ينفعهم، وأن الحسنات هي أساس الفوز بالآخرة، والسيئات سبب دخول جهنم.

جاء ذلك في تسع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٩٣)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ (المؤمنون الآية ١١١).

٨- تقريع الكفار على ما أضاعوه في عمرهم القصير من عدم إيمانهم بالله؛ ليتبين لهم أن ما ظنوه أمدًا طويلًا، يسير بالنسبة إلى ما أنكروه مما يزيدهم حسرة وألمًا، ثم تقرير للبعث والوحدانية لله، والشكر له، وسؤاله المغفرة والرحمة.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (المؤمنون الآية ١١٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (المؤمنون الآية ١١٨).

وهكذا: نجد أن سورة المؤمنون تتحدث في مجملها عن فلاح المؤمنين بالله المصدقين برسوله وما جاء به، وخسران الكافرين بالله المشركين معه غيره، المنكرين للبعث والحساب، وهو ما قررناه في مقصود السورة، والله أعلم.

****

٢٤- سورة النور

أولًا: مقصود سورة النور:

﴿صيانة الأعراض، ووسائل حفظها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النور، ومن هؤلاء:

١- أبو عبد الله القرطبي، حيث قال: "مقصود هذه السورة: ذِكْر أحكام العفاف والستر"[(١)].

٢- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: مدلول اسمها المودع قلبها، المراد منه: أنه تعالى شامل العلم، اللازم منه: تمام القدرة، اللازم منه: إثبات الأمور على غاية الحكمة، اللازم منه: تأكيد الشرف للنبي ﷺ، اللازم منه، شرف من اختاره لصحبته على منازل قربهم منه، واختصاصهم به، اللازم منه: غاية النزاهة والشرف والطهارة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي مات النبي ﷺ وهو عنها راض، وماتت هي رضي الله عنها صالحة محسنة"[(٢)].

٣- الفراهي، حيث قال: "للطاعة في أحكام المعاشرة والتمدن"[(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥٨/١٢.

(٢) نظم الدرر ٢٠٠/١٣، ومصاعد النظر ٣١٠/٢.

(٣) دلائل النظام ٩٦.

٤- عبد الله شحاته: "تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر، ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة حتى تشف وتتصل بنور الله"(١).

٥- وجاء في المختصر: "الدعوة إلى العفاف وحماية الأعراض"(٢).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة النور اسم واحد هو "سورة النور"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لكثرة ذكر النور فيها(٣).

ودلالة اسمها على مقصودها، لإنارتها طريق الأسرة وحمايتها من الانهيار والدمار، بوضع أحكام الأعراض ووسائل حفظها.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة النور أربعًا وستين آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١- عرضت السورة بعض الأحكام التشريعية والتوجيهية والاجتماعية للأسرة المسلمة، فتناولت:

- حد الزنا الآيات ١- ٣.
- حد القذف الآيات ٤-٥.
- قذف الزوجة الآيات ٦-١٠.
- قصة الإفك، وقذف العفيفة الآيات ١١- ٢٦.

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٥٦.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٥٠.

(٣) ينظر: جمال القراء ١/٣٧، وبصائر ذوي التمييز ١/٣٣٤، والتحرير والتنوير ١٨/١٣٩.

• آداب الاستئذان في دخول البيوت الآيات ٢٧ — ٢٩.

• غض البصر وحفظ الفرج الآيات ٣٠ -٣١.

• الحث على الزواج الآيات ٣٢- ٣٤.

جاء ذلك في أربع وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (النور الآية ٣٤).

٢- بيان بعض الأدلة على وجود الله، ووحدانيته، وقدرته، وعلمه، فجاء الحديث عن:

• ملكوت الله العامر بنوره الآية ٣٥.

• المؤمنين المهتدين بنور الله الآيات ٣٦- ٣٨.

• الكفار غير المنتفعين بنور الله الآيات ٣٩ — ٤٠.

• تسبيح المخلوقات الآيات ٤١ — ٤٢.

• إنزال المطر الآية ٤٣.

• اختلاف الليل والنهار الآية ٤٤.

• أنواع الحيوانات الآيتان ٤٥ — ٤٦.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ

دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (النور الآية ٣٥)، إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (النور الآية ٤٦).

٣- بيان بعض صفات المنافقين الذين أعرضوا عن دين الله، وعموا عن نوره، فلم يهتدوا بأدلة وحدانية الله، ولم يمتثلوا أمره وأمر رسوله.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (النور الآية ٤٧)، إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (النور الآية ٥٤).

٤- بيان جزاء المؤمنين المهتدين بنور الله، المطيعين لأمره وأمر رسوله ﷺ، باستخلافهم في الأرض، وتأييدهم بالنصر والتمكين.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (النور الآيات ٥٥، ٥٦، ٥٧).

٥- بيان آداب الاستئذان في دخول البيوت، وحين الخروج إلى الجهاد، والأدب مع الرسول ﷺ في مخاطبته، والتحذير من مخالفة أمره وسنته.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (النور الآية ٥٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ (النور الآية ٦٤).

وهكذا: فإن سورة النور بما تضمنته من آيات وموضوعات تدور في مجملها على صيانة عرض الأسرة المسلمة، ووسائل حفظها، وتربيتها على العفاف والطهر، وبغض الفاحشة، وهو ما قررناه في مقصود السورة، والله أعلم.

****

٢٥- سورة الفرقان

أولًا: مقصود سورة الفرقان:

﴿الفرقان بين الحق وأهله، و الباطل وحزبه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الفرقان، ومن هؤلاء:

١- أبو عبد الله القرطبي، حيث قال: "ومقصود هذه السورة: ذكر موضع عظم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة، والرد على مقالاتهم وجهالاتهم"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "إنذار عامة المكلفين بما له سبحانه من القدرة الشاملة، المستلزم للعلم التام، المدلول عليه بهذا القرآن المبين، المستلزم لأنه لا موجود على الحقيقة سواه، فهو الحق وسواه الباطل"(٢)، وقال في موضع آخر: "ومقصودها: إظهار شرف الداعي ﷺ بإنذار المكلفين عامة بما له سبحانه من القدرة الشاملة المستلزم للعلم التام..."(٣).

٣- الفراهي، حيث قال: "وعد الموحدين المؤمنين بالفوز ونصر الله"(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/١٣.

(٢) نظم الدرر ٣٢٩/١٣.

(٣) مصاعد النظر ٣١٧/٢.

(٤) دلائل النظام ٩٧، ويلاحظ أنه جعل ثمان سور، هذه السورة وسبع سور بعدها ذات مقصود واحد.

٤- عبد الله شحاته، حيث قال: "العناية بالرسول صلى الله إليه وسلم، ومسح آلام الحزن عنه، وتثبيت قلبه"(١).

٥- وجاء في المختصر: "الانتصار للرسول ﷺ وللقرآن، ودفع شبه المشركين"(٢).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الفرقان اسم واحد فقط، هو: "سورة الفرقان"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: أخذًا من قوله سبحانه في مطلعها: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٣) (الآية ١).

ووجه دلالة اسمها على مقصودها: لأن القرآن ما نزل إلا ليفرق به بين الحق والباطل، ويميز بينهما.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الفرقان سبعًا وسبعين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- بدأت بتعظيم الله تعالى، ووصفه بصفات الألوهية والوحدانية: مَلِك السماوات والأرض، عدم اتخاذ الولد، لم يكن له شريك في الملك، خَلْقُه لكل شيء.

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢٦٢/١.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٥٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣١٣/١٨.

جاء ذلك في الآيتين الأوليين، وهما قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان الآيتان ١، ٢).

٢- بينت ضلال المشركين وتكذيبهم للرسول ﷺ بأنواع من الشبه والأكاذيب، حول القرآن، والنبوة، والبعث، والرد عليهم، وفي ذلك بيان للحق من الباطل، وتسلية للرسول ﷺ وتصبيره على ما يلقاه منهم، ومن تلك الشبه:

- اتخاذهم آلهة من دون الله الآية ٣.
- طعنهم في القرآن الآيات ٤، ٦.
- طعنهم في النبي ﷺ الآيات ٧، ١٠.
- إنكارهم يوم القيامة، وحالهم فيه الآيات ١١، ١٩.
- تسلية النبي ﷺ وتصبيره على أذاهم الآية ٢٠.
- طلبهم إنزال الملائكة، وإجابتهم بأن ذلك يحصل يوم القيامة، يوم يعض الظالم على يديه ندمًا وحسرة الآيات ٢١، ٢٩.
- تسلية أخرى للنبي ﷺ عندما هجر قومه للقرآن الآيتان ٣٠، ٣١.
- طلبهم إنزال القرآن جملة واحدة الآيات ٣٢، ٣٥.

جاء ذلك في اثنتين وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان الآية ٣)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان الآية ٣٤).

٣- التذكير بما حل بالأمم السابقة من العذاب، بسبب تكذيبهم رسلهم، ليعتبر المشركون الذين كذبوا الرسول، ويحذروا ما حل بمن سبقهم. فذكرت أربع قصص:

- قصة قوم موسى وهارون عليهما السلام الآيتان ٣٥، ٣٦.
- قصة نوح عليه السلام الآية ٣٧.
- قصة قوم عاد وثمود وأصحاب الرس وقومًا آخرين الآيتان ٣٨ ، ٣٩.
- قصة قوم لوط عليه السلام الآية ٤٠.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ (الفرقان الآية ٣٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (الفرقان الآية ٤٠).

٤- عود على الإساءة والاستهزاء بالرسول ﷺ، وتسمية دعوته إضلالًا.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ (الفرقان الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان الآية ٤٤).

٥- بيان جملة من الآيات الكونية الدالة على قدرة الله ووجوده، وإحكام صنعه، مما يدل على جهل المعرضين عن آيات الله وتوحيده، وهي:

مد الظل، تعاقب الليل والنهار، الرياح المبشرة بالماء، مرج البحرين العذب والمالح، خلق البشر من الماء.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (الفرقان الآية ٤٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان الآية ٥٤).

٦- بيان جهل المشركين في عبادتهم ما لا ينفع ولا يضر بلا حجة ولا دليل، ومع ذلك فهم يضارون من جاء لنفعهم وهو الرسول ﷺ، الذي أمره الله بالتوكل عليه، وأن ينزهه عن كل صفات النقص، وعدم خشية بأس المشركين، وأن السجود والعبادة لا يكونان إلا للرحمن الذي خلق كل شيء.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ (الفرقان الآية ٥٥)، إلى

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان الآية ٦٢).

٧- بيان صفات عباد الرحمن الذين تفكروا في خلق الكون، وأدركوا الحقيقة، وصدقوا الرسول، واتبعوا الحق، فعلت منزلتهم عند ربهم ويجزيهم المنزلة الرفيعة والدرجة العالية. قال القرطبي بعد أن بين تلك الصفات: "أوصافهم من التحلي والتخلي، وهي إحدى عشرة: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والنزاهة عن الشرك، والزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله"(١).

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان الآية ٦٣)، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ (الفرقان الآية ٧٧).

وهكذا: فإن سورة الفرقان بما تضمنته من موضوعات تعود في جملتها إلى تعظيم الله ﷻ، واستحقاقه وحده بالعبادة، وعرض شبه أهل الباطل وحزبهم وتكذيبهم للرسول ﷺ، وبيان الحق وأهله من الباطل وزيفه، وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ وتصبيره وأمته على ما يلاقونه ويلقونه في سبيل الدعوة إلى الله، وهو ما قررناه في مقصود السورة، والله أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/٨٣.

٢٦- سورة الشعراء

أولًا: مقصود سورة الشعراء:

﴿إثبات أن القرآن وحي من الله، تنزيل من رب العالمين، وليس شعرًا، ولا كهانة، ولا تنزلت به الشياطين﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الشعراء وممن قال بذلك:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: أن هذا الكتاب بَيِّن في نفسه بإعجازه أنه من عند الله مُبَيِّن لكل مُلْتبس"[(١)].

٢- عبد الله شحاته، حيث قال: "تثبيت العقيدة، و تلخيص عناصرها الأساسية، وبيان قدرة الله الفائقة، ونعمه السابغة على لسان إبراهيم الخليل، ووعيد المكذبين بعذاب الدنيا أو بعذاب الآخرة، وتسلية الرسول ﷺ، وطمأنينة قلوب المؤمنين"[(٢)].

٣- وجاء في المختصر: بيان آيات الله في تأييد المرسلين، وإهلاك المكذبين"[(٣)].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الشعراء أربعة أسماء هي:

---

(١) نظم الدرر ١٤/١، ومصاعد النظر ٣٢٦/٢.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢٦٧/١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٦٧.

١- سورة الشعراء، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لاختصاصها بذكر الشعراء، وتمييز الضالين منهم من المؤمنين. وذكر المهائمي أنها اختصت بتمييز الرسل عن الشعراء[(١)].

٢- سورة طسم الشعراء، وهي تسمية للسورة بمفتتحها.

٣- سورة الظلة، لقوله تعالى فيها: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ (الآية ١٨٩).

٤- سورة الجامعة، لجمعها الرسل أصحاب الشرائع السابقة لنبينا محمد ﷺ[(٢)].

ووجه دلالة اسمها التوقيفي "الشعراء" على مقصودها: لأنها تدور في جملتها على الرد على المشركين في زعمهم أن محمدًا كان شاعرًا، قال البقاعي: "وتسميها بالشعراء أول دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعر من علو مقامه، واستقامة مناهجه، وعز مرامه، وصدق وعده ووعيده، وعدل تبشيره وتهديده"[(٣)].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الشعراء سبعًا وعشرين ومائتي آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- التنويه بالقرآن، والتنديد بإعراض المشركين عنه.

---

(١) ينظر: تفسير المهائمي ٤٨٧/٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣٥/٦، وجمال القراء ٣٧/١، وتفسير المهائمي ٤٨٧/٢، وبصائر ذوي التمييز ٢٤٤/١، والتحرير والتنوير ٨٩/١٩، وأسماء سور القرآن للشايع ١٠٠.

(٣) نظم الدرر ١/١٤.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ (الشعراء الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء الآية ٩).

٢- حديث السورة عن قصص سبعة من الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وهم:

- قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وما أيده الله به من الحجج الباهرة الآيات ١٠، ٦٨.
- قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع أبيه وقومه عبدة الأوثان، والتنديد بذلك، ودعاؤه بأن لا يخزيه الله يوم البعث، ووصفه ليوم القيامة الآيات ٦٩ ، ١٠٤.
- قصة نوح عليه السلام مع قومه الآيات ١٠٥، ١٢٢.
- قصة هود عليه السلام مع قومه من قبيلة عاد الآيات ١٢٣، ١٤٠.
- قصة صالح عليه السلام مع قومه الآيات ١٤١، ١٥٩.
- قصة لوط عليه السلام مع قومه الآيات ١٦٠، ١٧٥.
- قصة شعيب عليه السلام الآيات ١٧٦ ، ١٩١.

جاء ذلك في واحد وثمانين ومائة آية، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الشعراء الآية ١٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء الآية ١٩١).

وفي هذه القصص من الحكم والعبر ما يلي:

- أن ما جاء به محمد ﷺ ليس أمرًا عجيبًا، ولا بدعًا من الرسل، إنما مضت قبله الرسل، حيث دعوا إلى ما يدعو إليه من توحيد الله وطاعته، وترك عبادة ما سواه.
- تأكيد بعثته ﷺ وتصديق دعوته.
- تسلية النبي ﷺ عما يلقاه من صدود قومه، وإعراضهم عن سماع القرآن، وحزنه على ذلك.
- بيان سنة الله في عقاب المكذبين.

وقد عقب الزمخشري على هذه القصص بقوله: " كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأنّ في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان، ولأنّ هذه القصص طرقت بها آذان وَقَرَتْ عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكُوْثِرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح آذانًا، أو يفتق ذهنًا"[١].

٣- التأكيد على نبوة النبي ﷺ، وأن ما جاء به إنما هو كلام الله نزله على نبيه محمد ﷺ، وأن علماء بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن، وصفة النبي

(١) الكشاف ٤/٤١٤.

ﷺ ومبعثه في كتبهم، ومع ذلك يقولون مرة: إن محمدًا كاهنًا، وأخرى إن القرآن تنزلت به الشياطين.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء الآية ١٩٢)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء الآية ٢١٢).

٤- التوجيه الإلهي بكيفية الدعوة إلى الله تعالى، وأسلوب التعامل مع المدعوين، البدء بالأقرب فالأقرب، والرفق بالمؤمنين، والتوكل على الله وحده.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء الآية ٢١٣)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الشعراء الآية ٢٢٠).

٥- الرد على افتراء المشركين أن القرآن تنزلت به الشياطين، أومن تأليف الشعراء الغاوين. وذلك: بأن الشياطين إنما تتنزل على كل كذاب فاجر، لا على الرسول الصادق الأمين، وهو ليس من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، وفي كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون، أما النبي فيتبعه الصلحاء، حيث يدعو إلى الخير والصلاح والتقوى.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ (الشعراء الآية ٢٢١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء الآية ٢٢٧).

وهكذا: فإنه سورة الشعراء تتحدث في مجملها حول إثبات القرآن الكريم، وأنه وحي من الله، وليس بشعر، ولا كهانة، ولا تنزلت به الشياطين. وهو ما قررناه في مقصود السورة. والله أعلم.

****

٢٧- سورة النمل

أولًا: مقصود سورة النمل:

﴿الإيمان بالله تعالى، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ونعمه على خلقه، والجزاء والحساب لمن أطاع وشكر، وعصى كفر﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النمل، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين، بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة" ثم قال: "المقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة"(١).

٢- عبد الله شحاته، حيث قال: " الإيمان بالله وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، والإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله لا يعلمه سواه، والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر"(٢).

---

(١) نظم الدرر ١٢٢/١٤، ومصاعد النظر ٣٣٣/٢.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢٧٢/١.

٣- وجاء في المختصر: "الامتنان على النبي ﷺ بنعمة القرآن وشكرها والصبر على تبليغه"(١).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة النمل أربعة أسماء هي:

١- سورة النمل، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لذكر النمل فيها وقصته مع سليمان عليه السلام.

٢- سورة سليمان، لذكر مُلْك سليمان فيها.

٣- سورة الهدهد، لذكر لفظ الهدهد فيها.

٤- سورة طس، لافتتاحها به(٢).

ووجه دلالة اسمها "النمل" على مقصودها: أن النمل في قصتهم مع سليمان وجنوده، فيها دلالة على نصح النملة لأمتها، وحسن تعبيرها، وحفظها لنوعها، وهذا حال الأنبياء عليهم السلام.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة النمل ثلاثًا وتسعين آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١- بيان أن القرآن هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين المتصفين بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والتصديق باليوم الآخر.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٧٧.

(٢) ينظر: جمال القراء ١/٣٧، والاتقان في علوم القرآن ١/١٩٤، وأسماء سور القرآن للشايع ١٠٣.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ (النمل الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل الآية ٦).

٢- التذكير بأربع قصص للأنبياء عليهم السلام، وهي:

- قصة موسى عليه السلام وهو بالوادي المقدس كيف اصطفاه الله، وكلّمه، ونجاه، وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة، الآيات ٧، ١٤.
- قصة داوود وسليمان عليهما السلام بما أنعم الله به عليهما من العلم والنبوة والملك، وتسخير الجن والإنس والطير لسليمان، وقصته مع بلقيس، الآيات ١٥، ٤٤.
- قصة صالح عليه السلام وقومه الذين استبد بهم الجهل والشؤم من نبيهم، الآيات ٤٥، ٥٣.
- قصة لوط عليه السلام وإهلاك قومه الذين اقترفوا الفواحش والمعاصي الكبيرة، وعقاب الله لهم، الآيات٥٤، ٥٨.

وفي هذه القصص من الفوائد ما يلي:

- علم الله وحكمته وعزته ورحمته.
- عناية الله بأنبيائه وأصفيائه، ونعمه عليهم، وشكرهم لها.
- وحدة دعوة الأنبياء في دعوتهم إلى إفراد الله بالعبادة دون شريك له.
- إنذار وتهديد كل كافر ومشرك لم يؤمن بالله.

- الدلالة على أن محمدًا رسول الله، و أنه يتلقى القرآن من حكيم عليم.
- استحقاق المؤمنين الرحمة والبشارة.

جاء ذلك في واحد وخمسين آية، من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل الآية ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (النمل الآية ٥٨).

٣- توجيه الرسول ﷺ بحمد لله على نعمة الإيمان، والسلام على الأنبياء كافة، مع بيان الأدلة على وحدانية الله وعلمه وقدرته، ووجوب عبادته وحده.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل الآية ٥٩)، إلى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ (النمل الآية ٦٦).

٤- الحديث عن الشاكين والمنكرين لقدرة الله وكمال علمه، ومن ذلك إنكارهم للبعث، وقولهم عن القرآن: إنه أساطير الأولين، والرد عليهم بالسير في الأرض، والنظر في ما حلَّ بالأمم المكذبة برسلها المنكرة للبعث.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (النمل الآية ٦٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل الآية ٧٥).

٥- إثبات نبوة محمد ﷺ بالقرآن الكريم وما جاء به من إعجاز وحكم وأحكام ، ومن ذلك:

- قصص الأنبياء السابقين وما حلَّ بأقوامهم.
- إثبات التوحيد، والبعث، والنبوة، والتشريع العادل.
- مجيئه بالحق المبين.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل الآية ٧٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (النمل الآية ٨١).

٦- بيان آيات الله في البعث والنشور، ومن ذلك:

- إخراج الدابة من الأرض.
- حال المكذبين في موقف القيامة.
- الفزع حين النفخ في الصور، ورؤيتهم الجبال كأنها جامدة.
- أحوال المكلفين الذين يعملون بالحسنات، والذين يعملون بالسيئات.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل الآية ٨٢)، إلى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (النمل الآيتان ٨٩، ٩٠).

٧- بيان أن الدعوة بعبادة الله، وحمده، وتلاوة كتابه قد تمت وكملت، ولم يبق إلا أن يسلموا ويهتدوا.

جاء ذلك في ثلاث آيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل الآيات ٩١، ٩٢، ٩٣).

وهكذا فإن سورة النمل بما تضمنته من آيات تعالج في مجملها الإيمان بالله ﷻ ونبيه محمد ﷺ وما أنزل عليه، وما فيه من دلائل على قدرة الله تعالى، وعلمه وحكمته وإنعامه على أنبيائه وعموم خلقه، والجزاء والحساب يوم القيامة لمن آمن وكفر بالله ﷻ. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

٢٨ - سورة القصص

أولًا: مقصود سورة القصص:

﴿تحقيق وعد الله لرسوله والمؤمنين بالنصر والتأييد﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة القصص، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "التواضع لله، المستلزم لرد الأمر كله إليه"(١).

٢- الفراهي، حيث قال: "في وعد الموحدين المؤمنين بالفوز ونصر الله"(٢).

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "إثبات قدرة الله ورعايته للمؤمنين"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "سنة الله في تمكين المؤمنين المستضعفين وإهلاك الطغاة المستكبرين"(٤).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة القصص ثلاثة أسماء هي:

١- سورة القصص، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لاشتمالها على قصص موسى عليه السلام، حيث تضمنت أحداث وقصص موسى عليه السلام التي قصها على شعيب عليه السلام.

---

(١) نظم الدرر ١٤/٢٣٢، ومصاعد النظر ٢/٣٣٨.

(٢) دلائل النظام ٩٦.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٨١.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٨٥.

٢- سورة طسم، لافتتاحها بها.

٣- سورة موسى، لورود قصص موسى مفصلة بها[1].

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: حيث أشارت في قصصها إلى نصر الله لأنبيائه وأهل الحق المؤمنين بالله، المتواضعين له، المفردين له بالعبادة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة القصص ثمان وثمانين آية، تناولت فيها ما يلي:

١-حديث القرآن عن قصص موسى عليه السلام، وهدفها الأساس تسلية النبي ﷺ بأن النصر والعاقبة له، كما نصر وأعز أنبياءه، وفيها من الدلائل ما يلي:

- الحاجة إلى إرسال الرسل، ومن ذلك بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإقامة الدليل على صدقه، وأن ما أنزل عليه وحي أوحاه الله إليه، وأن الانتفاع به لا يكون إلا لمن صدق بأنه كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ. الآيات ١، ٦.
- التحذير من الاستعلاء في الأرض، والاغترار بكثرة الأتباع أو المال.
- نعم الله على موسى عليه السلام من إنجائه من القتل والغرق، وإيتائه العلم والحكمة والنبوة. الآيات ٧، ١٤.

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، والفتوحات الإلهية ٣٣٣/٣، والتحرير والتنوير ٦١/٢٠، وأسماء سور القرآن الكريم للشايع ١٠٤.

- خروج موسى عليه السلام إلى مدين بعد حادثة قتل القبطي وندمه على ذلك. وفيها تزوج ابنة شعيب عليه السلام، ثم عاد إلى مصر بعد أن أوتي النبوة. الآيات ١٥، ٢٨.

- عودة موسى إلى مصر، وفي طريقه آتاه الله النبوة والرسالة، وأيده ببرهانين هما: العصا واليد، وشد عضده بأخيه هارون. الآيات ٢٩، ٣٧.

- محاجة موسى لفرعون في ربوبية الله تعالى، وعاقبة عناده مع قومه، الآيات ٣٨، ٤٧.

جاء ذلك في سبع وأربعين آية، من قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ (القصص الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (القصص الآية ٤٧).

٢- إقامة الحجة على المشركين بصدق رسالة محمد ﷺ حيث طلبوا أن يأتيهم بمعجزات كمعجزات موسى. فرد الله عليهم بأن المعاندين من قوم موسى كفروا حتى بما أتى به موسى، فأنتم متبعون الهوى وسبيل الضلال، وأما من آمن منهم قبل نزول القرآن فقد أسلموا وآمنوا بمحمد ﷺ، وكان غير أهل الكتاب أولى بالإيمان والإسلام منهم.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ

سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ (القصص الآية ٤٨)، إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (القصص الآية ٥٤).

٣- تسلية النبي ﷺ عن عدم اهتداء قومه بثلاثة أمور:

- جعل الحرم آمنًا، ويجبى إليه ثمرات كل البلدان.
- التذكير بإهلاك الأمم المكذبة رسلها.
- أن الإيمان لا يضيع منافع الدنيا.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (القصص الآية ٥٥)، إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ (القصص الآية ٦١).

٤- تقريع المشركين يوم القيامة بسؤالهم عن آلهتهم التي عبدوها في الدنيا، وعن دعوتهم لها، وعن ما أجابو به الرسل الذين دعوهم إلى الإيمان بالله ﷻ، وتجهيلهم بجعل اختيارهم لمن يعبدوه يرجع إليهم، والتأكيد على أنه من حق الله لا من حقهم، وامتنان الله على عباده بأنه المستحق للحمد ولعبادته وحده، لما سخره لهم بجعله الليل والنهار: ليلًا وضياء وسكنًا.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (القصص الآية ٦٢)، إلى قوله تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (القصص الآية ٧٥).

٥- بيان عاقبة الكافرين والمتجبرين من خلال قصة قارون، وبغيه وبطره وكبره: بالخسف به وبداره في الدنيا، وعذاب النار في الآخرة.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (القصص الآية ٧٦)، إلى قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (القصص الآية ٨٤).

٦- بيان قصص النبي محمد ﷺ وأصحابه مع قومه، وإيذائهم إياه، وإخراجهم له من بلده مكة، ثم إعزازه بإعادته إليها وفتحه إياها منصورًا مظفراً. مع تذكيره بعدم معاونة المشركين ومظاهرتهم، وأن لا يبالي بمخالفتهم له، وأن يبلغ رسالة ربه مع توحيد الله في عبادته، فكل ما في الوجود هالك إلا وجهه.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (القصص الآية ٨٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص الآية ٨٨).

وهكذا: نجد أن سورة القصص وما تضمنته من قصص موسى، وقصة قارون، وما آل إليه النبي ﷺ بتحقيق وعد الله له ولأمته بالنصر والتأييد. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

٢٩- سورة العنكبوت

أولًا مقصود سورة العنكبوت:

﴿سنة الله في الابتلاء حال الفتن﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة العنكبوت، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحده من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً... فهي سورة ضعف الكافرين وقوة المؤمنين"(١).

٢- عبد الله شحاته، حيث قال: "تثبيت المؤمنين على الإيمان، وبيان أن هناك ضريبة يدفعها المؤمن، هي الفتنة والامتحان بالإيذاء أو بالإغراء، أو بالوعد أو بالوعيد"(٢).

٣- الشيخ صالح بن محمد آل الشيخ، حيث قال: "إنها تدور حول الفتنة"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "الأمر بالصبر والثبات عند الابتلاء والفتن، وبيان حسن عاقبته"(٤).

---

(١) نظم الدرر ١٤/٣٨٠، ومصاعد النظر ٢/٣٤٣.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٨٣.

(٣) مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير ٥٦.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٣٩٦.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة العنكبوت اسمان هما:

١- سورة العنكبوت، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود ذكر العنكبوت فيها، حيث ضرب الله العنكبوت مثلًا لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٤١).

٢- سورة الم أحسب الناس، لافتتاح السورة به[١].

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: أن المفتتن بعبادة غير الله أضعف من أن يعتمد حتى على مثل بيت العنكبوت المتناهي في الضعف، بمعنى أن المتمسك بغير الله كمن يتمسك ببيت العنكبوت.

ربعًا: دلالة آيات السورة على مقصودها:

ضمت سورة العنكبوت تسعًا وستين آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١- ابتلاء المؤمنين واختبارهم على الشدائد والمحن في الدنيا، لإظهار صدق الصادقين، وكشف كذب الكاذبين.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت الآيتان ١، ٢)، إلى

---

(١) ينظر: جمال القراء ١/٣٧، وبصائر ذوي التمييز ١/٣٥٩.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (العنكبوت الآية ٧).

٢- فتنة الأبوين الكافرين باتباع دينهما، ومحاولات الكفار عمومًا فتنة المؤمنين عن دينهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (العنكبوت الآية ٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ (العنكبوت الآية ١٣).

٣- الحديث عن قصص عدد من الأنبياء مع أقوامهم، وهم:

- قصة نوح عليه السلام مع قومه، وما فيها من طول مكثه في الدعوة لهم، الآيتان ١٤، ١٥.
- قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، ودعوته لهم لعبادة الله وحده، والإيمان بالبعث والحساب، وإقامة الأدلة على ذلك، و استكبارهم ولجوئهم إلى القوة، ونجاه الله منهم، الآيات ١٦، ٢٧.
- قصة لوط عليه السلام مع قومه، وفتنته بشهوة الرجال، وإنكاره الشديد عليهم، الآيات ٢٨، ٣٥.
- قصة شعيب مع مدين، وهود مع عاد، وصالح مع ثمود، وموسى مع قارون وفرعون وهامان، فكل نبي دعا قومه إلى عبادة الله وحده ولكنهم

استكبروا وكفروا بالله، فأخذهم الله بشتى أنواع العذاب، كما قال ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت الآية ٤٠).

وفي هذه القصص من الفوائد ما يلي:

- أن محنة الأنبياء أشد وأصعب من محنة المؤمنين.
- أن الابتلاء سنة الحياة.
- منحة الله للأنبياء والصالحين بالنصر والتأييد، وعقابه بالهلاك للمكذبين.
- تسلية الرسول ﷺ وتثبيته على ما يكابده من أذى الكفار.
- تزيين الشيطان للأعمال التي تصد عن السبيل.

جاء ذلك في سبع وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت الآية ١٤)، إلى قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت الآية ٤٠).

٤- تمثيل حال المتخذين من دون الله أولياء بحال العنكبوت التي اتخذت بيتًا وَهْنًا ضعيفًا لا يحميها من الأذى، ولا يمنع عنها الحر والبرد، فالله هو

المستحق للعبادة، فهو خالق السماوات والأرض، الدال بكتابه إلى طريق الحق والصواب والقوة والرشاد.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت الآية ٤٥).

٥- بيان أنواع من الفتن وكيفية التعامل معها، وهي:

- فتنة أهل الكتاب بمجادلتهم، والأسلوب المناسب في الجدال معهم، الآيات ٤٦، ٤٩.
- فتنة المشركين بمطالبهم التعجيزية، بطلبهم من الرسول ﷺ الإتيان بمعجزات الحسية، واستعجال العذاب، الآيات ٥٠، ٥٥.
- فتنة الدنيا ببقاء المؤمنين بين أظهر الكافرين، الآيات ٥٦، ٦٠.
- فتنة الجدال بغير علم، الآيات ٦١، ٦٣.
- فتنة الدنيا وملذاتها، الآيات ٦٤، ٦٦.
- فتنة أمن الحرم، الآية ٦٧.
- فتنة الكذب على الله، الآيتان ٦٨، ٦٩.

جاء ذلك في أربع وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت الآية ٤٦)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (العنكبوت الآية ٦٩).

وهكذا: نجد أن سورة العنكبوت تحدثت في مجملها عن الابتلاء حال الفتن بأنواعها المتعددة، والهدف منها، وكيفية التعامل معها، وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣٠- سورة الروم

أولًا: مقصود سورة الروم:

﴿الإيمان بالله وحده، وبرسالة محمد والبعث والجزاء﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الروم، ومنهم:

١- البقاعي، حيث قال: " إثبات الأمر كله لله، فتأتي الوحدانية، والقدرة على كل شيء، فيأتي البعث، ونصر أوليائه، وخذلان أعدائه"[١].

٢- عبد الله شحاته، حيث قال: "الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الوجود ونواميس الكون"[٢].

٣- وجاء في المختصر: "تأكيد تفرد الله سبحانه بتصريف الأمور، وبيان سنن الله في خلقه"[٣].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الروم اسمان عرفت بهما وهما:

١- سورة الروم، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لذكرها خبر غلبة الروم على الفرس.

---

(١) نظم الدرر ١٥/١، ومصاعد النظر ٣٤٩/٢.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢٩١/١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٠٤.

٢- سورة الم غلبت الروم ، لافتتاحها به[١].

ودلالة اسم السورة التوقيفي على مقصودها: لأنها بشَّرت بنصر الروم، ثم تحقق على الواقع، ممَّا دلَّ على صِدْق النبي ﷺ، وصِدْق ما جاء به من الوحي وإعجازه، وما تضمنه من توحيد الله وإفراده بالعبادة.

رابعًا: دلالة آيات السورة على مقصودها:

ضمت سورة الروم ستين آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١- إثبات صدق النبي ﷺ بإخبار القرآن عن أمر غيبي، وهو: انتصار الروم على الفرس خلال سنوات معدودة.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ (الروم الآية ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم الآية ٧).

٢- إثبات وجود الخالق جل وعلا، وقدرته، وعلى حصول البعث والحشر، بالحث على التفكر في المخلوقات الدالة على وجود الله ووحدانيته، وأن من بدأ خلق الناس قادر على إعادتهم، وبيان ما يكون بعد الرجوع إليه، وأن من بهذه العظمة حقيق بأن ينزه ويحمد في جميع الأحوال.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ

(١) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٦٥/١، وأسماء سور القرآن الكريم للشايع ١٠٦.

ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ (الروم الآية ٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ (الروم الآية ١٩).

٣- بيان بعض الأدلة العقلية والبيانية على وحدانية الله وقدرته، والحجج المثبتة للبعث والإعادة.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾ (الروم الآية ٢٠) إلى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ (الروم الآية ٢٩).

٤- التوجيه الإلهي بمتابعة دين الإسلام، والثبات عليه، لأنه دين الفطرة والتوحيد، وحال غير الثابتين عليه وقت الضر والشدة.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الروم الآية ٣٠)، إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الروم الآية ٣٧).

٥- الترغيب في النفقة على الأقارب والفقراء، وأن الرزق بيد الله، فهو: الرازق الخالق، المحيي المميت، المنزه عن الأضداد والأنداد، المستحق للعبادة وحده.

جاء ذلك في ثلاث آيات هن قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠).

٦- بيان أن الشرك والمعاصي سبب الفساد والهلاك، والتوجيه الإلهي بالاستقامة على الدين قبل يوم الحساب.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (الروم الآية ٤٥).

٧- الاستدلال على وحدانية الله تعالى وقدرته ونعمته وآياته الكونية بإرسال الرياح والأمطار المبشرة بالخير والرحمة بإحياء الأرض بعد موتها، وذلك أول دليل على إحياء الموتى والبعث والنشور.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الروم الآية ٤٦)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ (الروم الآية ٥١).

٨- تسلية النبي ﷺ عما يلقاه من تكذيب قومه: بأنهم أشبه بالموتى والصم والعمي، لعدم استماعهم لأدلة الهداية.

جاء ذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٥٢ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ (الروم الآيتان ٥٢، ٥٣).

٩- الاستدلال على الوحدانية بخلق الإنسان ومروره بأطوار مختلفة تحتاج إلى خالق عالم وقادر، وهذا لا يمكن أن يتصف بها غير الله الواحد الأحد. وبيان أحوال الناس يوم البعث والحساب. وضربه ﷻ الأمثال للكافرين المعاندين للحق بهذا القرآن الذي جاء بالنذارة والبشارة، ولم يحصل تقصير من الرسول ﷺ في تبليغه، فلو طلبوا شيئًا بعد ذلك فهو عناد واستكبار عن قبول الحق، وأن على محمد وأمته الصبر فوعد الله حق.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم الآية ٥٤)، إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم الآية ٦٠).

وهكذا: نجد أن سورة الروم وما تضمنته آياتها تحدثت عن الإيمان بالله تعالى وقدرته، وإثبات البعث والجزاء بالأدلة العقلية والبيانيه. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣١- سورة لقمان

أولًا: مقصود سورة لقمان:

﴿توحيد الله ﷻ وعبادته وحده، واليقين بيوم البعث والحساب﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة لقمان، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها إثبات الحكمة للكتاب، اللازم منه حكمة منزله سبحانه في أقواله وأفعاله"(١).

٢- عبد الله شحاته، حيث قال: "توحيد الخالق وعبادته وحده، وشكر آلائه، وفي اليقين بالآخرة، وما فيها من حساب دقيق، وجزاء عادل، وفي اتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "الأمر باتباع الحكمة التي تضمنها القرآن، والتحذير من الإعراض عنها"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة لقمان اسم واحد، هو "سورة لقمان"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لذكر لقمان الحكيم فيها، وما تضمنته من حِكَمِه ووصاياه لولده(٤).

---

(١) نظم الدرر ١٥/١٤٠، ومصاعد النظر ٢/٣٥٦.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٩٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤١١.

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٣٧٠، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٣٠٥.

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث تضمنت قصه لقمان التي شملت وصاياه لابنه، بتوحيد الله، وعدم الإشراك به، والإيمان باليوم الآخر، وما يتبع ذلك من الأعمال الصالحة. قال المهائمي: "سميت به لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة، وسر معرفة ذات الله وصفاته، وذم الشرك، والأمر بالأخلاق، والأفعال الحميدة، والنهي عن الذميمة، وهي معظم مقاصد القرآن"(١).

رابعًا: دلالة آيات السورة على مقصودها:

ضمت سورة لقمان أربعًا وثلاثين آية، تحدثت في مجملها عمّا يلي:

١- بيان ما اشتمل عليه القرآن من آيات وحِكْمة، وهُدىً ورحمة، وحال المنتفعين به، والمعرضين عنه.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ (لقمان الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (لقمان الآية ٩).

٢- بيان قدرة الله تعالى على خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، لتقرير وحدانيته، وعدم الإشراك به، وفساد اعتقاد المشركين معه غيره.

جاء ذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا

(١) تفسير المهائمي ٣/٣.

فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (لقمان الآيتان ١٠، ١١).

٣- بيان أن مقتضى العلم والحكمة الإقرار بوحدانية الله، من خلال وصايا لقمان الحكيم لابنه المُثْبِتَة لتوحيد الله وطاعته، والالتزام بمكارم الأخلاق، مع أنه لم يكن نبيًا ولا رسولًا.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان الآية ١٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ (لقمان الآية ١٩).

٤- توبيخ المشركين المُصِّرين على الشرك، وجدالهم بغير علم، مع مشاهدتهم الدلائل على التوحيد، بما في السماوات والأرض، وتسخير ما فيها لمنافعهم، وإنعامه عليهم، وتسلية النبي ﷺ على ما يلقاه منهم مع الوعيد لهم بالعذاب الغليظ.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان الآية ٢٠)، إلى قوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (لقمان الآية ٢٤).

٥- إثبات وجود الله ووحدانيته وعلمه وقدرته، بملكه ما في السماوات والأرض، وخلق الناس وبعثهم، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، وتسيير السفن في البحار.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان الآية ٢٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان الآية ٣٢).

٦- الأمر بتقوى الله، والخشية من يوم القيامة، وعدم الإغترار بالدنيا، والإيمان بما استأثر الله بعلمه.

جاء ذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان الآيتان ٣٣، ٣٤).

وهكذا: نجد أن سورة لقمان تتحدث آياتها عن توحيد الله تعالى، وإقامة الأدلة عليه، وإثبات البعث والجزاء. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣٢- سورة السجدة

أولًا: مقصود سورة السجدة:

﴿تقرير توحيد الله، ورسالة نبيه محمد ﷺ وكتابه، والإيمان بالبعث والجزاء﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة السجدة، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: إنذار الكفار بهذا الكتاب السَّارِّ للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار"(١).

٢- عبد الله شحاته، حيث قال: "تركيز عقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الصمد، خالق الكون والناس، ومدبر السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من خلائق لا يعلمها إلا الله.

والتصديق برسالة محمد ﷺ الموحى إليه بهذا القرآن لهداية البشر إلى الله.

والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "بيان حقيقة الخلق وأحوال الإنسان في الدنيا والآخرة"(٣).

---

(١) نظم الدرر ١٥/٢٢٢، ومصاعد النظر ٢/٣٦١.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٢٩٨.

(٣) المختصر في تفسير القرآن ٤١٥.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة السجدة عدة أسماء، منها:

١- سورة السجدة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لوصفها المؤمنين بالسجود لله، عند سماعهم لآيات القرآن، ولأن آية السجدة بها.

٢- سورة آلم تنزيل، آلم تنزيل السجدة، لافتتاح السورة بذلك.

٣- سورة المضاجع، لورود لفظ المضاجع فيها بقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الآية ١٦).

وهناك أسماء أخرى، أقرب إلى أوصاف السورة، كالمنجية، لما فيها من إنجاء قارئها من الخطايا. المنقسمة، لأنها انقسمت للإعاذة من عذاب القبر(١).

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: لدعوة آياتها إلى الإخبات وترك الاستكبار، كما ذكر ذلك البقاعي(٢).وقال المهائمي: "سميت بها، لأن آية السجدة فيها، تدل على أن آيات القرآن من العظمة بحيث تخر وجوه الكُمَّل بسماع مواعظها، وتنزه منزلها عن أن يعارض في كلامه ويشكره على كمال هدايته، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"(٣).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٣٧٢/١، ومصاعد النظر٢/ ٣٥٩، ٣٦١، وأسماء سور القرآن الكريم للشايع ١٠٨.

(٢) ينظر: نظم الدرر ٢٢٢/١٥.

(٣) تفسير المهائمي ١٤/٣.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة السجدة ثلاثين آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١- تقرير أن القرآن الكريم كلام الله، منزل من عنده على رسوله محمد ﷺ، مما يدل على صدقه، وإبطال مزاعم المشركين بأنه افتراه.

جاء ذلك في الثلاث الآيات الأولى من السورة، وهي قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ (السجدة الآيات ١، ٢، ٣).

٢- إثبات وحدانية الله تعالى وقدرته، بخلقه السماوات والأرض ومدبر أمورهما، وخَلْقِه للإنسان بأحسن خِلْقة، ثم بَعْثه ومحاسبته، والرد على الكفار المنكرين لذلك.

جاء ذلك في أحدر عشر آية، من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة الآية ٤)، إلى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (السجدة الآية ١٤).

٣- الثناء على المؤمنين بآيات الله، وما يتصفون به: من السجود لله وتسبيحهم بحمده على آلائه ونعمه، وملازمتهم قيام الليل، ودعاؤهم

إياه، وإنفاقهم في وجوه الخير، ثم جزاؤهم بما أخفاه الله لهم في الجنات من النعيم المقيم الذي تقر به أعينهم، ومقابلة إيمانهم بالفاسقين.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ (السجدة الآية ١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة الآية ٢٢).

٤- التأكيد على رسالة محمد ﷺ، وإتيانه القرآن، بإرسال الله لموسى قبله وإتيانه الكتاب (التوراة). فليس محمد بدعًا من الرسل. والتذكير بما حلَّ بالمكذبين السابقين ليكون عظة للحاضرين، وتهديدهم بأن يوم الفتح والحكم والفصل لا ينفع فيه الإيمان.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (السجدة الآية ٢٣)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ (السجدة الآية ٣٠).

وهكذا: نجد أن سورة السجدة بما تضمنته من آيات شملت الإيمان بالله الواحد الأحد، خالق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وتقرير رسالة النبي محمد ﷺ، والقرآن المنزل عليه، والإيمان بالبعث والجزاء. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣٣- سورة الأحزاب

أولًا: مقصود سورة الأحزاب:

﴿منزلة النبي ﷺ، وحقوقه، والتمسك بهديه، وعدم إيذائه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

تحدث عن مقصود سورة الأحزاب عدد من العلماء، ومنهم:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق، من غير مراعاة بوجه ما للخلائق، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله"(١).

٢- الفراهي، حيث قال: "في ميثاق النبوة والطاعة"(٢).

٣- بن عاشور، حيث قال: " افتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ مُؤذِنٌ بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ"(٣).

٤- عبد الله شحاته، حيث قال: "إعادة تنظيم الجماعة المسلمة، وإبراز تلك الملامح، وتثبيتها في حياة الأسرة والجماعة، وبيان أصولها من العقيدة والتشريع، كما تتولى تعديل الأوضاع والتقاليد، أو إبطالها وإخضاعها في هذا كله للتصور الإسلامي الجديد"(٤).

---

(١) نظم الدرر ٢٧٣/١٥، ومصاعد النظر ٣٧٠/٢.

(٢) دلائل النظام ٩٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٩/٢١.

(٤) أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٠٢/١، ٣٠٣.

٥- وجاء في المختصر: "بيان عناية الله بنبيه ﷺ، وحماية جنابه وأهل بيته"[(١)].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الأحزاب اسم واحد فقط، هو: "سورة الأحزاب"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لحديث السورة عن تحزب الكفار والمنافقين واليهود على رسول الله ﷺ وإيذائه، وعن غزوة الأحزاب، والإشارة صراحة إلى هذا اللفظ بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الآية ٢٠) [(٢)].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما تضمنته من تحزب الكفار والمنافقين واليهود على إيذاء الرسول ﷺ، وطعنهم فيه، وفي نكاحه، وإشاعتهم الأخبار الكاذبة عليه، ثم في تحزبهم لقتاله في المدينة بما سمي بحرب الأحزاب، قال المهائمي: "سميت بها، لأن قصتها معجزة رسول الله ﷺ، متضمنة لنصره بالريح والملائكة، بحيث كفى الله المؤمنين القتال، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[(٣)].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الأحزاب ثلاثًا وسبعين آية، تحدثت في مجملها عمّا يلي:

١- بيان منزلة النبي ﷺ مع ربه: بتقواه، واتباع وحيه، والتوكل عليه، وعدم طاعة الكفار والمنافقين، والنهي عن إيذائه بدعوى أن له قلبين، وترك ما يفعله الكفار بإبطال عادات الظهار والتبني.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤١٨.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٣٧٧/١، والتحرير والتنوير ٢٤٥/٢١.

(٣) تفسير المهائمي ٢٢/٣.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الأحزاب الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب الآية ٥).

٢- بيان مكانة النبي ﷺ، وعلو منزلته، ورحمته بأمته، وولايته عليهم، وأن ما أرسل به أرسل إلى الأنبياء قبله.

جاء ذلك في ثلاث آيات، هي: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الأحزاب الآيات ٦، ٧، ٨).

٣- نعمة الله ﷻ على نبيه وعلى المؤمنين بنصرهم على من تحزب ضدهم من المشركين ومن عاونهم من اليهود والمنافقين، وأمَّنهم من الخوف، فنصر الله عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

جاء ذلك في تسع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ

أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (الأحزاب الآية ٢٧).

٤- بيان ما ينبغي أن يكون عليه النبي ﷺ مع أزواجه حين طالبنه بتوسعة الحال، بتخييرهن بين الدنيا والآخرة، فاخترن الآخرة -الله ورسوله-، وفي ذلك: ترفعهن عن حطام الدنيا، وإعظامهن الله ورسوله ﷺ، واختصهن الله بمضاعفة الثواب على العمل الصالح، والرزق الكريم في الجنة، وامتيازهن على سائر النساء، وأمرهنّ بعدم إلانة القول للرجال، والأمر بالقرار في البيوت، وعدم التبرج، ومطالبتهن بمداومة الطاعة، وتحقيق صون العرض والسمعة، وتذكر نعمة الله عليهن.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (الأحزاب الآية ٢٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب الآية ٣٤).

٥- بيان ما أعده الله للرجال والنساء من الأجر والثواب.

جاء ذلك في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ

ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب الآية ٣٥).

٦- بيان حكم الله في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وأن لا خيار لأحد بعد حكم الله ﷻ، وأن محمدًا هو رسول الله وخاتم النبيين.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب الآية ٣٦)، إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب الآية ٤٠).

٧- نعمة الله على عباده برحمته لهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور متى ما عظموا الله وأجَلُّوه بذكره وتسبيحه.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب الآية ٤٤).

٨- بيان منزلة النبي ﷺ مع عامة الخلق، الذين أرسل إليهم بمهام سبع هي ما اتصف به: شاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله، وسراجًا منيرًا، ومبشر المؤمنين، وذا الشرع المستقل.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (الأحزاب الآية ٤٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (الأحزاب الآية ٤٨).

٩- بيان أحكام النكاح بين المؤمنين، ثم خص النبي ﷺ في ما يحل له نكاحهن من النساء.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ (الأحزاب الآية ٤٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾ (الأحزاب الآية ٥٢).

١٠- بيان حقوق النبي ﷺ في دخول بيته، وبعد الخروج منه، وحجاب نسائه.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾

(الأحزاب الآية ٥٣)، إلى قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (الأحزاب الآية ٥٥).

١١- بيان مكانة النبي ﷺ، وما يجب له من الاحترام، بالأمر بالصلاة والسلام عليه، والنهي عن إيذائه وإيذاء المؤمنين عمومًا، وما يؤدي الى الإيذاء خاصة النساء، وذلك بالأمر بالتستر، وإرخاء الجلباب، والوعيد الشديد للمؤذين عمومًا، وذلك: باللعن، والعذاب السعير، وتقلب الوجوه في النار.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب الآية ٥٦)، إلى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب الآية ٦٨).

١٢- توجيه المؤمنين بعدم إيذاء الرسول ﷺ بالقول أو الفعل، كما فعل أهل الكتاب في إيذائهم نبيهم موسى عليه السلام. وما ينبغي لهم فعله من: تقوى الله، وقول الحق، وفعل الخير، والوسيلة التي تحصل بها الطاعة من: فعل التكاليف الشرعية، وتَحمُّل الأمانة التي تحملوها.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب الآية ٦٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ

وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب الآية ٧٣).

وهكذا: نجد أن سورة الأحزاب دلت على مقصود السورة الذي قررناه، حيث أشارت إلى مكانة النبي ﷺ، وشرفه، والتعامل معه، في مواضع متفرقة فيها، ومن ذلك:

أولًا: وصفه ﷺ بأوصاف متعددة:

١- وصفه بالنبي في خمسة عشر موضعًا.

٢- وصفه بالرسول في أربعة عشر موضعًا.

٣- وصفه بالصدق، الآية ٢٢.

٤- وصفه بخشية الله، الآية ٣٩.

٥- وصفه بخاتم النبيين، الآية ٤٠.

٦- وصفه بخمس صفات هي: شاهد، ومبشر، ونذير، وداع إلى الله، وسراج منير. في الآيتين ٤٥، ٤٦.

٧- وصفه بالحياء، الآية ٥٣.

ثانيًا: ولاية النبي ﷺ العامة للمؤمنين، الآية ٦.

ثالثًا: اختصاصه ﷺ بأنه أسوة حسنة في كل شيء، الآيات ٢١ – ٢٤.

رابعًا: اختصاصه بأحكام خاصة مع زوجاته، الآيتان ٢٨ – ٢٩.

خامسًا: وجوب اتباع أوامر النبي ﷺ والنهي عن عصيانه، الآية ٣٦.

سادسًا: اختصاصه في أحكام الزواج، الآيات ٥٠ - ٥٢.

سابعًا: اختصاصه في آداب دخول بيته، وأمر أمهات المؤمنين بالحجاب، الآيات ٥٣ - ٥٥.

ثامنًا: تمييز النبي ﷺ بالصلاة والسلام عليه، وأمر المؤمنين بذلك، الآية ٥٦.

تاسعًا: اقتران أذية الرسول ﷺ بأذية الله، ووجوب توقيره، والابتعاد عن أذائه الآيات ٥٧ – ٦٩.

****

٣٤- سورة سبأ

أولا: مقصود سورة سبأ:

﴿الإيمان بالله، وشكره على نعمه، والتحذير من الكفر بها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة سبأ، ومن هؤلاء:

١- الفيروز آبادي، حيث قال: "ومقصودها: بيان حجة التوحيد، وبرهان نبوة الرسول ﷺ، ومعجزات داود وسليمان ووفاتهما، وهلاك سبأ، وشؤوم الكفران، وعدم الشكر، وإلزام الحجة على عباد الأصنام"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: أن الدار الآخرة كائنة لا ريب فيها، لما في ذلك من الحكمة، وله عليه من القدرة"(٢).

٣- الفراهي، حيث قال: "في التوحيد والقيامة، وضرورة النبوة ووعد النصر"(٣).

٤- عبد الله شحاته، "توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث، وبيان أن الإيمان والعمل الصالح هما قوام الحكم والجزاء عند الله"(٤).

٥- وجاء في المختصر: "أحوال الناس مع النعم، وسنة الله في تغييرها"(٥).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٣٨٢.

(٢) نظم الدرر ١٥/٤٢٨، ومصاعد النظر ٢/٣٧٧.

(٣) دلائل النظام ٩٦.

(٤) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٣١١.

(٥) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٢٨.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة سبأ اسم واحد فقط هو: "سورة سبأ"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود قصة سبأ فيها.

ودلالة اسمها على مقصودها: لدلالة قصة سبأ على أن الإعراض عن شكر المنعم على نعمه يؤدي إلى زوالها، وعلى قدرة الله من قلب المنحة إلى محنة، لاتباعهم الشيطان الذي أوصلهم إلى الشك بالآخرة".

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة سبأ أربعًا وخمسين آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١- استحقاق الله للحمد والشكر، إذ النعم كلها منه، فهو مالك السماوات والأرض، العالم بما فيهما وما يخرج منهما، وأن الساعة آتية، ليثيب بها المؤمنين، ويعاقب الكافرين المكذبين.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (سبأ الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (سبأ الآية ٩).

٢- عرضت السورة لقصتين:

الأولى: تمثل الإيمان والشكر، وهي قصة آل داود عليه السلام، وما أنعم الله عليهم من النبوة والملك، وتسخير الريح والجن، وإلانة الحديد، فأثابهم الله

على عبادتهم وشكرهم له، (الآيات ١٠- ١٤).

الثانية: تمثل الجحود والكفر، وهي قصة أهل سبأ وسيل العرم، حيث أنعم الله عليهم بالجنات والرزق الوفير، والبلدة الطيبة، ولكنهم كفروا الله، وبما أنعم عليهم، فعاقبهم الله بتبديل تلك النعم إلى نقم، (الآيات ١٥، ٢١).

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ (سبأ الآية ١٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ (سبأ الآية ٢١).

٣- التوجيه الإلهي بعبادته وحده، وشكره على إنعامه ورزقه، وأن من يستعين بغيره فلن يجد إلى الهلاك والدمار، وعدم استواء من يهتدي أو يضل، **فالمهتدون**: هم من يؤمنون بالقرآن ويتبعونه، **والضالون**: هم الكافرون به وبما سبقه من الكتب السماوية.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ (سبأ الآية ٢٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (سبأ الآية ٣٣).

٤- تسلية النبي ﷺ من مخالفة قومه المُصِرّين على الكفر، المعتمدين على غناهم، و كثرة أموالهم وأولادهم، بأن ذلك ظاهرة في كل الأمم في إيذائهم لأنبيائهم. ورد الله ﷻ على شبهاتهم بما سيكون عليه حالهم يوم القيامة من العذاب الأليم، والأسباب الموجبة لذلك من: الطعن بالنبي ﷺ، وبالقرآن، وبالدين والإسلام، وسيجازيهم الله بالعذاب في وقت لا ينفعهم إيمانهم بعد فوات وقته.

جاء ذلك في عشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ (سبأ الآية ٣٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ (سبأ الآية ٥٤).

وهكذا: نجد أن سورة سبأ بما تضمنته آياتها ركزت على الإيمان بالله، وشكره على إنعامه، والتحذير من الكفر به، وجحود نعمه. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣٥- سورة فاطر

أولًا: مقصود سورة فاطر:

﴿الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، والإيمان بالبعث والرسل، والدلالة على ذلك﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة فاطر، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "ومقصودها: بيان خلق الملائكة، وفتح أبواب الرحمة، والتحذير من الجن وعداوتهم، وتسلية الرسول، وصعود كلمة الشهادة، وذكر عجائب البحر"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "إثبات القدرة الكاملة لله تعالى، اللازم منها تمام القدرة على البعث"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "بيان فقر العباد المطلق إلى فاطر السماوات والأرض، وكمال غناه عنهم"(٣).

ثالثا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة فاطر اسمان هما:

١- سورة فاطر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به.

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٣٨٦.

(٢) نظم الدرر ١٦/١، ومصاعد النظر ٢/٣٨٤.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٣٤.

٢- سورة الملائكة، لوصف الملائكة في مطلعها[١].

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها:

لما فيه من الدلالة على أن الله عز وجل فطر الخلق أول مرة، فهو القادر على أن يعيدهم يوم القيامة، مما يدل على عظمة الخالق عز وجل وقدرته الباهرة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة فاطر خمساً وأربعين آية، شملت الحديث عمّا يلي:

١-الدعوة إلى عبادة الله وحده، فهو الفاطر للكون، والمُرْسِلُ للرسل، والمنعم على الخلق.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (فاطر الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ (فاطر الآية ٤).

٢- تقرير البعث والحساب، وإقامة الأدلة على ذلك، والتحذير من وساوس الشيطان.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ (فاطر الآية ٥)، إلى قوله تعالى:

(١) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٨٦/١، ونظم الدرر ١٦/ ١، والتحرير والتنوير ٢٤٧/٢٢.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر الآية ١١).

٣-الدلالة على القدرة الإلهية على وحدانيته، وقدرته على خلق الأشياء متحدة الجنس مختلفة المنفعة، والحكمة من عبادته ﷻ، فالخلق فقراء إليه وهو الغني عنهم، وأن كل إنسان مسؤول عن نفسه، محاسب على عمله، وضرب المثل للكافر والمؤمن، ومآلهما ومرجعهما، وأنه ليس لأحد الحجة بعد إرسال الرسل فمن آمن نجا، ومن عصا فمصيره العذاب في النار.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (فاطر الآية ١٢)، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (فاطر الآية ٢٦).

٤- التأكيد على قدرة الله ووحدانيته، من خلال مشاهدة الكون المختلفة الأجناس والألوان، وأن العلماء العارفين بالله وبكتابه العاملين بما جاء به، هم أكثر الناس خشية لله ومعرفة به. فالقرآن مصدق لما تقدمه من الكتب، وهو الذي اصطفاه الله لعباده. ثم بيان جزاء من آمن وعمل به، ومن كفر ولم يعمل به.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر الآية ٢٧)، إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (فاطر الآية ٣٩).

٥- مناقشة المشركين في عبادتهم لشركائهم من دون الله، وإمهال الله لهم، ولو أخذهم لأفناهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (فاطر الآية ٤٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ (فاطر الآية ٤٥).

وهكذا: نجد أن سورة فاطر تدعو في مجملها إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، والإيمان بالرسل والقرآن والبعث والجزاء والحساب. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

٣٦- سورة يس

أولاً: مقصود سورة يس:

﴿تقرير وحدانية الله تعالى، ورسالة محمد ﷺ، والبعث والنشور﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة يس، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "تأكيد أمر القرآن، والرسالة، وإلزام الحجة على أهل الضلالة، وضرب المثل، وبيان البراهين المختلفة، وإقامة البرهان على البعث، وكمال ملك ذي الجلال"[١].

٢- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: إثبات الرسالة التي هي روح الوجود، وقلب جميع الحقائق"[٢]، وقال أيضًا: "ويمكن أن يقال: إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، بأقوى البراهين"[٣].

٣- بن عاشور، حيث قال: "إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن"[٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٣٩٠.

(٢) نظم الدرر ١٦/٨١، ومصاعد النظر ٢/٣٨٩.

(٣) مصاعد النظر ٢/٣٩٢، وينظر: تفسير الفخر الرازي ٢٦/١١٣.

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/٣٤٤.

٤- عبد الله شحاته، حيث بين أن سورة يس هدفها الأول: بناء أسس العقيدة، والتعرض لطبيعة الوحي، وصدق الرسالة، والألوهية والوحدانية، وإثبات البعث والنشور[١].

٥- وجاء في المختصر: "إثبات الرسالة والبعث ودلائلهما"[٢].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة يس عدد من الأسماء هي:

١-سورة يس، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاح السورة به.

ومن أسمائها، وإن كانت أقرب إلى أن تكون أوصافًا لها:

٢-سورة قلب القرآن، ووجهه: لتقريرها الحشر والنشر بأبلغ وجه وأحسنه[٣].

٣- سورة المُعِمَّة، ووجهه: لأنها تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة.

٤-سورة الدافعة، ووجهه: لأنها تدفع عن صاحبها كل سوء من أحوال الدنيا والآخرة[٤].

٥- سورة حبيب النجار.

٦-سورة العظيمة.

٧-سورة العزيزة[٥].

---

(١) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٢٥/١.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٤٠.

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي ١١٣/٢٦.

(٤) ينظر: نظم الدرر ٨١/١٦، ومصاعد النظر ٣٩٠/٢.

(٥) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، والتحرير والتنوير ٣٤١/٢٢، وأسماء صور القرآن وفضائلها ٣٢٩.

ولم يتضح لي دلالة اسمها "يس" على مقصودها. وبقية الأسماء وصف لها أو لبعض ما تضمنته.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة يس ثلاثًا وثمانين آية دلت في عمومها على ما يلي:

١- تقرير صدق رسالة النبي ﷺ، وأن إرساله رحمة للعالمين، وإثبات قدرة الله على بعث الموتى ومجازاتهم على أعمالهم، وضرب المثل بمن كذب الرسل -الذين بعثوا هداية للناس- بأن الله سيدمرهم بصيحة واحدة.

جاء ذلك في اثنتين وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ (يس الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ (يس الآية ٣٢).

٢- إثبات وجود الله ووحدانيته وقدرته على البعث والنشور، من خلال بعض المشاهد والآيات الكونية، ومن ذلك:

أ- إنبات الأرض بعد جدبها، وإيجاد البساتين، وتفجير الأنهار.

ب- تعاقب الليل والنهار، وجريان الشمس، وسير القمر في منازله، ومدارات كل من الشمس والقمر.

ج- تنقل الناس في السفن عبر البحار.

مع عرض لمصير الكافرين بالله وبآياته، وبالبعث والنشور، وجزاء المؤمنين وما أعده الله لهم، ثم ما أعده للمجرمين المكذبين بآيات الله وبالبعث والنشور.

جاء ذلك في ست وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (يس الآية ٣٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس الآية ٦٨).

٣- إثبات ما جاء به النبي ﷺ، وأنه وحي من الله وليس بشعر، وما بَيَّنه من إنذار الناس، والتنديد بالكفار المتخذين أندادًا من دون الله، وإقامة الأدلة على وحدانية الله وقدرته على البعث والنشور، وبيان حقيقة شبه المنكرين للبعث.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (يس الآية ٦٩)، إلى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس الآية ٨٣).

وهكذا: فإن سورة يس ركزت على حقيقة رسالة النبي ﷺ، ووحدانية الله وقدرته على كل شيء، ومن ذلك قدرته على بعث الناس وحشرهم، وإقامة الأدلة على ذلك، وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣٧- سورة الصافات

أولًا: مقصود سورة الصافات:

﴿ألوهية الله ووحدانيته المطلقة، ونفيها عن الملائكة وغيرهم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الصافات، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الاستدلال من التنزه عن النقائص، اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل، اللازم منه الوحدانية"[١].

٢- عبد الله شحاته، حيث قال: "بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله"[٢].

٣- وجاء في المختصر: " تنزيه الله عما نسبه إليه المشركون، وإبطال مزاعمهم في الملائكة والجن"[٣].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الصافات اسم واحد فقط هو: "سورة الصافات" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به لافتتاحها به.

---

(١) نظم الدرر ١٨٦/١٦، ومصاعد النظر ٤٠٩/٢.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٣٠/١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٤٦.

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث جاء فيها وصف الملائكة بما ينفي عنهم ما نسب إليهم من الإلهية وبالتالي ما دونهم، مما يدل على توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته[(١)].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الصافات اثنتين وثمانين ومائة آية، شملت في مجملها الحديث عمَّا يلي:

١- بيان مظاهر قدرة الله تعالى، والدعوة إلى توحيده، من خلال نفي مزاعم ألوهية الملائكة، وبيان أنهم خلق من خلق الله ملتزمون بطاعته.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ (الصافات الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ (الصافات الآية ١٠).

٢- الحديث عن اليوم الآخر، والأدلة على إثباته، وموقف الكافرين والمؤمنين به، ومصيرهم فيه.

جاء ذلك في أربع وستين آية، من قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ (الصافات الآية ١١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (الصافات الآيتان ٧٣، ٧٤).

(١) ينظر: تفسير المهائمي ٩٨/٣.

٣- عرض قصص بعض الأنبياء، وهم:

- قصة نوح ﷺ، ونجاته من الغرق، (الآيات ٧٥ – ٨٢).
- قصة إبراهيم ﷺ، ونجاته من النار، وابنه إسماعيل ﷺ ونجاته من الذبح، (الآيات ٨٣ – ١١٣).
- قصة موسى وهارون عليهما السلام، ونجاتهما من الكرب العظيم، (الآيات ١١٤ – ١٢٢).
- قصة إلياس ﷺ، ونجاته ومن آمن معه من العذاب، الآيات (١٢٣ – ١٣٢).
- قصة لوط ﷺ، ونجاته ومن آمن معه من الهلاك، (الآيات ١٣٣ – ١٣٨).
- قصة يونس ﷺ، ونجاته من بطن الحوت، (الآيات ١٣٩–١٤٨).

وفي هذه القصص من الدلائل ما يلي:

- أن المكذبين الضالين بالبعث لهم نظراء في الأمم السابقة.
- أن الله ﷻ هو المستحق وحده للعبادة، ومع أن الملائكة اصطفاهم الله، فهم خلق من خلق الله يعبدون الله وحده.
- نصر الله لرسله والمؤمنين بهم، وإنجاؤهم ممَّا حلَّ بأقوامهم المكذبين بهم.
- أخذ الله للمكذبين برسله بالعذاب والتنكيل.

جاء ذلك في أربع وسبعين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ (الصافات الآية ٧٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الصافات الآيتان ١٤٧، ١٤٨).

٤- التأكيد على وحدانية الله تعالى، وعدم الإشراك به في العبادة سواء الملائكة أو غيرهم، والرد على عقائد المشركين الباطلة في نسبتهم البنات والملائكة لله وتنزيهه، والسلام على رسله، والاعتراف بربوبيته.

جاء ذلك في أربع وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ (الصافات الآية ١٤٩)، إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الصافات الآيتان ١٨١، ١٨٢).

وهكذا: فإن سورة الصافات تضمنت آياتها الحديث عن ألوهية الله تعالى ووحدانيته واستحقاقه وحده بالعبادة، وأن ما يزعمه الكفار من نسبة الملائكة والجن إلى الله تعالى باطل، وأن الملائكة وغيرهم خلق من خلق الله، يعبدون الله وحده، كما يعبده غيرهم، وهو ما قررنا في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣٨- سورة ص

أولًا: مقصود سورة ص:

﴿الصبر على الحق، والخصومات بالباطل﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة ص، ومن هؤلاء:

١- ابن القيم، حيث أشار إلى أن سورة ص هي: سورة الخصومات المتعددة[١].

٢- الفيروزآبادي، حيث قال: "مقصود السورة: بيان تعجب الكفار من نبوة محمد ﷺ، ووصف المنكرين رسول الله ﷺ بالاختلاق والإفتراء[٢].

٣- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: بيان أن جند الله هم الغالبون، غلبة آخرها سلامة للفريقين"[٣].

٤- عبدالله شحاته، حيث قال: "قضية التوحيد وقضية الوحي، وقضية الحساب في الآخرة"[٤].

٥- وجاء في المختصر: "ذكر المخاصمة بالباطل وعاقبتها"[٥].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد ١٧٤/٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٣٩٩/١.

(٣) نظم الدرر ٣٢١/١٦، ومصاعد النظر ٤١٥/٢.

(٤) أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٣٣/١.

(٥) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٥٣.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة ص اسمان عرفت بهما، وهما:

١-سورة ص، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به.

٢-سورة داود عليه السلام، لاشتمالها على قصته[١].

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: أشار إليه ابن القيم بأن سورة ص مبنية على الحرف الذي ابتدأت به، فهي اشتملت على الخصومات المتعددة:

- خصومة الكفار مع النبي ﷺ.
- اختصام الخصمين عند داود عليه السلام.
- تخاصم أهل النار.
- اختصام الملأ الأعلى في العلم.
- مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم. ثم خصامه ثانيًا في شأن بنيه وحِلْفه ليغوينهم أجمعين.

ويرى أن معاني هذه السورة مناسبة للحرف الذي ابتدأت به من الشدة والجهر، والعلو والانفتاح[٢].

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٩٩/١، ونظم الدرر ٣٢٢/١٦.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد ١٧٤/٣.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة "ص" ثمان وثمانين آية، تضمنت في مجملها الحديث عمّا يلي:

١- بيان شبه الكافرين وخصوماتهم مع النبي ﷺ حول بشريته، واختصاصه بالوحي، وإنكارهم توحيد الآلهة في إله واحد، وإنذارهم بما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ (ص الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ (ص الآية ١٦).

٢- عرض لقصص تسعة من الأنبياء، وهم:

- قصة داود عليه السلام، وابتلاؤه برجلين تسورا محرابه، وعرض خصومتهما عليه، وحثه على الصبر، وعاقبة ذلك، وأن خلق السماء والأرض ليس عبثًا وباطلًا، مما يدل على إثبات الحشر والنشر والحساب، فلا يستوي المتقي مع الفاجر. (الآيات ١٧ – ٢٩).
- قصة سليمان عليه السلام، وتعرضه لفتنتين، فصبر وظفر بتمكينه في الأرض، (الآيات ٣٠ – ٤٠).
- قصة أيوب عليه السلام، إذ ابتلي بمس الشيطان له بنصب وعذاب، فصبر حتى عافاه الله، (الآيات ٤١ – ٤٤).

• قصص إبراهيم، وذريته: إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذا الكفل، عليهم السلام، ووصفهم بأنهم من المصطفين الأخيار، وكيف صبروا على ما جاءهم من أقوامهم، (الآيات ٤٥ — ٤٨).

ويؤخذ من هذه القصص:

• رحمة الله بالرسل، وتذكيرهم بنعم الله عليهم.

• حثهم على الصبر عند البلاء، والفتن، وخصومة الكافرين بهم.

• الرد على الكافرين المتعجبين من اختيار محمد رسولًا من بينهم.

• تسلية النبي ﷺ من تكذيب قومه واتهامهم وافترائهم عليه، ودعوته إلى الصبر، لينال رضوان الله، كما ناله الأنبياء قبله ممن ابتلوا وصبروا.

جاء ذلك في اثنتين وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص الآية ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ (ص الآية ٤٨).

٣- بيان ثواب المؤمنين الصابرين على الحق، وعقاب الكافرين الطاغين المصرين على الباطل، وخصومتهم مع رؤسائهم من أهل النار.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ (ص الآية ٤٩)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ (ص الآية ٦٤).

٤- بيان صدق النبي صلى الله وسلم، وأنه جاء لإنذار الناس، ودعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد، وأن عليه الصبر على دعوتهم وتذكيرهم بالقرآن، وعلى ما يلقاه منهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (ص الآية ٦٥)، إلى قوله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (ص الآية ٧٠).

٥- عرض قصة آدم عليه السلام، وامتناع إبليس تنفيذ أمر الله بالسجود له، بسبب الحسد والكبر، وأن الكفار إنما نازعوا محمدًا ﷺ بذات السبب، وبيان أن محمدًا ﷺ لا يسأل الناس أجرًا على دعوته.

جاء ذلك في ثمان عشرة آية من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (ص الآية ٧١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ (ص الآية ٨٨).

وهكذا: نجد أن سورة ص وما تضمنته آياتها تحدثت عن شبه أهل الباطل وخصومتهم لأهل الحق، والدعوة إلى الصبر على الحق الذي هم عليه. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٣٩- سورة الزمر

أولًا: مقصود سورة الزمر:

﴿إخلاص العبادة لله وحده، وعدم اتخاذ الأنداد والأولياء من دونه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الزمر، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على أنه ﷻ صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء"(١).

٢-عبدالله شحاته، حيث قال: "تأكيد السورة على قضية التوحيد الخالص"(٢).

٣-وجاء في المختصر: " من مقاصد السورة: الدعوة للتوحيد والإخلاص، ونبذ الشرك"(٣).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الزمر اسمان هما:

١- سورة الزمر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود هذه اللفظة في آيتين فيها، وهما قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) نظم الدرر ٤٣٦/١٦، ومصاعد النظر ٤٢٣/٢.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٣٧/١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٥٨.

ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الآية ٧١)، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الآية ٧٣).

٢- سورة الغرف، لورود هذه اللفظة فيها بقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (الآية ٢٠)(١).

ودلالة اسم السورة التوقيفي على مقصودها: يعود إلى وصف سوق المؤمنين الموحدين، والكافرين المشركين، بالزمر، ومصير كل فريق بالدار المعدة له.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الزمر خمسًا وسبعين آية، شملت آياتها الحديث عمّا يلي:

١- الدعوة إلى عبادة الله وحده، والإخلاص له، وعدم اتخاذ أنداد من دونه، وإقامة الأدلة على ذلك.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (الزمر الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٤٠٣، ومصاعد النظر ٢/٤٢١.

إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (الزمر الآية ٧).

٢- بيان تناقض الكفار برجوعهم إلى الله حال الشدة، وتركه حال الرخاء، بعكس المؤمن المتمسك بدينه المستقيم عليه، بالرجوع إلى الله في جميع أحواله.

جاء ذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر الآيتان ٨، ٩).

٣- توجيه المؤمنين بتقوى الله والاستمرار في طاعته، والإخلاص له في عبادته، والتحذير من خسارة النفس والأهل عند البعد عن الله، والوعد لمن وحّد الله وترك عبادة غيره، والوعيد لمن عبد الأصنام وأشرك مع الله غيره، وما يوجب الإقبال على الآخرة، وما يوجب الإعراض عن الدنيا.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر الآية ١٠) إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر الآية ٢١).

٤- بيان أن الإقبال على الآخرة والإعراض عن الدنيا لا يتأتى إلا لمن شرح الله صدره للإسلام والقرآن. والإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة لا يتأتى إلا لمن أضله الله وكذَّب برسله.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر الآية ٢٢)، إلى قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر الآية ٢٦).

٥- ضربت السورة المثل للمؤمن الموحد، والكافر المشرك الذي يعبد أكثر من إله، بالعبد المملوك لسيد واحد، والمملوك لعدة شركاء متخاصمين فيه. والرد على من يتخذون شركاء وشفعاء من دون الله، وأن الله هو الحكم العدل وإليه التخاصم.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الزمر الآية ٢٧)، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر الآية ٣١).

٦- وعيد المشركين المكذبين بالله وبرسوله في جهنم، ووعد الموحدين الصادقين المصّدقين في الجنة بأفضل الثواب، وإقامة الدليل على وحدانية الله بإقرار المشركين أنفسهم بذلك، وبطلان عبادة غير الله، وفيها تسلية

النبي ﷺ عما كان يحزنه من عدم إيمان قومه، بإنزال القرآن بالحق، وأن الهداية بيد الله، وقدرته التامة وعلمه الكامل ﷻ، وبيان بعض قبائح المشركين.

جاء ذلك في واحد وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ (الزمر الآية ٣٢) إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الزمر الآية ٥٢).

٧- بيان فضل الله ورحمته ومغفرته في حق عباده المؤمنين المسرفين في الذنوب، إذا إنهم تابوا وأنابوا وأخلصوا العمل لله، ثم بيان حال المتقين وحال المكذبين يوم القيامة من بياض وجوه المتقين، وسواد وجوه المكذبين.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر الآية ٥٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر الآية ٦١).

٨- إقامة الأدلة على وحدانية الله وعظمته وكمال قدرته، ثم بيان أحوال يوم القيامة من الحياة ثم الممات ثم الحياة للحساب والقضاء بالحق وإيفاء كل نفس ما عملت، وأن الناس على فريقين وزمرتين، فريق الكافرين وفريق

المؤمنين، وكل يصف حاله وما آل إليه، وبعد ذلك يسبح الملائكة بحمد ربهم على ما أنعم به، وقضى بالحق بين الخلائق.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ (الزمر الآية ٦٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الزمر الآية ٧٥).

وهكذا: نجد أن سورة الزمر تناولت في مجملها الحديث عن الدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، وعدم الإشراك به، واتخاذ أنداد وأولياء من دونه، ومصير الموحدين والمشركين. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

٤٠- سورة غافر

أولاً: مقصود سورة غافر:

﴿الترغيب لمن آمن وتاب، والترهيب لمن كفر وكذب بآيات الله، وجادل بالباطل﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة غافر، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: الاستدلال على تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كلٍّ ما يستحقه على سبيل العدل"(١).

٢- بن عاشور، حيث قال: " أسلوبها أسلوب المحاجة والاستدلال على صدق القرآن وأنه منزل من عند الله، وإبطال ضلالة المكذبين وضرب مثلهم بالأمم المكذبة، وترهيبهم من التمادي في ضلالهم، وترغيبهم في التبصر ليهتدوا"(٢).

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "الصراع الدائر بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والدعوة والتكذيب، والعلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ المتجبرين"(٣).

---

(١) نظم الدرر ١٧/١، ومصاعد النظر ٤٣٥/٢.

(٢) التحرير والتنوير ٢٢٤/٢٤.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٤٢/١.

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان حال المجادلين في آيات الله والرد عليهم"[١].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة غافر ثلاثة أسماء هي:

١- سورة غافر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود هذا الوصف في مطلعها بقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ (من الآية ٣).

٢- سورة المؤمن لذكر قصة مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ (من الآية ٢٨).

٣- سورة الطول، لورود هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ (من الآية ٣)[٢].

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: حيث رَغَّبت السورة من يجادل في آيات الله بالغفران والتوبة، والترهيب في حال الاستمرار بتكذيب آيات الله والمجادلة فيها. قال البقاعي: " لأنه لا يقدر على غفران ما يشاء لمن يشاء إلا كامل العزة، ولا يعلم جميع الذنوب ليسمى غافراً لها إلا بالغ العلم"[٣].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة غافر خمسًا وثمانين آية، تناولت في مجملها الحديث عمَّا يلي:

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٦٧.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٤٠٩/١، ومصاعد النظر ٤٣٢/٢، والتحرير والتنوير ٧٥/٢٤.

(٣) نظم الدرر ١/١٧.

١- التأكيد على أن نزول القرآن من الله ﷻ، وأن كل ما فيه حق وصدق، وأن منزله هو الجامع لصفات الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وأن الجدال بالباطل كفر وضلال، وما أهلك الأمم المكذبة برسلها إلا ذلك.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (غافر الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ (غافر الآية ٦).

٢- إظهار محبة الملائكة واستغفارهم ودعائهم للمؤمنين.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ (غافر الآية ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (غافر الآية ٩).

٣- اعتراف الكفار بذنوبهم يوم القيامة، واستحقاقهم العذاب الذي ينزل عليهم، ويسألون الرجوع إلى الدنيا لتلافي ما فرط منهم، وإظهار كمال قدرة الله وحكمته وعدله وعدم ظلمه، ومن ذلك إنذارهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وعلم الله وقضاؤه بالحق، وتخويفه من عذاب الآخرة، وتحذيره من عذاب الدنيا.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (غافر الآية ١٠)، إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (غافر الآية ٢٢).

٤- بيان ما حلَّ بفرعون وهامان وقارون حين كذبوا موسى عليه السلام، وزعمهم أنه ساحر كذاب، وبأن الله قيض له رجلًا من آل فرعون يدافع عنه، ويبين الحق لفرعون وأتباعه، ومع ذلك تجبر فرعون وافترى وزاد استهزاؤه بموسى وإنكار رسالته، واستمر الرجل المؤمن بنصحه لفرعون وقومه ودعوتهم إلى النجاة بأنفسهم، وتحذيرهم من الاغترار بالدنيا، وحثهم على العمل للآخرة.

جاء ذلك في أربع وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (غافر الآية ٢٣)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر الآية ٤٦).

٥- المجادلة يوم القيامة بين الرؤساء والأتباع الذين استكبروا عن الانقياد للأنبياء والرسل في يوم لا نفع ولا دفع من عذاب الله، وأن النجاة للرسل ومن آمن بهم. ودعوة النبي ﷺ إلى الصبر والاستغفار والتسبيح بالعشي والإبكار، وأن من يجادل في آيات الله، وُفِّي حسابه يوم البعث بغير سلطان لن يحقق الله لهم آمالهم.

جاء ذلك في عشر آيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ (غافر الآية ٤٧)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (غافر الآية ٥٦).

٦- إقامة الأدلة على وجود الله ووحدانيته وقدرته وحكمته، وأن الساعة آتية لا ريب فيها. ونهيه ﷻ عن عبادة غيره، لما جاء به القرآن من البينات، ودلائل الآفاق والأنفس، ومراحل خلق الإنسان وتدرجه، فالله هو المحيي والمميت، وإذا قضى أمرًا قال له: كن فيكون.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر الآية ٥٧)، إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (غافر الآية ٦٨).

٧- بيان جزاء المجادلين في آيات الله بالباطل، ودعوة النبي ﷺ إلى الصبر على أذاهم وتكذيبهم، ووعده بالنصر وإنزال العذاب على أعدائه.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ (غافر الآية ٦٩) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (غافر الآية ٧٨).

٨- التأكيد على دلائل وجود الله، ووحدانيته، ونعمه على العباد، وتهديد المكذبين المجادلين في آيات الله، المتكبرين على رسله، وتركهم الشرك حين رأوا العذاب.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (غافر الآية ٧٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (غافر الآية ٨٥).

وهكذا: نجد أن سورة غافر بما تضمنته من آيات وضَّحت أن القرآن حق وصدق، وأن مُنَزِّله هو الله ﷻ الغافر لذنوب التائبين، المعاقب للعاصين المكذبين، وأن من يجادل في آيات الله بالباطل، ولا يؤمن بها ولا برسله سينال العذاب الأليم. وهذا ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

❋❋❋❋

٤١- سورة فصلت

أولًا: مقصود سورة فصلت:

﴿الدعوة إلى الإيمان بالله بالنظر في القرآن وسماعه، وإقامة الأدلة على وجود الله وقدرته ووحدانيته﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة فصلت، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدره، وعلماً من علمه لعباده فشرعه لهم، فجاءتهم به عنه رسله"(١).

٢-عبد الله شحاته، حيث قال: "عرض أهداف الدعوة الجديدة، وأركانها، وحقائقها الأساسية"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان حال المعرضين عن الله وذكر عاقبتهم"(٣).

---

(١) نظم الدرر ١٣٤/١٧، ومصاعد النظر ٤٤٣/٢.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٤٧/١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٧٧.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة فصلت أسماء عدة، منها:

١- سورة فصلت، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: ورود لفظة "فصلت" في موضعين فيها، في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ (الآية ٤٤)

٢- سورة حم السجدة، لتمييزها بين سور الحواميم بوجود سجدة تلاوة فيها.

كما جاء تسميتها بسورة السجدة، وسورة المصابيح، وسورة الأقوات، وسجدة المؤمن(١).

ودلالة اسمها على مقصودها: لما في القرآن من التفصيل والوضوح والبيان، لمن يلتمسون الحق، ولم يدع مجالًا للشك أو الظن فيه. وقد فصَّل الله في هذه السورة الآيات، وأوضح الأدلة على وجوده وقدرته ووحدانيته.

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، وبصائر ذوي التمييز ٤١٣/١، ونظم الدرر ١٣٤/١٧، والتحري والتنوير ٢٢٧/٢٤.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة فصلت أربعًا وخمسين آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١- إعراض المشركين عن سماع القرآن المفصَّل العربي المبين، ودعوة النبي ﷺ بالإيمان بالله والاستقامة عليه، وسماع كتابه.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (فصلت الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾ (فصلت الآية ٨).

٢- إقامة الأدلة على وجود الله وكمال قدرته وحكمته ووحدانيته، بخلق السماوات والأرض، وتزيين السماء بمصابيح، ومباركة الأرض بالإنبات فيها.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (فصلت الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ (فصلت الآية ١٢).

٣- إنذار المشركين المعرضين عن الله، وعن سماع القرآن، وصد الناس عن ذلك، بالعذاب الشديد في الدنيا المماثل للعذاب النازل بعاد وثمود قبلهم، وعقابهم الشديد في الآخرة. ويطلبون في الآخرة الانتقام ممن صَيَّرهم إلى هذا المصير.

جاء ذلك في سبع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت الآية ١٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت الآية ٢٩).

٤- وعد الله للمؤمنين المستقيمين على طاعة الله بالبشرى بالجنة، وبيان حال الداعين إلى الله تعالى وآدابهم وأوصافهم.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت الآية ٣٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (فصلت الآية ٣٦).

٥- التأكيد على وجود الله وقدرته وحكمته ووحدانيته، ببيان الدلائل الفلكية وهي: الليل والنهار، والشمس والقمر، والدلائل الأرضية وهي: إنبات الأرض بالمطر.

جاء ذلك في ثلاث آيات بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ

خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت الآيات ٣٧، ٣٨، ٣٩)

٦- الوعيد لمن يجادل في آيات الله، ويشرك به، وتنزيه القرآن عن الطعن فيه، وبيان أن التكذيب بكتب الله عادة قديمة في الأمم، وتأكيد عربية القرآن وهدايته وشفائه للمؤمنين به.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت الآية ٤٠)، إلى قوله تعالى: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (فصلت الآية ٤٦).

٧- علم الله وحده بوقت يوم القيامة، وفيه يبطل الشرك، ويعترف الجميع بوحدانية الله، بعد أن كان الناس متغيري الأحوال، فإن جاءهم خير تعاظموا، وإن تعرضوا لبلاء تصاغروا، وهذا من ضعف الإيمان، وأن على الإنسان التفكر في آيات الله وفي الأنفس، ليعلم أن القرآن حق منزل من عند الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴾ (فصلت الآية ٤٧)، إلى قوله

تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت الآية ٥٤).

وهكذا: نجد أن سورة فصلت دعت إلى الإيمان بالله تعالى، وبما جاء به القرآن الكريم المفصَّل العربي المبين، وأن من أعرض عنه وعن سماعه سيناله العذاب الشديد في الدنيا والآخرة. وأبانت الأدلة على وجود الله وقدرته وعلمه ووحدانيته مما يدعو إلى الإيمان به ﷻ. وهذا ما قررناه في مقصود السورة. والله أعلم.

****

٤٢- سورة الشورى

أولًا مقصود سورة الشورى:

﴿الوحي والتشريع، وأثرهما في إقامة الدين﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الشورى، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان، وأم دعائمه الصلاة، وروح أمره الألفة بالمشاورة"[١].

٢-عبدالله شحاته، حيث قال: "حقيقة الوحي والرسالة"[٢].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان كمال تشريع الله، ووجوب متابعته، والتحذير من مخالفته"[٣].

ثالثا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الشورى اسمان، هما:

١- سورة الشورى، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود هذا اللفظ في وصف المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (من الآية ٣٨).

٢- سورة حم عسق، وعسق، لافتتاحها بهما[٤].

---

(١) نظم الدرر ١٧/٢٣٠، ومصاعد النظر ٢/٤٥٠.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٣٤٧.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٨٣.

(٤) ينظر: مصاعد النظر ٢/٤٤٩، والتحرير والتنوير ٢٥/٢٣.

ودلالة اسم السورة على مقصودها: لبيان ما يجب أن يكون عليه أمر المؤمنين من إقامة التشريع والشورى بينهم.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الشورى ثلاثًا وخمسين آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١- الحديث عن الوحي للأنبياء عمومًا، ومحمد ﷺ خصوصًا، فبينت أن مصدر الوحي واحد، وأن الموحى به إليهم واحد، يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان برسله، وبالمعاد. وأن الموحي له كل ما في السماوات والأرض خلقًا وإيجادًا وعدمًا، وهو الرقيب على كل شيء.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ (الشورى الآيتان ١، ٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ (الشورى الآية ٦).

٢- الحديث عن الوحي للنبي ﷺ بالقرآن العربي المبين، لتبليغه للناس وإنذارهم به، وحال الناس معه، ونعم الله عليهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى الآية ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (الشورى الآية ١٢).

٣- بيان وحدة الدين الذي جاء به الأنبياء، ودعا لعبادة الله وحده، والتمسك بالأخلاق والفضائل، والائتلاف وعدم الافتراق. والتوجيه الإلهي للنبي ﷺ بالدعوة إلى الملة الحنيفية، والاستقامة عليها، والثبات على أحكامها، وعدم اتباع أهواء المشركين واليهود والنصارى في جدالهم في دين الله بعد إقامته.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى الآية ١٣)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ (الشورى الآية ١٩).

٤- الترغيب في فعل الخير، والعمل للآخرة، والطريق إلى ذلك، والثواب الذي ينتظرهم. وبيان سبب ضلال المشركين واستحقاقهم العذاب.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى الآية ٢٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ (الشورى الآية ٢٦).

٥- بيان مظاهر قدرة الله وحكمته في توزيع الرزق وإنزال الغيث وخلق السماوات والأرض، وجمع الناس للحساب في الآخرة، وأن ما يصيب الإنسان في الدنيا من باب الامتحان والابتلاء، وأن إجراء السفن في البحار، وإرسال الرياح، كل ذلك يدل على وحدانية الله وألوهيته وكمال قدرته وعظمته.

جاء ذلك في عشر آيات من قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ (الشورى الآية ٢٧)، إلى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى الآية ٣٦).

٦- بيان صفات المؤمنين من أهل الجنة، وهي:

اجتناب الكبائر، والعفو عند المقدرة، والإنقياد التام لله تعالى، وإقام الصلاة، والتشاور فيما بينهم، والإنفاق في سبيل الله، والجرأة في دفع البغي والظلم.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى الآية ٣٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (الشورى الآية ٤٣).

٧- بيان أحوال الكفار عند رؤيتهم عذاب النار، وعدم وجود من يخلصهم من عذاب الله.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ (الشورى الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦).

٨- الدعوة إلى الاستجابة لأمر الله بعبادته وتوحيده، والتحذير من عدم الإيمان بالله. وبيان قدرة الله تعالى وتصرفه المطلق بملكه السماوات والأرض، وخلقه الإنسان، وتقسيم ما يهبه له من الأولاد.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ (الشورى الآية ٤٧)، إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى الآية ٥٠).

٩- بيان أنواع وحي الله وكلامه إلى أنبيائه ورسله، وأن وحي الله إلى نبيه محمد ﷺ بالقرآن لهداية الناس إلى صراط الله المستقيم.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا

ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ (الشورى الآيات ٥١ ، ٥٢، ٥٣).

وهكذا: نجد أن سورة الشورى، وما تضمنته من آيات، تحدثت عن وحي الله إلى أنبيائه، وإلى رسوله محمد ﷺ على وجه الخصوص، وما فيه من تشريع وهداية إلى الناس، مما يقيم الدين ويدعو إلى الوحدة وعدم الافتراق، وما تناولته من قدرة الله تعالى وحكمته وتدبيره للكون والخلق، مما يدعو إلى عبادته وتوحيده جل وعلا، وهو ما قررناه في مقصود السورة...والله أعلم.

****

٤٣- سورة الزخرف

أولًا: مقصود سورة الزخرف:

﴿الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، والتحذير من الافتتان بالدنيا وزخرفها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الزخرف، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة حتى يكونوا أعلى الأمم -في العلم وما ينشأ عنه- شأناً"[(١)].

٢- عبدالله شحاته، حيث ذكر أن السورة عرضت جانبًا مما لاقته الدعوة الإسلامية من مصاعب وعقبات، ومن جدال واعتراضات، وكيف عالجها القرآن الكريم[(٢)].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التحذير من الافتتان بزخرف الحياة الدنيا؛ لئلا يكون وسيلة للشرك"[(٣)].

---

(١) نظم الدرر ٣٧٦/١٧، ومصاعد النظر ٤٦٥/٢.

(٢) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها ٣٥٦/١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٨٩.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الزخرف اسمان، هما:

١- سورة الزخرف، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظة الزخرف فيها، في قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الآيتان ٣٤، ٣٥).

٢- سورة حم الزخرف، بإضافة "حم" الذي بدأت به إلى اسمها(١).

ودلالة اسم السورة على مقصودها: لبيان أن ما سخره الله من متاع الدنيا وزخرفها، ينبغي أن يوصل إلى الإيمان بالله، وعبادته وحده، لا أن تكون سببًا في الكفر والشرك والكبر ونسيان الله ﷻ.

ربعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الزخرف تسعًا وثمانين آية تحدثت في مجملها عن الآتي:

١-بيان أن كتاب الله جعله الله قرآنًا عربيًا مبينًا، دل على الإيمان به، وأن إسراف المشركين بمعاصيهم لن يمنع من التذكير به، وتحذيرهم من أن ينالهم ما نال الذين من قبلهم حين استهزأوا بأنبيائهم.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ (الزخرف الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف الآية ٨).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥/٣٥٧.

٢-إقامة الأدلة على وجود الخالق، والتذكير بنعمه وصفاته، وتعليمهم ذكر الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم في جميع أحوالهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ (الزخرف الآية ١٤).

٣-إدعاء المشركين بأن الملائكة بنات الله، وأن ذلك بمشيئة الله، وأنكر الله عليهم أشد الإنكار، وأن ما قالوه ليس لهم به علم أو دليل على صحته، وشأنهم في ذلك شأن من سبقهم من الأمم التي كذبت الرسل فانتقم الله منهم.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ (الزخرف الآية ١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الزخرف الآية ٢٥).

٤-بيان بطلان اعتماد المشركين على التقليد في عقائدهم، من خلال النبي إبراهيم الخليل عليه السلام أشرف آبائهم، حيث تبرأ من دين آبائه متبعًا الدليل وحده، دون ابتاع آبائه وقومه، والرد على شبههم ودعاواهم.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف الآية ٢٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف الآية ٣٣).

٥-بيان حال المعرضين عن ذكر الله، وطعن المشركين في نبوة محمد ﷺ، وتسليته في دعوته، وتوجيهه أن يتمسك بما أُمِر به فهو على صراط مستقيم، وأن القرآن شرف له ولقومه.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ (الزخرف الآية ٣٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف الآية ٤٥).

٦-التذكير بقصتي موسى وعيسى مع أقوامهما، اللذان دعيا إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، إلى أن أقوامهما كفروا وعاندوا فعاقبهم الله، وفي ذلك دعوة إلى قوم محمد ليعتبروا ويتعظوا بما حل بتلك الأقوام. وتسلية للنبي ﷺ عما يلقاه من صدود قومه عن دعوته.

جاء ذلك في إحدى وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الزخرف الآية ٤٦)، إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (الزخرف الآية ٦٦).

٧-وصف نعيم المتقين يوم القيامة، وأنهم في سرور دائم متمتعين بكل ما تشتهيه أنفسهم، ويقابله عذاب المجرمين حيث يتقلبون في عذاب جهنم، فلا يفتر عنهم العذاب، فلا تشفع لهم أصنامهم ولا آلهتهم المزعومة.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف الآية ٦٧)، إلى قوله تعالى:

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (الزخرف الآية ٨٠).

٨–تنزيه الله ﷻ عن الولد والشريك، وأنه المعبود بحق في السماء والأرض، وهو مالكهما ومالك كل شيء في الكون، وأن ما يعبد من دونه ليس له نفع ولا ضر، وأن المشركين متناقضون حين يقرون بأن الخالق هو الله، ثم يعبدون معه غيره، تعالى الله عما يفعلون.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (الزخرف الآية ٨١)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزخرف الآية ٨٩).

وهكذا: نجد أن سورة الزخرف تناولت في مجملها الدعوة إلى الإيمان بالله وحده، وعبادته دون شريك له، والتحذير من الافتتان والركون إلى الدنيا وزخرفها، وذلك من خلال إقامة الأدلة على ذلك، والرد على شبه وأباطيل المشركين، وما ورد في قصص إبراهيم وموسى وعيسى يؤيد ذلك... وهو ما قررناه في مقصود السورة ... والله أعلم.

****

٤٤- سورة الدخان

أولاً: مقصود سورة الدخان:

﴿إنذار المكذبين بالله، وبالقرآن والبعث والجزاء﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الدخان، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفار، وحديث موسى وبني إسرائيل وفرعون، والرد على منكري البعث، وذل الكفار في العقوبة، وعز المؤمنين في الجنة، والمنة على الرسول بتيسير القرآن على لسانه"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإنذار بالهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة، رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تهديد المشركين ببيان ما ينتظرهم من العقوبة العاجلة والآجلة"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٢٤.

(٢) نظم الدرر ١٨/١، ومصاعد النظر ٢/٤٧١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٩٦.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الدخان اسمان، هما:

١- سورة الدخان، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظة "الدخان" فيها، في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ (الآية ١٠).

٢- سورة حم الدخان، بإضافة "حم" الذي بدأت به على اسمها[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما في آية الدخان من دلالة على قدرة الله تعالى بإهلاك المكذبين بالرسول وبالبعث والجزاء.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الدخان تسعًا وخمسين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- بيان أن إنزال القرآن رحمة من الله، وإنذار للناس من العذاب الأليم إذا لم يؤمنوا به وبمن أنزله، الذي ملك السماوات والأرض، المحيي والمميت لكم، وأن العذاب سيحل بالمشركين المكذبين في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يتعرضون لدخان مبين، وفي الآخرة يوم البطشة الكبرى بالعذاب الأليم.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ (الدخان الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (الدخان الآية ١٦).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٤٢٤/١، والتحرير والتنوير ٢٧٥/٢٥.

٢- إنذار المشركين المكذبين بمحمد ﷺ وبالقرآن وبالبعث، بما حلَّ بفرعون وقومه ممن كذبوا نبيهم موسى عليه السلام بإغراقهم، وإنجاء بني إسرائيل، ونصرهم واختيارهم على العالمين، والرد عليهم بأن خالق السماوات والأرض قادر على بعثهم وإهلاكهم كما أهلك غيرهم ممن هو أقوى منهم.

جاء ذلك في ثلاث وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (الدخان الآية ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان الآية ٣٩).

٣- بيان ما يتعرض له الكفار يوم القيامة من فقد الأهل والأعوان، ونوع الطعام والشراب فيها، والعذاب الواقع بهم، ثم ما يقابلهم مما يلقاه المتقون من ألوان النعيم المقيم فضلًا من الله ونعمة، وهذا الوعد والوعيد جاءكم في القرآن الكريم الذي جعله الله سهلًا واضحاً، بينًا جليًا، ميسرًا بلسانكم، لإنذاركم ووعظكم.

جاء ذلك في عشرين آية، من قوله تعال: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الدخان الآية ٤٠)، إلى قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ (الدخان الآية ٥٩).

وهكذا: نجد أن سورة الدخان بما تضمنته من آيات تدور حول إنذار المكذبين بالله وبرسوله، وبالكتاب الذي أنزل عليه، وبالبعث والجزاء.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

٤٥- سورة الجاثية

أولًا: مقصود سورة الجاثية:

﴿الدعوة إلى الإيمان بالله، وتحذير المستكبرين عن قبول الحق، ومتبعي الهوى﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الجاثية، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على أن منزل هذا الكتاب ذو العزة، لأنه لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء"(١).

٢- عبدالله شحاته، حيث قال: "الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والرد على الدهرية الذين لا يؤمنون به وينكرون البعث بعد الموت"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان أحوال الخلق من الآيات الشرعية والكونية، ونقض حجج منكري البعث المتكبرين وترهيبهم"(٣).

---

(١) نظم الدرر ١٨/٥٨، ومصاعد النظر ٢/٤٧٦.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها ١/٣٦٦.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٤٩٩.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الجاثية اسمان، هما:

١- سورة الجاثية، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به، لورود لفظ "جاثية" فيها، في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الآية ٢٨).

٢- سورة الشريعة، لقوله تعالى فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ (من الآية ١٨).

وتسمى سورة حم الجاثية، وسورة الدهر[١].

ودلالة اسمها التوقيفي على مقصودها: لدلالتها على ما يلقاه الناس يوم القيامة حيث يجثو الخلائق من الفزع على ركبهم في انتظار الحساب.

رابعاً: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الجاثية سبعًا وثلاثين آية، تضمنت في مجملها الحديث عمّا يلي:

١- إقامة الأدلة على وجود الله وقدرته ووحدانيته من: الكون، والأنفس، والظواهر الكونية الدال عليها القرآن المنزل من الله العزيز الحكيم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (الجاثية الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية الآية ٦).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٤٢٦/١، ومصاعد النظر ٤٧٥/٢، والتحرير والتنوير ٣٢٣/٢٥.

٢- الوعيد الشديد للأفاك الأثيم، المصر المستكبر المستهزئ بآيات الله، وعن سماعها، جزاء من كان كذلك العذاب الأليم والمهين والعظيم، والرجز الأليم.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الجاثية الآية٨)، إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (الجاثية الآية ١١).

٣- بيان بعض نعم الله العامة الدالة على كمال قدرته، من تسخير السفن، وتسخير ما في السماوات والأرض، ودعوة المؤمنين بالغفران والصبر على المكذبين، وبيان أن جزاء العمل يعود إلى العامل نفسه خيرًا أو شرًا.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الجاثية الآية ١٢)، إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (الجاثية الآية ١٥).

٤- نعم الله على بني إسرائيل بإتيانهم الكتاب والحكم والنبوة والرزق من الطيبات، ومع ذلك اختلفوا في أمر الدين، فهم تحت أمر الله يقضي بينهم يوم القيامة، ثم حذر أمة محمد أن تختلف مثلهم، فالقرآن بين أيديهم ففيه البصائر والهدى والرحمة، فلا يستوي المحسنون والمسيئون في الجزاء في الدنيا والآخرة فكل نفس تجزى ما كسبت.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الجاثية الآية ١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية الآية ٢٣).

٥- بيان بعض مفاسد الكافرين في اعتقاداتهم من: إنكار البعث، وإنكار الإله، ويطالبون بإعادة إحياء آبائهم للدلالة على البعث، والرد عليهم بقدرة الله على الإعادة بناء على قدرته على الإحياء الأول، بل وقدرته على من في السماوات والأرض.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية الآية ٢٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية الآية ٢٧).

٦- بيان مشاهد من أهوال يوم القيامة من الجثو على الركب، والاحتكام إلى ما كتب عليهم، فينقسم الناس إلى فريقين: فريق المؤمنين الطائعين وما أعد لهم من الرحمة والثواب. وفريق الكافرين وما أعد لهم من العقاب، ومعاملتهم معاملة المنسيين بتركهم في النار.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية الآية ٢٨)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجاثية الآية ٣٧)

وهكذا: نجد أن سورة الجاثية بما تضمنته من آيات تحدثت عن الإيمان بالله، والأدلة على قدرته ووحدانيته ﷻ، والوعيد الشديد لكل أفاك مستكبر عن قبول الحق أو متبع للهوى، سواء أشرك، أم أنكر البعث، أم الإله، بقولهم: ما يهلكنا إلا الدهر، وحال الجميع يوم القيامة يوم يجثون على ركبهم ويتوزعون بين طريقي الثواب والعقاب. وهو ما قررناه في مقصود السورة ... والله أعلم.

****

٤٦- سورة الأحقاف

أولًا: مقصود سورة الأحقاف:

﴿الدعوة إلى الإيمان بالله ونبيه، وإنذار المكذبين به بالعقاب الأليم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الأحقاف، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "إلزام الحجة على عبدة الأصنام، والإخبار عن تناقض كلام المتكبرين، وبيان نبوة سيد المرسلين، والوصية بتعظيم الوالدين"[١].

٢- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة"[٢].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان حاجة البشرية للرسالة، وإنذار المعرضين عنها"[٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٢٨.

(٢) نظم الدرر ١٨/١١٨، ومصاعد النظر ٢/٤٨٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٠٢.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الأحقاف اسم واحد هو "سورة الأحقاف"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الأحقاف"[(١)] فيها، في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ (من الآية ٢١)[(٢)].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث ذكر الله فيها قصة عاد الذين سكنوا الأحقاف، وما حصل لهم من عذاب بعد تكذيبهم رسولهم هودًا عليه السلام، وفيها إنذار وتهديد للكافرين المكذبين بمحمد ﷺ من أن يحصل لهم مثل ما حصل لأولئك.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الأحقاف خمسًا وثلاثين آية، تحدثت في مجملها عن الآتي:

١- إقامة الأدلة على وجود الله ووحدانيته، بخلق السماوات والأرض، وما بينهما من سائر المخلوقات بالحق وأجل مسمى وهو يوم القيامة حيث البعث والحساب وتوبيخ من يعبد الأصنام بأنه لا أحد أجهل وأضل منهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ (الأحقاف الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ (الأحقاف الآية ٦).

---

(١) الأحقاف: هي ديار عاد، واحدها: حقف، وهو المستطيل المشرف. وهي رمال بظاهر بلاد اليمن، كانت تنزل بها. ينظر: لسان العرب ١٧٥/٤، مادة "حقف".

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٦/٢٦.

٢- بيان شبهات الكفار حول نبوة محمد ﷺ وما جاء به، فوصفوا القرآن بأنه سحر أو اختلقه محمدًا، ورد الله عليهم بأنه لو افتراه لكان أول المعاقبين، وبأنه ليس بدعًا من الرسل، وليس بأولهم، ولا يعلم الغيب من نفسه، كما أن كتاب موسى قبله دلّ على صدقه وبشّر به، ثم الحديث عن جزاء من آمن به وبما جاء به، بالجنة التي وعدوا بها.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف الآية ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف الآية ١٤).

٣- بيان أن من إخلاص العبادة لله والاستقامة عليه: الوصية بالوالدين، والإحسان إليهما، وبرهما[1]، والبشارة للبار بقبول أعماله، والتجاوز عن سيئاته، وعده في أصحاب الجنة، ويقابله العاق لوالديه وجزاءه المستحق له، ولكل فريق: البار والعاق درجات عند الله.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف الآية ١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧/٢٧٩.

حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (الأحقاف الآية ٢٠).

٤- بيان قصة عاد مع نبيهم هود عليه السلام الذين يسكنون الأحقاف، الذي دعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشرك وعبادة الأصنام، وأنذرهم بالعذاب عدة إنذارات، ولكنهم قاوموا دعوته وطالبوه بالعذاب الذي أنذرهم به، وفوجئوا بالريح المدمرة لكل شيء مرت عليه، وفيها العظة لمشركي مكة وغيرهم ليعتبروا بعاقبة من كذب رسل الله.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأحقاف الآية ٢١)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (الأحقاف الآية ٢٨).

٥- بيان أن من الجن أيضًا من آمن وكفر، فمؤمنهم يثاب وكافرهم يعاقب. ومحمد ﷺ أرسل إلى الثقلين: الإنس والجن، وفي ذلك توبيخ للمشركين من الإنس على عدم إيمانهم، وتسلية للنبي ﷺ عما يلقاه من صدود قومه.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ (الأحقاف الآية ٢٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ

ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (الأحقاف الآية ٣٢).

٦- إقامة الأدلة على البعث والحساب، فالذي خلق السماوات والأرض ولم يعجز عن ذلك قادر على أن يحيي الموتى، وبيان حال الكفار يوم القيامة، وتوجيه النبي ﷺ بالصبر على تكذيب قومه، وعدم الاستعجال بالدعاء على قومه.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (الأحقاف الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥).

وهكذا: نجد أن سورة الأحقاف وما تضمنته من آيات تحدثت في مجملها عن الإيمان بالله ووجوده ووحدانيته، وعن الإيمان بمحمد ﷺ وما جاء به من الوحي المنزل، وخطابه للإنس والجن في دعوته، وأن البر بالوالدين من إخلاص العبادة لله ﷻ. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٤٧- سورة محمد

أولًا: مقصود سورة محمد:

﴿ميزان الأعمال بين المؤمنين والكافرين والمنافقين صلاحًا وبطلانًا﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة محمد، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: التقدم إلى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين، بإدامة الجهاد للكفار"(١).

٢- بن عاشور، حيث قال: "التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد"(٢).

٣- عبدالله شحاته، حيث أشار إلى أن موضوع السورة الرئيس: القتال(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تحريض المؤمنين على القتال تقويةً لهم، وتوهينًا للكافرين"(٤).

---

(١) نظم الدرر ١٨/١٩٤، ومصاعد النظر ٢/٤٨٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦/٧٢.

(٣) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها ٢/٣٣.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٠٧.

ثالثًا: دلال اسمها على مقصودها:

لسورة محمد ﷺ ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة محمد، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود اسمه ﷺ فيها، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (الآية ٢).

٢- سورة القتال، لذكر مشروعية القتال فيها، في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (الآية ٢٠).

٣- سورة الذين كفروا، لافتتاح السورة بهذه اللفظة[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث حثت على الإيمان بمحمد ﷺ، واتباع ما جاء به.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة محمد ثمان وثلاثين آية، شملت ما يلي:

١- بيان أن ميزان قبول الأعمال عند الله: أن تكون خالصة له، فالكفار والصادون عن سبيل الله أعمالهم ضالة باطلة لا ثواب عليها. والمؤمنون العاملون بالصالحات أعمالهم مقبولة مثابون عليها.

---

(١) ينظر: نظم الدرر ١٨/١٩٤، والتحرير والتنوير ٢٦/٧٢.

وإذا التقى الفريقان للقتال جاء التوجيه في كيفية التعامل مع الكافرين وأحوال قتالهم، وما يحصل بعد ذلك، والحكمة في شرع القتال، وثواب المجاهدين في سبيل الله.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (محمد الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (محمد الآية ٩).

٢- العبرة والعظة في النظر في أحوال الأمم السابقة، وحال المؤمنين والكافرين مع الله في الدنيا، وأن الله لم يعجزه قوة ونفوذ تلك الأمم عن عذاب الكافرين لما كذبوا رسلهم، وحالهم في الآخرة: النعيم للمؤمنين، والخلود في النار للكافرين.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ (محمد الآية ١٠)، إلى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ (محمد الآية ١٥).

٣- بيان حال المنافقين والمؤمنين عند نزول الآيات. فالمنافقون عند نزول الآيات العلمية مع الكفار ومنهم. يستمعون القرآن ولا ينتفعون به،

وتوعدهم الله بقرب مجيئ الساعة بغتة. والمؤمنون المهتدون: يستمعون ويفهمون ويعملون بما علموا، وأن عليهم الثبات الاستغفار.

وعند نزول الآيات العملية التي تدعو إلى قتال الكفار، المنافقون: لا يعلمون ولا يعملون. والمؤمنون: يعلمون ويعملون، لهذا جوزي المنافقون باللعن والطرد من رحمة الله، والمؤمنون بالرضا والجنة.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ (محمد الآية ١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ (محمد الآية ٢٣).

٤- التوبيخ للمنافقين لعدم تدبرهم للقرآن وجعل أقفالًا على قلوبهم وارتدادهم على أدبارهم بعد ما تبين لهم الهدى، وبيان حالهم عند قبض أرواحهم، وقدرة الله على فضحهم، والتذكير بحكمة الجهاد وغيره وأنه للابتلاء والاختبار.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد الآية ٢٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد الآية ٣١).

٥- بيان حال من كفر وصد عن سبيل الله بعد معرفته الحق ومات على ذلك، بإحباط أعمالهم وعدم مغفرة الله لهم، وعلى المؤمن أن يكون في

عزة وقوة فهو الأعلى دائمًا، والحياة الدنيا دار ممر ولعب ولهو، والعبرة بالإيمان والتقوى، والتحذير من البخل والتولي عن طاعة الله.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (محمد الآية ٣٢)، إلى قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ (محمد الآية ٣٨).

وهكذا: نجد أن سورة محمد ﷺ، بينت في مجملها أن ميزان الأعمال عند الله تعالى هي الخلوص له، وسماع القرآن سماع علم وتدبر وعمل، وهذا الفارق بين المؤمنين وغيرهم من الكفار والمنافقين... وهو ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

****

٤٨- سورة الفتح

أولًا: مقصود سورة الفتح:

﴿الثبات على الإيمان، والصدق مع الله ورسوله، سببان لرضوان الله ونصره وتمكينه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الفتح، ومن هؤلاء:

١- المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، حيث قالا: "أنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "ومقصودها: مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وما تَقَدَّمَه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما" ثم قال: "يجمعه كله: إظهار الدين على الدين كله"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تبشير النبي والمؤمنين بالفتح والتمكين"(٣).

---

(١) الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٥٩/٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٠٧/٧، وعزاه للحاكم وابن إسحاق والبيهقي.

(٢) نظم الدرر ٢٧٣/١٨، ومصاعد النظر ٤٩٢/٢.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥١١.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الفتح اسمان، هما:

١- سورة الفتح، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لقوله تعالى: في أولها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الآية ١).

٢- سورة إنا فتحنا لك فتحًا مبينا، لافتتاحها به[(١)].

ودلالة اسمها على مقصودها: لأن الله ﷻ فتح بصلح الحديبية فتوحًا كثيرة، وهو بنفسه فتح مبين، قال البقاعي: "مدلول اسمها يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما"[(٢)].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الفتح تسعًا وعشرين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- فضل الله على نبيه وعلى المؤمنين بسبب الفتح العظيم، وهو صلح الحديبية، على النبي: بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإتمام النعمة عليه، والهداية إلى الصراط المستقيم، والنصر المؤزر.

وعلى المؤمنين: بإنزال السكينة في قلوبهم، وزيادة إيمانهم، ودخولهم الجنات، وتكفير السيئات. وأثره على المنافقين والمشركين: بالعذاب الأليم، وغضب الله، والطرد من رحمة الله، ودخولهم جهنم.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٤٣٢، والتحرير والتنوير ٢٦/١٤١.

(٢) نظم الدرر ١٨/٢٧٣.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح الآية ٧).

٢- التنويه ببيعة المؤمنين للرسول ﷺ واعتبارها بيعة الله، لأن طاعة الرسول المرسل بالبشارة والنذارة، والإيمان بما جاء به هي طاعة لله تعالى في الحقيقة.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح الآيات ٨، ٩، ١٠).

٣- بيان حال الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ عام الحديبية، وسوء ظنهم بالله، فحرموا من خيرات وفضائل هذا الفتح، وأن تخلفهم تخلف نفاق ما عدا أهل الأعذار منهم: الأعمى، والأعرج، والمريض، فليس عليهم حرج في تخلفهم.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ (الفتح الآية ١١)، إلى قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الفتح الآية ١٧).

٤- رضوان الله ﷻ على من حضروا بيعة الرضوان، وإنزال السكينة والطمأنينة على قلوبهم، وإثابتهم مغانم عاجلة (غنائم خيبر)، ومغانم أخرى غيرها، وخير الله وقدرته لا تحصى، ومنة الله على المؤمنين بكف أيد الكافرين عنهم، وحكمته ﷻ في الصلح عمومًا.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح الآية ١٨)، إلى قوله تعالى: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح الآية ٢٦).

٥- تأكيد صدق رؤيا الرسول ﷺ بدخول مكة، وهو ما تحقق في العام القابل لصلح الحديبية، ووصف الرسول ﷺ بأن أرسله الله بالهدى ودين الحق، وبالرسالة، وأن المرسل إليهم من الصحابة بالشدة على الأعداء، والرحمة بالمؤمنين، وكثرة العبادة، والحرص على الثواب والرضا من الله، وبيان صفتهم بالتوراة والإنجيل.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا

تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩).

وهكذا: نجد أن سورة الفتح تحدثت عن صلح الحديبية، ودعت إلى الثبات على الإيمان، والصدق مع الله ورسوله، والثقة بهما، وأن ذلك موصل إلى رضى الله ونصره وتمكينه عاجلًا أو آجلًا. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٤٩- سورة الحجرات

أولًا: مقصود سورة الحجرات:

﴿الإرشاد إلى مكارم الأخلاق مع الله، ومع رسوله، ومع المجتمع﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الحجرات، ومن هؤلاء:

١- الفخر الرازي، حيث قال: "هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي: إما مع الله، أو مع الرسول ﷺ، أو مع غيرهما من أبناء الجنس"[١].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي ﷺ بالأدب معه في نفسه وفي أمته"[٢].

٣- عبدالله شحاته، حيث قال: "هذه سورة الآداب العامة، ومكارم الأخلاق، والتهذيب والتأديب"[٣].

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: معالجة اللسان، وبيان أثره على إيمان الفرد وأخلاق المجتمع"[٤].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١١٨/٢٨.

(٢) نظم الدرر ٣٤٩/١٨، ومصاعد النظر ٦/٣.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ٧٩/٢.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥١٥.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الحجرات، اسمان، هما:

١- سورة الحجرات، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الحجرات" فيها، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الآية ٤).

٢- سورة الأخلاق، لما فيها من الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، وهو أقرب إلى أن يكون وصفًا لها[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما فيها من الأدب مع النبي ﷺ، وخفض الصوت عنده، وذم من يناديه من وراء حجرات نسائه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الحجرات ثمان عشرة آية، شملت في مجملها ما يلي:

١-وجوب طاعة الله ورسوله، وعدم التقدم بقول أو حكم قبل قضائهما، والتأدب في الخطاب مع النبي ﷺ بخفض الصوت عنده وعدم رفعه بما يخل بالأدب معه، والامتناع عن مناداته وقت راحته.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات الآية ١)، إلى قوله

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٤٣٥/١، ومصاعد النظر ٦/٣، والتحرير والتنوير ٢١٣/٢٦.

تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات الآية ٥).

٢-تقوية دعائم المجتمع وبناؤه على الأخلاق الفاضلة ومن ذلك:

- التثبت في نقل الأخبار، والتحذير من الاعتماد على مجرد الأقوال، (الآيات ٦-٨).
- الدعوة إلى الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين، (الآيتان ٩-١٠).
- التحذير من السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، (الآية ١١).
- التحذير من الظن السيء، وتتبع عورات الناس، والتنفير من الغيبة والنميمة بين المسلمين، (الآية ١٢).
- النهي عن التفاخر بالأحساب والأنساب، (الآية ١٣).

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات الآية ٦)، إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات الآية ١٣).

٣-بيان أن الإيمان الصحيح مبني على العمل، والتصديق، والقول، وأن على المؤمن أن لا يمنّ بإيمانه على الله، بل الله يمن عليه بتوفيقه للهداية.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات الآية ١٤)، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحجرات الآية ١٨).

وهكذا: نجد أن سورة الحجرات شملت آياتها الحديث عن مكارم الأخلاق، والدعوة إليها سواء مع الله تعالى، أم مع رسوله ﷺ، أم مع المسلم نفسه، أم مع المجتمع، وهو ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

****

٥٠- سورة ق

أولًا: مقصود سورة ق:

﴿إثبات البعث والجزاء يوم القيامة﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة ق، ومن هؤلاء:

١- ابن القيم، حيث قال: " فمن ذلك "ق"، والسورة مبنية على الكلمات القافية، من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارًا والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين قول العبد، وذكر الرقيب، وذكر السائق والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعيد، وذكر المتقين، وذكر القلب والقرون، والتنقيب في البلاد، وذكر القيل مرتين، وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل والرزق، وذكر القوم، وحقوق الوعيد، ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة.

وسر آخر: وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تصديق النبي ﷺ في الرسالة التي معظمها الإنذار بيوم الخروج" وقال: "الدلالة على إحاطة القدرة من إحاطة العلم لبيان أنه لا بد من البعث ليوم الوعيد"(٢).

---

(١) بدائع الفوائد ١٧٤/٣.

(٢) نظم الدرر ٣٩٦/١٨، ومصاعد النظر ١٤/٣.

٣- عبدالله شحاته، حيث قال: "عنيت بسوق الحجج، والأدلة على قدرة الله على تأكيد البعث والجزاء"[(١)].

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: وعظ القلوب بالموت والبعث"[(٢)].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة ق، ثلاثة أسماء هي:

١- سورة ق، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاح السورة به.

٢- سورة ق والقرآن العظيم، لافتتاحها به في قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ (الآية ١).

٣- سورة الباسقات، لورود هذه اللفظة فيها، في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ (الآية ١٠)[(٣)].

ودلالة اسم السورة على مقصودها: كما قال ابن القيم: "وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح"[(٤)].

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢/٩٧.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥١٨.

(٣) ينظر: جمال القراء ١/٣٧، ومصاعد النظر ٣/١٣، والاتقان ١/١٩٤، والتحرير والتنوير ٢٦/٢٧٣.

(٤) بدائع الفوائد ٣/١٧٤.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة ق خمسًا وأربعين آية، شمل الحديث فيها عن الآتي:

١- إنكار المشركين للبعث والنشور، وتعجبهم من ذلك، والرد عليهم بأدلة خمسة هي:

- علم الله بمصير الأجساد بعد موتها.
- خلق السماء بغير عمد وتزيينها بالكواكب.
- خلق الأرض الممتدة وتثبيتها بالجبال الرواسي، والإنبات فيها من كل زوج بهيج.
- إحياء الأرض الميتة بالغيث.
- إهلاك الأمم السابقة بعقابهم بأنواع من العذاب، وذكر منهم في هذه السورة: قوم نوح، وأصحاب الرس، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع.

وختم ذلك بالاستفهام الإنكاري بأن القادر على ابتداء الخلق قادر على إعادة الخلق مرة أخرى.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ (ق الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ (ق الآية ١٥).

٢- بيان علم الله ﷻ بالإنسان ما يظهره وما يبطنه، وعظيم قدرته على بدء خلقه وإعادته، وأحواله عمومًا في الدنيا والآخرة.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق الآية ١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق الآية ٢٢).

٣- الحوار بين الكافر بالله وقرينه يوم القيامة، وكل منهما يلقي التبعة على الآخر، ويظهر كيفية استقبال النار لكل كفار عنيد.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ (ق الآية ٢٣)، إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (ق الآية ٣٠).

٤- بيان حال المؤمنين المتقين، وكيف تزلف الجنة لهم غير بعيد.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (ق الآية ٣١)، إلى قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق الآية ٣٥).

٥- الوعيد لمنكري البعث بأن يحل بهم ما حلّ بالأمم قبلهم من العذاب في الدنيا، والتأكيد على قدرة الله على البعث بخلق السماوات والأرض مع تنزيهه عن العناء والتعب.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق الآيات ٣٦، ٣٧، ٣٨).

٦- التوجيه الإلهي للنبي ﷺ بالصبر على من ينكر البعث، وبتنزيه الله عن كل نقص، وأن موعد البعث اقترب، ومتابعة ما أرسل من أجله في تبليغ وإنذار الناس، والتذكير بالقرآن من يخاف وعيد.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق الآية ٣٩)، إلى قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق الآية ٤٥).

وهكذا: نجد أن سورة ق تضمنت آياتها الحديث عن البعث والحساب، والمؤمنين به، والمنكرين له، وجزاء كل فريق.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٥١- سورة الذاريات

أولًا: مقصود سورة الذاريات:

﴿صدق وعد الله بوقوع البعث والحساب﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الذاريات، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على صدق ما أنذرت به سورة ق تصريحًا، وبشرت به تلويحًا، ولا سيما آخرها من مُصاب الدنيا وعذاب الآخرة"[(١)].

٢- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تعريف الجن والإنس بأن مصدر رزقهم من الله وحده؛ ليخلصوا له العبادة"[(٢)].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الذاريات اسم واحد هو: سورة الذاريات، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بالقسم بالذاريات[(٣)].

---

(١) نظم الدرر ١٨/٤٤٤، ومصاعد النظر ٣/٢٤.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٢٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/٣٣٥.

ودلالة اسمها على مقصودها: لأن الله ﷻ أقسم بالذاريات، وهي الرياح تذرو التراب وغيره على وقوع البعث، حيث جواب القسم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (الآية ٥).

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الذاريات ستين آية، شملت في مجملها ما يلي:

١- قسم الله على وقوع البعث بأربعة أمور: الرياح المحركة للأشياء، والسحب التي تحمل الماء، والسفن التي تجري على الماء، والملائكة التي تقسم الأرزاق. وبيان حال المنكرين له.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ (الذاريات الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الذاريات الآية ١٤).

٢- بيان جزاء المتقين المؤمنين بالله وبالبعث، ووصفهم، وبعض الأدلة على قدرته ﷻ على البعث: في الأرض، والأنفس، والسماء.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الذاريات الآية ١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات الآية ٢٣).

٣- عرض قصص لأنبياء مع أقوامهم:

- قصة إبراهيم عليه السلام وضيفه، ومهمتهم في إهلاك قوم لوط، (الآيات ٢٤- ٣٧).
- قصة موسى عليه السلام، وما حلّ بفرعون من الغرق، (الآيات ٣٨-٤٠).
- قصة عاد، وثمود، وقوم نوح، وما حل بهم من العذاب، (الآيات ٤١- ٤٦).

ويبرز فيها:

- العظة والعبرة بما حلّ بالأمم السابقة.
- بيان قدرة الله بعقاب من لا يؤمن به، وينكر البعث والحساب والجزاء.
- تسلية النبي ﷺ بأن غيره من الأنبياء أوذوا من أقوامهم، وأعرضوا عن دعوتهم، وأنكروا البعث والحساب.

جاء ذلك في ثلاث وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات الآية ٢٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الذاريات الآية ٤٦).

٤- إقامة الأدلة على قدرة الله تعالى الدالة على وحدانيته، واستحقاقه للعبادة وحده.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات الآية ٤٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات الآية ٥١).

٥- الوعيد للمشركين المكذبين بمحمد ﷺ، وتوجيهه بالإعراض عنهم، وتذكيرهم ووعظهم بالقرآن، وبيان الغاية من خلقهم، وغنى الله عنهم.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ (الذاريات الآية ٥٢)، إلى قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (الذاريات الآية ٦٠).

وهكذا: نجد أن سورة الذاريات تتحدث في مجملها عن البعث ووقوعه، والأدلة عليه، والوعيد للمنكرين له، والتذكير بما حل بمن أنكره.. وهو ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

****

٥٢- سورة الطور

أولًا: مقصود سورة الطور:

﴿إثبات البعث في اليوم الآخر، ووقوع الحساب والجزاء فيه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الطور، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "القسم بعذاب الكفار، والإخبار عن ذلهم في العقوبة، ومنازلهم من النار، وطرب أهل الجنة بثواب الله الكريم الغفار، وإلزام الحجة على الكفرة الفجار، وبشارتهم قبل عقوبة العقبى بعذابهم في هذه الدار، ووصية سيد رسل الأبرار بالعبادة والاصطبار"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تحقيق وقوع العذاب"(٢).

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الحجج والبراهين لرد شبهات المكذبين للنبي ﷺ"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الطور اسم واحد هو: "سورة الطور" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٤١.

(٢) نظم الدرر ١٩/١، ومصاعد النظر ٣/٢٨.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٢٣.

(٤) ينظر مصاعد النظر ٣/٢٧، والتحرير والتنوير ٢٧/٣٥..

ودلالة اسمها على مقصودها: لإقسام الله ﷻ بالطور[١] على أن العذاب واقع على المكذبين باليوم الآخر.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الطور تسعًا وأربعين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- إقسام الله ﷻ بوقوع العذاب على الكافرين المكذبين بيوم القيامة، وما يصاحبه من مَوْر السماء وسير الجبال.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ (الطور الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الطور الآية ١٦).

٢- وصف حال المتقين، ومنازلهم ومنزلتهم يوم القيامة.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (الطور الآية ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور الآية ٢٨).

٣- التوجيه الإلهي للنبي ﷺ بمتابعة التذكير، إنذارًا للكافرين، وتبشيرًا للمؤمنين، ونفي ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون. وإقامة الدليل على صدقه، وإثبات وجود الخالق جل وعلا وتوحيده بالأنفس والآفاق.

---

(١) الطور: هو الجبل الذي أوحى الله ﷻ عنده لنبيه موسى عليه السلام لينذر قومه.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (الطور الآية ٢٩)، إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الطور الآية ٤٣).

٤- التأكيد على أن عذاب المكذبين حق وواقع بهم، ودعوة النبي ﷺ للصبر على مساوئهم ومكائدهم، والإقبال على طاعة الله وذكره في جميع الأوقات.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (الطور الآية ٤٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ (الطور الآية ٤٩).

وهكذا: نجد أن سورة الطور شملت آياتها الحديث عن اليوم الآخر، لبعث الناس والحساب والجزاء فيه، والدعوة للاستعداد له... وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٥٣- سورة النجم

أولًا: مقصود سورة النجم:

﴿بيان صدق الوحي، الذي جاء بتحقيق التوحيد ونبذ الشرك﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النجم، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: ذم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاد إلى الدنيا التي هي دار الكدور والبلاء، والتصرم والفناء، ومدح العلم لإثماره الهدى في الإقبال على الأخرى، لأنها دار البقاء في السعادة أو الشقاء(١).

٢-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إثبات صدق الوحي وأنه من عند الله"(٢).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة النجم اسم واحد هو "سورة النجم"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بقسم الله بالنجم(٣).

---

(١) نظم الدرر ١٩/٤٠، ومصاعد النظر ٣/٣٥.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٢٦.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٤٤٣، التحرير والتنوير ٢٧/٨٧.

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث أقسم الله بالنجم على أن الوحي والعلم الذي يتلقاه النبي ﷺ عن ربه حق، وأن حقيقة التوحيد حق، وما عداه ضلال وجهل.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة النجم اثنتين وستين آية، شملت في مجملها ما يلي:

١- إقسام الله ﷻ بالنجم إذا هوى على إثبات نبوة محمد ﷺ، وصدق الوحي إليه، ووصف تلقيه له.

جاء ذلك في ثمان عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (النجم الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ (النجم الآية ١٨).

٢- إقامة الأدلة على توحيد الله، ومنع الإشراك به، وتوبيخ وتقريع المشركين الذين اتخذوا أصنامًا لا تنفع ولا تضر، وذمهم على تسمية الملائكة تسمية الأنثى، وأن الله سيجازيهم على زعمهم وفساد معتقدهم، فهو المالك للسماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما، العادل بجزائه، العالم بخلقه من اتقى ومن عصى.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾ (النجم الآية ١٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (النجم الآية ٣٢).

٣- ذم وتوبيخ من تولى عن طاعة الله، وتذكيره بما في صحف إبراهيم وموسى من تقرير أن الإنسان يتحمل ذنب نفسه، وليس له إلا ما عمله، والتأكيد على قدرة الله تعالى بخلقه الإنسان متصفًا بالضحك والبكاء، والموت والحياة، ومن الذكر والأنثى، والنشأة والإعادة، والغنى والفقر، ورب ما يعبدون من أصنام وكواكب، وإهلاك قوم عاد، وقوم صالح، وقوم نوح، وقوم لوط بمختلف أنواع العذاب والإهلاك.

جاء ذلك في اثنتين وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ (النجم الآية ٣٣)، إلى قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ (النجم الآية ٥٤).

٤- التحذير من اقتراب وأهوال يوم القيامة، والتوبيخ لمن جحد نعم الله، وأنكر القرآن، وكذبه، وفرَّط بما جاء به.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ (النجم الآية ٥٥)، إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ (النجم الآية ٦٢).

وهكذا: نجد أن سورة النجم تحدثت في مجملها عن وحي الله ﷻ إلى رسوله ﷺ، وتلقيه له بتمكن ودقة، وأن هذا الموحى به دل على صدق الرسول ﷺ ووجود الله وتوحيده، وعدم الإشراك به، وذم من عصى الله ولم يؤمن بوحيه، وتذكيرهم بما حل بمن كذب برسل الله وما جاؤا به.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٥٤- سورة القمر

أولًا: مقصود سورة القمر:

﴿الوعيد لمن لم يؤمن بالله وبرسوله واليوم الآخر﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة القمر، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان.. أمر الساعة، من تحققها، وشدة قربها، وتصنيف أهلها.. إلى طالب علم مهتد به فهو فائز، وإلى مُتْبعٍ نفسَهُ شهواتها، ضال بإهمالها فهو خائب"(١).

٢- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التذكير بنعمة تيسير القرآن وما فيه من الآيات والنذر"(٢).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة القمر ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة القمر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لذكر القمر وانشقاقه فيها، في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ (الآية ١).

٢- سورة اقتربت الساعة، لافتتاحها بهذين اللفظين.

---

(١) نظم الدرر ٨٦/١٩، ومصاعد النظر ٣٩/٣، ٤٠.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٢٨.

٣- سورة اقتربت، لافتتاحها به، وهو اختصار لما قبله[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث تحدثت عن معجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ، حينما طلب منه قومه آية، وهذه المعجزة من أقوى الأدلة على الإيمان بآيات الله التي أيَّد بها نبيه محمد ﷺ.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة القمر خمسًا وخمسين آية، شملت ما يلي:

١- إنذار المكذبين بالآية التي طلبوها وهي: انشقاق القمر، لكي يؤمنوا بالبعث والحساب والجزاء الأخروي، وقالوا عنها: إنها سحر، والتوجيه الإلهي للنبي ﷺ بالإعراض عنهم، وأن موعدهم يوم القيامة للحساب.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ (القمر الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر الآية ٨).

٢- عرض قصص الأمم المكذبة رسلها:

- قصة قوم نوح الذين أغرقهم الله بالطوفان، (الآيات ٩-١٧).
- قصة عاد قوم هود الذين أرسل عليهم ريحًا صرصرًا اقتلعتهم من الأرض، (الآيات ١٨-٢٢).

---

(١) ينظر: جمال القراء ١/٣٧، ونظم الدرر ١٩/٨٦، والاتقان ١/١٩٤.

- قصة ثمود قوم صالح الذين أرسل عليهم صيحة جبريل، (الآيات ٢٣-٣٢).
- قصة قوم لوط الذين أرسل عليهم ريحًا ترميهم بالحصباء، (الآيات ٣٣-٤٠).
- قصة آل فرعون الذي أهلكهم بالغرق، (الآيتان ٤١-٤٢).

وفي هذه القصص من الدلالات ما يلي:

- قدرة الله تعالى على إهلاك الأمم المكذبة رسلها، وإرسال آياته التي أيد بها أنبياءه.
- ذكر الله بعد كل قصة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ ليؤكد الدعوة إلى الإيمان بالقرآن وبالمعجزة التي أيد الله بها نبيه محمد ﷺ.
- الوعيد للمشركين المكذبين رسولهم محمد ﷺ وبمعجزة انشقاق القمر.
- التأكيد على أن حال الرسول ﷺ كحال الرسل المتقدمين مع أقوامهم.

جاء ذلك في أربع وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾ (القمر الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ (القمر الآية ٤٢).

٣-توبيخ المشركين المكذبين بآيات الله، وأن مصيرهم وسيصيبهم مثل ما أصاب غيرهم من العذاب السعير إن استمروا على كفرهم وضلالهم. وإن هم آمنوا واتقوا فلهم جنات ونهر.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ (القمر الآية ٤٣)، إلى قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر الآية ٥٥).

وهكذا: نجد أن سورة القمر، وما تضمنته آياتها تتحدث عن الإيمان بالله، وبرسوله، وما جاء به من آيات، وباليوم الآخر، وقرب قيام الساعة، والوعيد لمن كذب بذلك. وهو ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

****

٥٥- سورة الرحمن

أولًا: مقصود سورة الرحمن:

﴿آلاء الله ونعمه من رحمته بخلقه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الرحمن، ومن هؤلاء:

١-الفخر الرازي، فقال عن سورة الرحمن: "هذه السورة: سورة إظهار الرحمة"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على عظيم الملك، وتمام الاقتدار، بعموم رحمته، وسبقها لغضبه"(٢)، وقال أيضًا: "فمقصودها بالذات: إثبات الاتصاف بعموم الرحمة، ترغيبًا في إنعامه، بمزيد امتنانه، وترهيبًا من انتقامه، بقطع إحسانه"(٣).

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تذكير الجن والإنس بنعم الله الباطنة والظاهرة، وآثار رحمته في الدنيا والآخرة"(٤).

---

(١) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ٨٣/٢٩.

(٢) نظم الدرر ١٣٩/١٩، ومصاعد النظر ٤٥/٣.

(٣) مصاعد النظر ٤٥/٣.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٣١.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الرحمن ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة الرحمن: وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بهذا الاسم الكريم.

٢- سورة عروس القرآن، وهو وصف وثناء لها بما تضمنته من نعم وآلاء.

٣- سورة الرفرف، أخذًا من قوله تعالى فيها: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (الآية ٧٦)[١].

ودلالة اسمها الرحمن على مقصودها: لما تضمنته من آلاء ونعم، تدل على رحمته ﷻ بخلقه من الإنس والجن.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الرحمن ثمان وسبعين آية، تحدثت في مجملها عن الآتي:

١-بيان أنواع الآلاء والنعم على الخلق إنسها وجنها في الدنيا، ومن ذلك:

إنزال القرآن، وخلق الإنسان وتعليمه، وتسخير ما في هذا الكون من الشمس والقمر، والنجم والشجر، والسماء والأرض، والميزان للعدل بين الخلق، كل ذلك لخدمة خلقه، ونعمه في أصل خلق الإنسان والجان، ونعمه في الأرض وفي البحر، ثم فناء النعم والكون، ولا يبقى سوى الله ذي الجلال والإكرام، الغني عما سواه، لمجازاة الإنس والجان وحسابهم يوم القيامة، ولا مناص ومهرب ولا امتناع منه.

---

(١) ينظر: مصاعد النظر ٤٤/٣، والاتقان ١٩٥/١، والتحرير والتنوير ٢٢٧/٢٧.

جاء ذلك في ست وثلاثين آية، من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (الرحمن الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن الآيتان ٣٥، ٣٦).

٢-بيان أنواع الآلاء والنعم على الخلق إنسها وجنها في الآخرة، ومن ذلك:

وصف حال العالم وما فيه من تغير وتبدل، ووصف مصير المجرمين وعلاماتهم، ثم أنواع نعمه على المتقين الأبرار الذين يخافون ربهم في السر والعلن، ووصف الجنات المعدة لهم.

جاء ذلك في اثنتين وأربعين آية، من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ (الرحمن الآية ٣٧)، إلى قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن الآية ٧٨).

تنبيه:

ومما ينبه عليه في هذه السورة: أن قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وردت إحدى وثلاثين مرة بعد كل نعم وآلاء أنعمها الله على خلقه، من باب:

- التقرير والتأكيد على تلك النعم.
- أن إيراد مصير المجرمين، وثواب المتقين بين الآلاء والنعم من عدل الله ورحمته بالجميع، ولتمييز من يشكر ويكفر بها، وبموجدها.
- الثناء على الله وتمجيده على ما تفضل به من نعم وآلاء.

- أن صاحب هذه النعم والرحمة والخلق هو وحده المستحق للعبادة.

وهكذا: نجد أن سورة الرحمن، وما تضمنته من آيات تدور في مجملها حول آلاء الله ونعمه على خلقه إنسها وجانها في الدنيا والآخرة، ورحمته ﷻ بخلقه... وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٥٦- سورة الواقعة

أولًا: مقصود سورة الواقعة:

﴿تحقيق وقوع القيامة، وأصناف الناس فيها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الواقعة، ومن هؤلاء:

١- مسروق بن الأجدع[١]، وقال: "من أراد أن يعلم نبأ الأولين ونبأ الآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة"[٢].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن: الأولياء من السابقين واللاحقين، والأعداء المشاققين من المضارحين والمنافقين من الثقلين"[٣].

٣- بن عاشور، حيث قال: "التذكير بيوم القيامة، وتحقيق وقوعه"[٤].

---

(١) مسروق بن الأجدع، تابعي جليل ثقة، من أهل اليمن كان أعلم بالفتيا من شريح، توفي سنة ٦٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/٦٣.

(٢) الأثر أورده مكي بن أبي طالب في الهداية ١١/٧٢٥٢، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٩٤.

(٣) نظم الدرر ١٩/١٩٥، ومصاعد النظر ٣/٥٢.

(٤) التحرير والتنوير ٢٧/٢٨٠.

٤- عبدالله شحاته، حيث قال "تصف أهداف القيامة، ومشاهد الآخرة، وتؤكد وقوع العذاب للمكذبين، ووقوع النعيم للمؤمنين"[١].

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان أحوال العباد يوم المعاد"[٢].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الواقعة اسم واحد، هو "سورة الواقعة"، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بلفظ الواقعة، وهي القيامة[٣].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما فيها من الحديث عما يقع يوم القيامة. قال المهائمي: لأنها مملوءة بوقائع القيامة، التي هي الواقعة العظمى لوقوعها في أشد الأحوال"[٤].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الواقعة ستًا وتسعين آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١-عرض بعض أهوال يوم القيامة، وأن الناس فيها على ثلاثة أصناف:

- السابقون، وأنوع النعيم الذي يتمتعون به، (الآيات ١٠-٢٦).
- أصحاب اليمين، وأوصاف نعمهم، (الآيات ٢٧-٤٠).

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢/١٧٧.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٣٤.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٧/٢٧٩.

(٤) تفسير المهائمي ٣/٣٥٠.

- أصحاب الشمال، وأنواع العذاب الذي يلقونه وسبب ذلك، (الآيات ٤١-٥٦).

جاء ذلك في ست وخمسين آية، من قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ (الواقعة الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الواقعة الآية ٥٦).

٢-إقامة الأدلة على حقيقة ووقوع البعث والحساب والجزاء يوم القيامة: بالخلق، والزرع، والماء، والنار. وذكر بعد كل دليل ما يمكن أن يأتي عليه ويفسده، مما دل على أن من قدر على هذه الأمور قادر على إخراج الناس من الأرض وإحيائهم، وبعثهم للحساب والجزاء.

جاء ذلك في ثمان عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (الواقعة الآية ٥٧)، إلى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الواقعة الآية ٧٤).

٣-إقامة الأدلة على صدق القرآن، وتعظيم شأنه، الذي جاء بإثبات القيامة والبعث، وتوبيخ المشركين على موقفهم منه ومن البعث.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ (الواقعة الآية ٧٥)، إلى قوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (الواقعة الآية ٨٧).

٤-التأكيد على مصير الخلق بأصنافهم الثلاثة وهم:

- السابقون المقربون: ببشارتهم بالروح والريحان وجنات النعيم.

- أصحاب اليمين: بالسلام والأمن.
- أصحاب الشمال: في الحميم والجحيم.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الواقعة الآية ٨٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة الآية ٩٦).

وهكذا: نجد أن سورة الواقعة بمجمل آياتها تتحدث عن القيامة ووقوعها والأدلة على ذلك، وأصناف الناس فيها. وهو ما قررناه في مقصود السورة... والله أعلم.

****

٥٧- سورة الحديد

أولًا: مقصود سورة الحديد:

﴿الدعوة إلى الإيمان بالله، والإنفاق في سبيله، وتسخير الحديد لنصرة دينه وإعلاء كلمته﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الحديد، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: الإشارة إلى تسبيح جملة المخلوقين والمخلوقات في الأرض والسماوات، وتنزيه الحق تعالى في الذات والصفات، وأمر المؤمنين بإنفاق النفقات والصدقات، وذكر حيرة المنافقين والمنافقات، في صحراء العرصات، وبيان خسة الدنيا وعز الجنات، وتسلية الخلق عند هجوم النكبات والمصيبات"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان أن عموم الرسالة مناسب لعموم الإلهية بالبعث، لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال تحقيقًا لتنزهه عن كل شائبة نقص"(٢).

٣-عبدالله شحاته، حيث قال: "تعالج التقوى والصدق والإيمان، وتحث على الصدقة والبذل والإخلاص في التضحية، وتحذر من غرور الدنيا وفتنتها"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٥٣.

(٢) نظم الدرر ١٩/٢٥٠، ومصاعد النظر ٣/٥٩.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢/١٩٥.

٤-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الترقي بالنفوس للإيمان والإنفاق في سبيل الله"(١).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الحديد اسم واحد هو: "سورة الحديد" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الحديد" فيها، في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ (من الآية ٢٥)(٢).

ودلالة اسمها على مقصودها: لبيان أن الحديد المنزل من الله، لنصرة دينه ورسله.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الحديد تسعًا وعشرين آية، شملت ما يلي:

١-إظهار عظمة الله تعالى وعلمه وقدرته، واستحقاقه للحمد والشكر والتسبيح من كل شيء في الأرض والسماء.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحديد الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الحديد الآية ٦).

٢-الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله، والإنفاق في سبيله، وبيان فضله، والحث عليه.

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٣٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٥٣/٢٧.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ (الحديد الآية ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (الحديد الآية ١٢).

٣-بيان حال المنافقين يوم القيامة، حيث يلتمسون عون المؤمنين، يوم لا ينفع استجداء، وكلٌ يحاسب على حسب عمله.

جاء ذلك في ثلاث آيات: وهي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (الحديد الآيات ١٣، ١٤، ١٥).

٤-دعوة المؤمنين إلى الخشوع والخشية من ذكر الله ، وتحذيرهم من قسوة القلوب، وبيان الفرق بين جزاء المتصدقين من المؤمنين وجزاء الكافرين.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ (الحديد الآية ١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحديد الآية ١٩).

٥-بيان حقارة الدنيا وكمال الآخرة، والحث على ما يوصل إلى مغفرة الله ورضوانه والفوز بالنعيم المقيم، وأن المصائب والبلايا معلقة بقضاء الله وقدره، وأن على المؤمن أن لا يحزن على ما فاته من نعيم الدنيا، ولا يفرح بطرًا بما آتاه منها.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد الآية ٢٠)، إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحديد الآية ٢٤).

٦-بيان الغاية من إرسال الرسل، المؤيدين بالمعجزات، لتبليغ الوحي، وإقامة العدل والقسط بين الناس، والاستفادة مما أنزله الله من منافع، وأن رسالتهم واحدة، والأجر والثواب واحد، لكل من آمن بالرسل المتقدمة، والوعد لمؤمني أهل الكتاب بمحمد ﷺ مع الأنبياء قبله بمضاعفة الثواب، ويجعل الله لهم نورًا ويغفر ذنوبهم.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ

بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد الآية ٢٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد الآية ٢٩).

وهكذا: نجد أن سورة الحديد بما تضمنته من الآيات تدعو إلى الإيمان بالله تعالى المستحق للحمد والشكر والتسبيح من جميع خلقه، والإنفاق مما وهبه الله وأنعم به على خلقه، والإيمان برسله الذين أرسلوا لهداية الخلق وتبليغهم شرع الله.. وهو ما قررناه في مقصود السورة ... والله أعلم.

****

٥٨- سورة المجادلة

أولًا: مقصود سورة المجادلة:

﴿تمام علم الله، وكمال قدرته، والتوجيه بالتزام حدوده وأحكامه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المجادلة، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان حكم الظهار، وذكر النجوى والسرار، والأمر بالتوسع في المجالس، وبيان فضل أهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، والحكم على بعض بالفلاح، وعلى بعض بالخسران"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإعلام بإيقاع البأس الشديد بمن حادَّ الله ورسوله ﷺ، لما له سبحانه من تمام العلم اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال"(٢).

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إظهار علم الله الشامل وإحاطته البالغة، تربية لمراقبته، وتحذيرًا من مخالفته"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة المجادلة ثلاثة أسماء، هي:

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٥٦.

(٢) نظم الدرر ١٩/٣٣١، ومصاعد النظر ٣/٦٨.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٤٢.

١-سورة المجادلة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بقصة مجادلة امرأة أوس بن الصامت لدى النبي ﷺ في شأن مظاهرة زوجها منها، في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (الآية ١).

٢-سورة قد سمع، لافتتاحها به.

٣-سورة الظهار، لما ذكر فيها من أحكام ظهار الزوج من زوجته(١).

ودلالة اسمها على مقصودها: لما في قصة المجادلة من تمام علم الله وسمعه بمجادلة المرأة للنبي ﷺ في موضوع ظهار زوجها منها، وبيان حكم الله فيه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المجادلة اثنتين وعشرين آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١-علم الله تعالى وكمال سمعه وإحاطته بالعباد وأعمالهم، ومن ذلك موضوع مجادلة خولة بنت ثعلبة للنبي ﷺ بشأن ظهار زوجها منها، وعلم الله وسماعه وحكمه في ذلك.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ

---

(١) ينظر مصاعد النظر ٦٧/٣، والاتقان ١٩٥/١، والتحرير والتنوير ٥/٢٨.

أَن يَتَمَآسَّاۚ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة الآية ٤).

٢-توجيه المؤمنين بالالتزام بحدود الله وأحكامه من خلال:

- هوان الكافرين وذلهم، (الآيتان ٥، ٦).
- علم الله تعالى بكل شيء حتى بالمناجاة بين بعضهم، والتحذير من المناجاة المحرمة، وبيان آداب المناجاة، (الآيات ٧-١٠).
- آداب الاجتماع بما يحقق المحبة والمودة في المجالس، (الآية ١١).
- آداب المناجاة مع الرسول ﷺ، (الآيتان ١٢، ١٣).

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (المجادلة الآية ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة الآية ١٣).

٣-إحاطة الله تعالى وعلمه بحال المنافقين الذي يتولون اليهود ويودوهم ويطلعوهم على أسرار المؤمنين، وهم في حقيقة الأمر لا مع الكفار ولا مع المؤمنين، وإنذارهم بالعذاب، وكيف استولى الشيطان على عقولهم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (المجادلة الآية ١٤)،

إلى قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (المجادلة الآية ١٩).

٤- جزاء المحادِّين لله ورسوله، والوعد بنصر المؤمنين، وتربيتهم لأن يكونوا مع الله ورسوله.

جاء ذلك في ثلاث آيات، هي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة الآيات ٢٠، ٢١، ٢٢).

وهكذا: نجد أن سورة المجادلة في مجملها تحدثت عن كمال علم الله تعالى وسمعه وإحاطته بكل شيء، وتوجيه المجتمع المؤمن وتربيته على الالتزام بحدود الله وأحكامه، ومن ذلك المناجاة مع بعضهم، ومع الرسول ﷺ، ومراعاة آداب المجلس، والصدق مع الله وعدم موالاة الكافرين. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

٥٩- سورة الحشر

أولًا: مقصود سورة الحشر:

﴿إظهار كمال علم الله وصفاته وقدرته على من شاقه وشاق رسوله ﷺ، ونصره للمؤمنين المتقين﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الحشر، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: الخبر عن جلاء بنى النضير، وقَسْم الغنائم، وتفصيل حال المهاجرين والأنصار، والشكاية من المنافقين في واقعة قريظة، وذكر برصيصا العابد[١]، والنظر إلى العواقب، وتأثير نزول القرآن، وذكر أسماء الحق تعالى وصفاته، وبيان أن جملة الخلائق في تسبيحه وتقديسه"[٢].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان التنزه عن شوائب النقص، بإثبات القدرة الشاملة، بدليل شهودي على أنه يغلب هو ورسله، ومن حادَّه في الأذلين لأنه قوي عزيز"[٣].

---

(١) قصة برصيصا العابد من قصص بني إسرائيل التي لم تثبت، وهو يشير إلى قوله تعلى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الآية ١٦).

(٢) بصائر ذوي التمييز ١/٤٥٨.

(٣) نظم الدرر ١٩/٤٠٢، ومصاعد النظر ٣/٧٢.

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إظهار قوة الله وعزته في توهين اليهود والمنافقين، وإظهار تفرقهم، في مقابل إظهار تآلف المؤمنين"(١).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الحشر اسمان، هما:

١-سورة الحشر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ الحشر فيها، هو حشر بني النضير في ديارهم، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾(من الآية ٢).

٢-سورة بني النضير، لورود قصة بني النضير فيها، وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع النبي ﷺ فأجلاهم عن المدينة(٢).

ودلالة اسمها على مقصودها: لبيانها ما جرى يوم حشر بني النضير، كيف ولماذا وقع. قال المهائمي: "لدلالة إخراج اليهود عنده على لطف الله وعنايته برسوله وبالمؤمنين، وقهره وغضبه على أعدائهم"(٣)، وقال البقاعي: "لأنه ﷻ حشرهم بقدرته من المدينة إلى خيبر الشام والحيرة، ثم حشرهم الحشر الثاني من خيبر إلى الشام"(٤).

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٤٥.

(٢) ينظر مصاعد النظر ٣/٧١، والتحرير والتنوير ٢٨/٦٢، ٦٣، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٤٣١، ٤٣٢.

(٣) تفسير المهائمي ٣/٣٨٠.

(٤) مصاعد النظر ٣/٧٢.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الحشر أربعًا وعشرين آية، شملت في مجملها الحديث عما يلي:

١-إظهار قدرة الله تعالى على من شاقَّه ورسوله، وهم بنو النضير، حيث أمر نبيه بمحاصرتهم، وإجلاؤهم من المدينة، وتم له ذلك بعون الله وتوفيقه وفضله، وبينت ما ترتب على ذلك من الفيء الذي أفاءه الله على رسوله، وحكم ذلك.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحشر الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر الآية ١٠).

٢-كشف تواطؤ المنافقين مع يهود بني النضير، وأن هذا التواطؤ في الظاهر فقط، والعداوة والإحن تظهر عند الشدائد والمحن.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الحشر الآية ١١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الحشر الآية ١٧).

٣-توجيه المؤمنين بتقوى الله، والعمل للآخرة، والإعداد للجنة، وأن لا يكونوا كاليهود والمنافقين الذين اعتمدوا على قوتهم وحصونهم.

جاء ذلك في ثلاث آيات، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ (الحشر الآيات ١٨، ١٩، ٢٠).

٤-بيان مكانة القرآن الكريم وعظمته الذي يدعو إلى الإيمان والعمل بما جاء به، وأن عظمته من عظمة منزله، عالم الغيب والشهادة، المتصف بصفات الكمال والعظمة، وتسبيح كل ما في السماوات والأرض له.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر الآية ٢١)، إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (الحشر الآية ٢٤).

وهكذا: نجد أن سورة الحشر وما حوته من آيات تضمنت قدرة الله تعالى المتصف بصفات الكمال على نصر دينه ورسوله والمؤمنين على كل من شاقَّ الله ورسوله. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٠- سورة الممتحنة

أولًا: مقصود سورة الممتحنة:

﴿الولاء لله ولدينه، والبراءة من الشرك وأهله﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الممتحنة، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: النهى عن موالاة الخارجين عن ملة الإسلام، والاقتداء بالسلف الصالح في طريق الطاعة والعبادة، وانتظار المودة بعد العداوة، وامتحان المدعين بمطالبة الحقيقة، وأمر الرسول بكيفية البيعة مع أهل الستر والعفة، والتجنب من أهل الزيغ والضلالة"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: براءة من أقر بالإيمان ممن اتسم بالعدوان"(٢).

٣- عبدالله شحاته، حيث قال: "تنظيم علاقة المسلمين بالمشركين، وتدعو إلى تقوية أواصر المودة بين المسلمين"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تحذير المؤمنين من تولي

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٦٠.

(٢) نظم الدرر ١٩/٤٨٣، ومصاعد النظر ٣/٧٥.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢/٢٦٤.

الكافرين"[١].

٥- عناية الله سبحاني، حيث قال: "عدم الولاء لأعداء الله"[٢].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الممتحنة، ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة الممتحنة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به، لورود امتحان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ (من الآية ١٠).

٢- سورة الامتحان، لقوله تعالى: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ (من الآية ١٠).

٣- سورة المودة، لقوله تعالى فيها: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ (من الآية ١)[٣].

ودلالة اسمها على مقصودها: إذ الممتحنة من امتحان النساء المهاجرات، لمعرفة الهدف من خروجهن من مكة، هل هو الإيمان أو غرض دنيوي؟

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٤٩.

(٢) إمعان النظر في نظام الآي والسور ٢٩٦.

(٣) ينظر: جمال القراء ١/٣٧، وبصائر ذوي التمييز ١/٤٦٠، والاتقان ١/١٩٥، والتحرير والتنوير ٢٨/١٢٩.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الممتحنة ثلاث عشرة آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١-النهي عن موالاة الكفار، والإنكار على من والاهم، لأنهم كفروا بالله، وأخرجوا الرسول والمؤمنين من مكة، وعداوتهم وقتالهم للمؤمنين، فالله هو العالم بما تخفي صدورهم، وما تظهره ألسنتهم.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ (الممتحنة الآيات ١، ٢، ٣).

٢- الدعوة إلى التأسي بإبراهيم الخليل عليه السلام والذين آمنوا معه، في الولاء لله، والبراء من المشركين، وبيان أحكام علاقات المسلمين بغيرهم في حال السلم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾

(الممتحنة الآية ٤)، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة الآية ٩).

٣-توجيه المؤمنين بامتحان المؤمنات المهاجرات، للتأكد من ولائهن لله ولرسوله ﷺ، والأحكام المتعلقة بزواجهن، ومبايعة النبي للمؤمنات على تحريم الإشراك بالله، والسرقة، والزنا، وقتل الأولاد، وعصيان شرع الله في أمره ونهيه، والتأكيد على تحريم موالاة الكفار وتزويدهم بأخبار المسلمين.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الممتحنة الآية ١٠)، إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ (الممتحنة الآية ١٣).

وهكذا: نجد أن سورة الممتحنة تناولت في آياتها الولاء لله ولدينه ولرسوله، والتبرؤ من الشرك والمشركين، والعلاقة بين المسلمين مع غيرهم حال السلم والحرب. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦١- سورة الصف

أولًا: مقصود سورة الصف:

﴿الحث على الاجتماع ووحدة الصف لنصرة دين الله﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الصف، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الحث على الاجتهاد التام، والاجتماع على قلبٍ واحد في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراء منهم، بحملهم على الدين الحق، أو محقهم من جديد الأرض أقصى المحق"(١).

٢- وهبة الزحيلي، حيث قال: "محور السورة وموضوعها: القتال وجهاد الأعداء، والتضحية في سبيل الله تعالى، وبيان ثواب المجاهدين العظيم"(٢).

٣- عبد الله شحاته، حيث قال: "تدعو إلى وحدة الصف، وتماسك الأمة، وتحث على الجهاد، وتنفر من الرياء، وتبين أن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى الأرض"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: حث المؤمنين لنصرة دين الله"(٤).

---

(١) نظم الدرر ٢٠/١، ومصاعد النظر ٨١/٣.

(٢) التفسير المنير ١٥٨/٢٨.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها ٢٧٤/٢.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٥١.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الصف اسمان، هما:

١-سورة الصف، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لقوله تعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ (الآية ٤).

٢-سورة الحواريين، لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ (من الآية ١٤)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لدلالة الاسم على وحدة الصف واجتماع الكلمة لنصرة دين الله وإعلاء كلمته.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الصف أربع عشرة آية، شملت الحديث عن الآتي:

١-الدعوة إلى وحدة المؤمنين، وأن يوافق قولهم فعلهم، ولا أدل على ذلك من أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (الصف الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ (الصف الآية ٤).

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٤٦٢.

٢-تذكير أمة محمد ﷺ بقصة موسى وعيسى عليهما السلام مع بني إسرائيل، حين اختلفوا عليهما وأعرضوا عنهما وآذوهما ولم يتبعوا أمرهما، وتعليم لهم وتحذير من مخالفة أمر نبيهم محمد ﷺ، والوعد بإتمام نوره وإظهار دينه على الدين كله، متى ما كانوا صفًا كالبنيان المرصوص.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (الصف الآية ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف الآية ٩).

٣-بيان أن التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة هي: الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى نصرة دين الله وشرعه، كما فعل من آمن بعيسى عليه السلام.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف الآية ١٠)، إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ (الصف الآية ١٤).

وهكذا: نجد أن سورة الصف دعت في آياتها إلى الاجتماع والتآلف ووحدة الصف، لنصرة دين الله، ومثلت بمن آمن بموسى وعيسى ومن اختلف معهما. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٢- سورة الجمعة

أولًا: مقصود سورة الجمعة:

﴿فضل الله على المؤمنين ببعثة النبي ﷺ، والتوجيه بلزوم هديه، وإتباع العلم العمل، والنهي عن التلهي عن صلاة الجمعة وذكر الله وهدي رسوله ﷺ ﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الجمعة، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان بعث المصطفى، وتعيير اليهود والشكاية منهم، وإلزام الحجة عليهم، والترغيب في حضور الجمعة والشكاية من قوم بإعراضهم عن الجمعة، وتقوية القلوب بضمان الرزق لكل حي"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان مسمى الصف؛ بدليل هو أوضح شرائع الدين، وأوثق عرى الإسلام وهو الجمعة التي اسمها مُبَيِّن للمراد منها من فرضية الاجتماع فيها، وإيجاب الإقبال عليها"(٢).

٣- بن عاشور، حيث قال: "التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة، والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها، وقدم لذلك: التنويه بجلال الله، والتنويه بالرسول ﷺ"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٦٤.

(٢) نظم الدرر ٢٠/٤٤، ومصاعد النظر ٣/٨٣.

(٣) التحرير والتنوير ٢٨/٢٠٥، ٢٠٦.

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الامتنان على الأمة وتفضيلها برسولها، وبيان فضل يوم الجمعة"[١].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الجمعة اسم واحد هو: "سورة الجمعة" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لحديثها عن صلاة يوم الجمعة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (من الآية ٩).

ودلالة اسمها على مقصودها: لما في صلاة الجمعة من اجتماع وذكر لله تعالى، وعدم الانشغال بتجارة أو لهو عنها، وهو ما كان يدعو إليه النبي ﷺ.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الجمعة إحدى عشرة آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١-منة الله على المؤمنين ببعث رسول الله ﷺ منهم، ومما اختص به: تلاوة القرآن عليهم، وتزكيتهم، وتعليمهم القرآن والسنة.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (الجمعة الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الجمعة الآية ٤).

٢-التحذير من مشابهة اليهود الذين حملوا العلم ولم ينتفعوا به، وفضلوا الدنيا على الآخرة، والحياة على الموت.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٥٣.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة الآية ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة الآية ٨).

٣-حث المؤمنين على السعي لصلاة الجمعة وما فيها من ذكر لله، وعدم الانشغال عنها بلهو أو تجارة، فما عند الله خير وأبقى.

جاء ذلك في ثلاثة آيات، هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (الجمعة الآيات ٩، ١٠، ١١).

وهكذا: فإن سورة الجمعة، وما تضمنته آياتها بينت منة الله ﷻ وفضله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسوله ﷺ، يعلمهم، ويزكيهم، ويتلو عليهم آياته، ويعملوا بما علموا، ولا يكونوا مثل اليهود في عدم العمل بما علموا. وأن يتبعوا العلم العمل، فلا يتخلفوا عن صلاة الجمعة وما فيها من ذكر الله. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٣- سورة المنافقون

أولًا: مقصود سورة المنافقون:

﴿بيان صفات المنافقين، وغضب الله عليهم، والتحذير من السير على منهاجهم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المنافقون، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: تقريع المنافقين وتبكيتهم، وبيان ذلهم وكذبهم، وذكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم، وبيان عزهم وشرفهم، والنهى عن نسيان ذكر الحق تعالى، والغفلة عنه، والإخبار عن ندامة الكفار بعد الموت، وبيان أنه لا تأخير ولا إمهال بعد حلول الأجل"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: كمال التحذير مما يثلم الإيمان، من الأعمال الباطنة، والترهيب مما يقدح في الإسلام من الأحوال الظاهرة بمخالفة الفعل للقول"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان حقيقة المنافقين والتحذير منهم"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٦٥.

(٢) نظم الدرر ٢٠/٧٣، ومصاعد النظر ٣/٨٧.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٥٤.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة المنافقون اسمان، هما:

١- سورة المنافقون، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لتناولها أحوال المنافقين ومواقفهم من الرسول ﷺ.

٢- سورة إذا جاءك المنافقون، وذلك لابتدائها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث تحدثت عن المنافقين وقبائح أعمالهم، والحذر من السير على منهاجهم.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المنافقون إحدى عشرة آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- وصف المنافقين، وبيان خصالهم وهي: كذبهم في ادعاء الإيمان، وحلفهم بالأيمان الكاذبة، والصد عن سبيل الله، واغترارهم بمظاهرهم الجسدية، وعداوتهم لله ورسوله ﷺ.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ (المنافقون الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون الآية ٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٦٥.

٢- بيان أدلة كذبهم ونفاقهم، وأسباب غضب الله عليهم، ومن ذلك: إعراضهم عن الاعتذار والاستغفار من الله، وطلبهم من الأنصار عدم الإنفاق على أصحاب محمد حتى يتفرقوا عنه، ونسبهم العزة لأنفسهم، ورد الله عليهم ما ذكروا.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون الآية ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون الآية ٨).

٣- توجيه المؤمنين بالحذر من أخلاق المنافقين، بنهيهم عن أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وأمرهم أن ينفقوا من أموالهم في سبيل الله، وعدم تأخير ذلك حتى يداهمهم الموت.

جاء ذلك في ثلاث آيات هي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون الآيات ٩، ١٠، ١١)

وهكذا: نجد أن سورة المنافقون بينت حال المنافقين وقبائح أعمالهم، وأدلة كذبهم، وغضب الله عليهم، والنهي عن اتباعهم بالانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٤- سورة التغابن

أولًا: مقصود سورة التغابن:

﴿التحذير من الوقوع في الغبن يوم القيامة﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة التغابن، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان تسبيح المخلوقات، والحكمة في تخليق الخلق، والشكاية من القرون الماضية، وإنكار الكفار البعث والقيامة، وبيان الثواب والعقاب، والإخبار عن عداوة الأهل والأولاد، والأمر بالتقوى حسب الاستطاعة، وتضعيف ثواب المتقين، والخبر عن اطلاع الحق على علم الغيب"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإبلاغ في التحذير، مما حذرت منه المنافقون، بإقامة الدليل القاطع على أنه لا بد من العرض على الملك للدينونة على النقير والقطمير يوم القيامة، يوم الجمع الأعظم"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التحذير مما تحصل به الندامة والغبن يوم القيامة"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٦٧.

(٢) نظم الدرر ٢٠/٩٩، ومصاعد النظر ٣/٩٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٥٦.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة التغابن اسم واحد هو: "سورة التغابن" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "التغابن" فيها، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (من الآية ٩)، وهو يوم القيامة، الذي يظهر فيه حال الناس ذلك اليوم، إذ يظهر غبن الكافرين وخسارتهم لعدم إيمانهم، وغبن بعض المؤمنين لتقصيرهم في الأعمال الصالحة(١).

ودلالة اسم السورة على مقصودها: لما يحصل يوم القيامة من غبن الكافر وخسارته لعدم إيمانه، وغبن المؤمن لتقصيره في أعماله.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة التغابن ثمان عشرة آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- إثبات قدرة الله على البعث والحساب، وجمع الناس ليوم التغابن، من خلال: خلق الإنسان، وخلق العالم، وعلمه ﷻ الشامل.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التغابن الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (التغابن الآية ٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥٨/٢٨، وأسماء سور القرآن وفضائلها ٤٥٣.

٢- التحذير من الأعمال التي توقع الكافرين في الغبن يوم القيامة، من الكفر بالله، وإنكار النبوة، وإنكار البعث، والدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله، وبالقرآن، والبعث، وبيان مظاهر التغابن فيه بين المؤمنين والكافرين، السعداء والأشقياء.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التغابن الآية ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (التغابن الآية ١٠).

٣- توجيه المؤمنين بالصبر على المصائب، والاستمرار بطاعة الله ورسوله، والتحذير من التقصير في الأعمال، والتلهي بالأزواج والأموال والأولاد الذين يثبطون عن الطاعة، والأمر بتقوى الله والسمع والطاعة له، والإنفاق في سبيله، والبعد عن الشح والبخل لينالوا المغفرة والرحمة والفلاح في يوم التغابن.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن الآية ١١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (التغابن الآيتان ١٧، ١٨).

وهكذا: نجد أن سورة التغابن بما تضمنته آياتها دلت على قدرة الله على البعث والحساب، وأنه يقع في ذلك اليوم: التغابن بين المؤمنين والكافرين، وحذرت من الأعمال التي توقع فيه، أو التقصير في الأعمال الصالحة، وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٥- سورة الطلاق

أولًا: مقصود سورة الطلاق:

﴿الدعوة إلى الالتزام بالتقوى في التعامل بين الأزواج عند وقوع الخلاف الموصل إلى الطلاق، وبيان أحكامه وحكمه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الطلاق، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان طلاق السنة، وأحكام العدة، والتوكل على الله تعالى في الأمور، وبيان نفقة النساء حال الحمل والرضاع، وبيان عقوبة المتعدين وعذابهم، وأن التكليف على قدر الطاقة، وللصالحين الثواب والكرامة، وبيان إحاطة العلم والقدرة"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تقدير حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة بتهذيب الأخلاق بالتقوى"(٢).

٣-بن عاشور، حيث قال: "تحديد أحكام الطلاق، وما يعقبه من العدة والإرضاع والإنفاق والإسكان"(٣).

٤-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان أحكام الطلاق وتعظيم

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٦٩/١.

(٢) نظم الدرر ١٣٩/٢٠، ومصاعد النظر ٩٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩٣/٢٨.

حدوده، وثمرات التقوى"[١].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الطلاق، اسمان، هما:

١- سورة الطلاق، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لبيانها أحكام الطلاق، وافتتاحها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ (من الآية ١).

٢- سورة النساء الصغرى أو القصرى، لبيان بعض الأحكام الخاصة بالنساء، ووصفها بذلك تمييزًا لها عن سورة النساء"[٢].

ودلالة اسمها على مقصودها: لبيانها أحكام الطلاق، والتأكيد على تقوى الله عند حدوثه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الطلاق اثنتي عشرة آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١-الدعوة إلى الالتزام بالتقوى في التعامل بين الأزواج عند حدوث الخلاف المؤدي إلى الطلاق، وبيان أحكامه وحكمه، وأن المتقي لله سينال من الله ﷻ ما يلي:

- تيسير مخرجه وخلاصه مما وقع فيه.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٢٣.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٤٦٩/١، والتحرير والتنوير ٢٩٢/٢٨.

- رزقه من حيث لا يحتسب.
- تيسير أمره في الدنيا والآخرة.
- تكفير سيئاته، وتعظيم أجره.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ (الطلاق الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾ (الطلاق الآية ٧).

٢- بيان مصير العاتين المخالفين لأمر الله، والتحذير من عدم تنفيذ أمر الله وأحكامه في الطلاق وما يتبعه، فالله ﷻ محيط بكل شيء وعالم به، فهو الخالق للسماوات والأرض المالك لهن.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴾ (الطلاق الآية ٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ (الطلاق الآية ١٢).

تنبيه:

ومما ينبه عليه أن هذه السورة دعت إلى الالتزام بأحكام الله في الطلاق، وربطت ذلك بتقوى الله ﷻ، التي وردت في هذه السورة في خمسة مواضع هي:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ﴾ (من الآية ١).
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ (من الآيتين ٢، ٣).
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ (من الآية ٤).
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ (من الآية ٥).
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (من الآية ١٠).

وهكذا: فإن سورة الطلاق بما تضمنته من آيات شملت الحث على تقوى الله ﷻ في التعامل بين الأزواج قبل الطلاق، وعند وقوعه، وبعد وقوعه، وما يناله المتقي ربه من تيسير أموره، ورزقه، وتكفير سيئاته، والمخالف لأحكام الله غير المتقي يعلمه الله، ولن يسلم من الوعيد جزاء عمله. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٦- سورة التحريم

أولًا: مقصود سورة التحريم:

﴿الدعوة إلى موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ، والأدب معهما﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة التحريم، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الحث على تقدير التدبير في الأدب مع الله، ومع رسوله ﷺ، ومع سائر العباد، والندب إلى التخلق بالأدب الشرعي، وحسن المباشرة لا سيما للنساء اقتداء بالنبي ﷺ "(١).

٢- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الدعوة إلى إقامة البيوت على تعظيم حدود الله، وتقديم مرضاته وحده"(٢).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة التحريم اسمان هما:

١-سورة التحريم، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لتحريم النبي ﷺ شيئًا على نفسه إرضاء لزوجاته، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ (من الآية ١).

---

(١) نظم الدرر ١٧٩/٢٠، ومصاعد النظر ٩٩/٣.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٦٠.

٢-سورة النبي ﷺ، لذكر لفظ "النبي" في أول آية من آياتها، وحديثها كان عن النبي ﷺ[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما فيها من تحريم النبي ﷺ شيئًا على نفسه، ودعوتها إلى موالاة الله ورسوله، والتوبة من التظاهر عليه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة التحريم اثنتي عشرة آية، شملت في مجملها ما يلي:

١-النهي عن أن يحرم الإنسان على نفسه ما أحلَّ الله له، وبينت ما كان بين النبي ﷺ وأهل بيته، والدعوة إلى موالاة الله ورسوله، والتوبة من التظاهر عليه، فالله متولٍ أموركم، وهو العليم بما فيه صلاحكم، الحكيم في تدبير أموركم، أما النبي فالله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة حراس وحفظة له.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (التحريم الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ (التحريم الآية ٥).

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٧/١، ونظم الدرر ١٧٩/٢٠، والتحرير والتنوير ٣٤٣/٢٨.

٢-بيان أن الإعراض عن موالاة الله ورسوله يؤدي إلى النار، وليس أمام العبد إلا التوبة النصوح، ومن يعرض عن موالاة الله وجب جهاده حتى يكون الدين لله.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم الآية ٦)، إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (التحريم الآية ٩).

٣-ضربت السورة مثلين متعلقين بموالاة الله ورسله:

الأول: للمرأة الكافرة عند المؤمن الصالح، ويمثله: امرأة نوح وامرأة لوط، حيث أعرضتا عن موالاة الله ورسله فاستحقتا دخول النار.

الثاني: للمرأة المؤمنة عند الرجل الكافر، ويمثله: آسية امرأة فرعون، ومريم ابنت عمران اللتين كان ولاؤهما لله تعالى.

وفي ذلك دليل على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد، ولا ينفع حسب ولا نسب، ولا جاه ولا سلطان، فالولاية لله وحده.

جاء ذلك في ثلاث آيات، هي قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ

ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى
ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا
وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم الآيات ١٠ ،١١، ١٢).

وهكذا: فإن سورة التحريم بما تضمنته من آيات تحدثت عن موالاة الله تعالى ورسله، والأدب معهما، والبعد عمّا يخرج من هذه الموالاة، وتطبيق ذلك في مثلين ذكرهما الله تعالى في أربع نسوة ثنتان مؤمنات وثنتان كافرات، ليكن مثالًا للمواليات لله ولغيره. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٧- سورة الملك

أولًا: مقصود سورة الملك:

﴿إظهار قدرة الله تعالى وملكه المطلق الدال على وحدانيته وقدرته على البعث والجزاء﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الملك، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الخضوع لله لاتصافه بكمال الملك، الدال عليه تمام القدرة، الدال عليه تمام العلم"[١].

٢-وهبة الزحيلي، حيث قال: "إن السورة إثبات لوجود الله تعالى ووحدانيته، ببيان مظاهر علمه وقدرته، وإنذار بأهوال القيامة، وتذكير بنعم الله على عباده، وربط الرزق بالسعي في الأرض ثم التوكل على الله تعالى"[٢].

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إظهار كمال ملك الله وقدرته؛ بعثًا على خشيته، وتحذيرًا من عقابه"[٣].

---

(١) نظم الدرر ٢١٥/٢٠، ومصاعد النظر ١٠٣/٣.

(٢) التفسير المنير ٧/٢٩.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٦٢.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الملك عدة أسماء، هي:

١-سورة الملك، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الملك" فيها، في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (الآية ١).

٢-سورة تبارك، لافتتاحها به.

٣-سورة الواقية، والمانعة، والمنجية، والدافعة، والشافعة، والمجادلة، والمخلصة، وهي أقرب إلى أن تكون أوصافًا لها(١).

ودلالة اسمها على مقصودها: لتضمنها ما ينبغي أن يكون عليه الملك من تمام القدرة، والإحياء والإماتة، والمغفرة والرحمة، والعلم والإحاطة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الملك ثلاثين آية، شملت في مجملها ما يلي:

١-عرضت مظاهر وجود الله وعظمته وقدرته على كل شيء، وأن بيده ملك السماوات والأرض ومن فيهن، مما يدل على وحدانية الله وقدرته على البعث والحساب، ليجزي كلًا بعمله.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (الملك الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك الآية ٥).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٤٧٣/١، ونظم الدرر ٢١٥/٢٠، والتحرير والتنوير ٥/٢٩.

٢-عرضت مظاهر قدرة الله في اليوم الآخر، وما أعده الله فيه من العذاب لكل كافر جاحد بالله، ووصف للنار وأهوالها، ثم ما أعده للمؤمنين من المغفرة والأجر الكبير.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الملك الآية ٦)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك الآية ١٢).

٣-ترهيب الكافرين وتخويفهم بإظهار علم الله تعالى وقدرته، فهو العالم بخلقه الذي ذلل الأرض لهم، وجعلهم ينتفعون بما فيها من خيرات، والوعيد لمن خالف أمره ولم يؤمن به: بالخسف العاجل، أو إرسال الريح الحاصب، وأخذ العبرة بإهلاك الأمم السابقة.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الملك الآية ١٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (الملك الآية ١٨).

٤-التأكيد على قدرة الله تعالى: بتمكين الطير من الطيران، والاستدلال بصفات الإنسان وحواسه، ثم بتكاثر الخلق، والحشر بعد ذلك. ومع ذلك يقول الكافرون استهزاء: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ ودعوا على النبي والمؤمنين بالهلاك، فأجابهم الله، بأن لا فائدة لكم بهلاك الرسول ومن معه من المؤمنين، فلا نجاة لأحد من عذاب الله، ودعاهم إلى الإيمان بالله

وحده، فهو القادر على كل شيء، ولو غار الماء عنهم فلا يستطيع أحد أن يأتيهم به إلا الله.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (الملك الآية ١٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (الملك الآية ٣٠).

وهكذا: فإن سورة الملك وما تضمنته من آيات دلت على ملك الله ﷻ، وتمام قدرته الدالة على وحدانيته، واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه، فهو كما قَدِرَ على خلق البشر قادر على إعادة خلقهم وبعثهم للحساب والجزاء. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٨- سورة القلم

أولًا: مقصود سورة القلم:

﴿إثبات نبوة محمد ﷺ، وخُلُقِه العظيم، وتبرئته مما نسب إليه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة القلم، ومن هؤلاء:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: "سورة "ن" هي سورة الخُلُق، الذي هو جماع الدين، الذي بعث الله به محمدًا ﷺ. قال الله تعالى فيها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (الآية ٤)"[١].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إظهار ما استتر، وبيان ما أبهم في آية ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الملك الآية ٢٩)، بتعيين المهتدي، الذي برهن على هدايته حيازته العلم، الذي هو النور الأعظم، الذي لا يضل بمصاحبته بتقبل القرآن والتخلق بالفرقان الذي هو صفة الرحمن"[٢].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: شهادة الله للنبي بحسن الخلق، والدفاع عنه وتثبيته"[٣].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦١/١٦، والتفسير الكبير ٨٣/٦.

(٢) نظم الدرر ٢٧٢/٢٠، ومصاعد النظر ١١١/٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٦٤.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة القلم اسمان، هما:

١- سورة القلم، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بالقسم به، وهو قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم الآية ١).

٢- سورة ن، لافتتاحها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث أقسم الله ﷻ بالقلم، لبيان علم الله بالغيب، وما سطَّرته الملائكة في اللوح المحفوظ على أنه ﷻ العالم بمن يضل ومن يهتدي.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة القلم ثنتين وخمسين آية، شملت ما يلي:

١-بيان منزلة النبي ﷺ العالية، وإنعام الله عليه بالعقل الراجح، والخلق العظيم، والرد على افتراءات وزعم الكفار - عداوة وحسدًا- أنه مجنون.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (القلم الآية ٧).

٢-بيان ما عليه الكفار من الخلق الذميم، وافترائهم على الرسول ﷺ، ونهي النبي ﷺ عن ملاينتهم، إذ يتمنون ذلك، ومن صفاتهم: كثرة الحلف،

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٨٧.

وحقارة الرأي، وذم الناس في وجوههم وفي مغيبهم، والمشي بالنميمة بين الناس، والإنفاق في الشر، والظلم، وكثرة الإثم، والكفر الغليظ، والزنيم الملصق في قومه أي: ليس من أصلهم، والكفر والجحود لنعمة المال والبنين.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (القلم الآية ٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ (القلم الآية ١٦).

٣-بيان أن نعمة المال والبنين تكون للابتلاء والامتحان، ليعرف المطيع الشاكر، من العاصي الكافر، وضرب الله المثل بذلك بأصحاب الجنة ذات الثمار، حينما جحدوا النعمة وكفروها، وخالفوا أمر الله، حرمهم الله منها كلها في الدنيا، وعذاب الله في الآخرة الذي ينتظرهم أشد وأكبر.

جاء ذلك في سبع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ (القلم الآية ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم الآية ٣٣).

٤-بيان جزاء المتقين، وعدم مساواتهم في الآخرة مع المجرمين حسب زعم الكفار من غير دليل من كتاب إلهي، ولا عهد مؤكد بالأيمان، ولا شركاء من الأصنام يجعلونهم مثل المسلمين المتقين في الآخرة.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (القلم الآية ٣٤)، إلى قوله تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ (القلم الآية ٤٣).

٥-تخويف الكفار المكذبين بالقرآن وبالنبي، من قُدرة الله على أخذهم بالعذاب غفلة بعد استدراجهم وسوقهم إليه شيئًا فشيئًا. ودعوة النبي ﷺ بالصبر على أذاهم، وعدم التبرم في تبليغ الدعوة، وأن لا يكون مثل صاحب الحوت، فيُبتلى مثل ما ابتلي به، وأن ما مع النبي من القرآن عظة للإنس والجن يتلقاه ويعقله ذوو العقول والأفهام السليمة، وليس المجانين كما قالوا.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (القلم الآية ٤٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (القلم الآية ٥٢).

وهكذا: نجد أن سورة القلم، وما تضمنته من آيات تحدثت عن النبي ﷺ وخلقه العظيم، وعن المفترين عليه بالتهم الباطلة، ونسبة إليه ما ليس فيه، بل هم الكافرون بالله أصحاب الخلق الذميم، وأنهم لا يستوون في الجزاء مع المتقين المؤمنين بالله وبرسوله، فالله يمهل ولا يهمل.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٦٩- سورة الحاقة

أولًا: مقصود سورة الحاقة:

﴿تحقق وقوع يوم القيامة، والجزاء فيه لإحقاق الوعد والوعيد﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الحاقة، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: الخبر عن صعوبة القيامة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصور، وانشقاق السماوات، وحال السعداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذل الكفار مقهورين في أيدى الزبانية، ووصف الكفار القرآن بأنه كهانة وشعر، وبيان أن القرآن تذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بتسبيح الركوع"[١].

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تنزيه الخالق ببعث الخلائق، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، بالكشف التام لشمول العلم للكليات والجزئيات، وكمال القدرة على العلويات والسفليات، وإظهار العدل بين سائر المخلوقات، ليميز المسلم من المجرم بالملذذ والمؤلم"[٢].

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إثبات أن وقوع القيامة والجزاء فيها حقٌ لا ريب فيه"[٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٧٨/١.

(٢) نظم الدرر ٣٣٧/٢٠، ومصاعد النظر ١١٦/٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٢٣.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الحاقة ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة الحاقة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به، وهو اسم من أسماء يوم القيامة.

٢- سورة السلسلة، لوروده فيها، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الآية ٣٢).

٣- سورة الواعية، لوروده فيها، في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الآية ١٢)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث بينت أن القيامة حق وجِدّ لا هزل فيها، فيتحقق فيها الوعد والوعيد.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الحاقة ثنتين وخمسين آية، شملت ما يلي:

١-تعظيم شأن القيامة، وعرض أحوال أمم: ثمود، وعاد، وفرعون ومن قبله، والمؤتفكات -قوم لوط- وقوم نوح. حيث كذبوا رسلهم فعوقبوا كلًّا بذنبه عظة وزجرًا لغيرهم، وتسلية للنبي ﷺ عما يلاقيه من قومه.

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٤٧٨، والتحرير والتنوير ٢٩/١١٠.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ (الحاقة الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ (الحاقة الآية ١٢).

٢-وصف وقائع وأحداث مقدمات يوم القيامة، مع تفصيل حل السعداء الذين أوتوا كتابهم بيمينهم، وأنهم في عيشة راضية خالية من المكدرات، ويعقبهم حال الأشقياء الذين أوتوا كتابهم بشمالهم، وتعرضهم لأنواع العذاب، وأن سبب ذلك لعدم إيمانهم بالله العظيم، والإعراض عن مساعدة المساكين.

جاء ذلك في خمس وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ (الحاقة الآية ١٣)، إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ (الحاقة الآية ٣٧).

٣-تعظيم القرآن، وإثبات نزوله من رب العالمين، على قلب محمد الأمين، ليبلغه للناس أجمعين، ولا يمكن أن يَتَقَوَّل بشيء منه من عند نفسه، وهو تذكرة للمتقين، وحسرة على الكافرين يوم القيامة، إذا رأوا ثواب المؤمنين. وعلى الجميع تنزيه الله المُنَزِّل للقرآن وشكره عليه.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الحاقة الآية ٣٨)، إلى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (الحاقة الآية ٥٢).

وهكذا: نجد أن سورة الحاقة وما حوته من آيات تناولت يوم القيامة: تحقق وقوعه، ومشاهده وأهواله، وحال السعداء والأشقياء فيه، وإثبات القرآن الذي بَيَّن أخبار هذا اليوم وأثبته بما لا مجال لإنكاره. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٠- سورة المعارج

أولًا: مقصود سورة المعارج:

﴿إثبات يوم القيامة، ووصف أهواله، وحال الناس فيه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المعارج، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "مقصود السورة: بيان جرأة الكافر في استعجال العذاب، وطول القيامة وهولها، وشغل الخلائق في ذلك اليوم المهيب، واختلاف حال الناس في الخير والشر، ومحافظة المؤمنين على خصال الخير، وطمع الكفار في غير مَطْمع، وذُلّ الكافرين في يوم القيامة"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إثبات القيامة، وإنذار من كفر بها، وتصوير عظمتها بعظمة ملكها، وطول يومها، وتسلية المنذر بها لمن كذبه من الصغار، والذل والتبار"(٢).

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان حال وجزاء الخلق يوم القيامة"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٨٠.

(٢) نظم الدرر ٢٠/٣٨٥، ٣٨٦، ومصاعد النظر ٣/١١٩.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٦٨.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة المعارج ثلاثة أسماء، هي:

١-سورة المعارج، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: أخذاً من قوله تعالى فيها: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ (الآية ٣).

٢-سورة سأل سائل، لافتتاحها به.

٣-سورة الواقع، لورود لفظة "واقع" في قوله تعالى فيها: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (الآية ١)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لأن العذاب المسؤول عنه واقع بالكافرين وليس له دافع، ومُوْقِعه الله الذي تعرج إليه الملائكة بما يجعلها تحت تدبيره[2].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المعارج أربعًا وأربعين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١-سؤال المشركين سؤال استهزاء واستبعاد عن وقوع العذاب الذي يخوفهم به الرسول ﷺ، وتأكيد وقوعه، وعدم استطاعة أحد دفعه.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ (المعارج الآيتان ٦، ٧).

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٤٨٠/١، ومصاعد النظر ١١٨/٣، والتحرير والتنوير ١٥٢/٢٩.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ٨٢٠.

٢-وصف يوم القيامة وأهواله، والنار وعذابها، وأحوال المجرمين فيه، وردع المنكرين له.

جاء ذلك في إحدى عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ (المعارج الآية ٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ (المعارج الآية ١٨).

٣-وصف طبيعة الإنسان، وأنها مبنية على: الحرص، والجزع، وعدم الصبر عند البلاء، ولا الشكر عند النعماء، ولا يسلم من ذلك إلا الموفقون إلى الخير، وهم: المحافظون على الصلاة المداومون عليها، والمؤدون الزكاة، والمصدقون بيوم الدين، والخائفون من عذاب الله، والحافظون لفروجهم، والمؤدون للأمانات، والموفون بالعهود، والمؤدون للشهادات عند اقتضائها.

جاء ذلك في سبع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (المعارج الآية ١٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ (المعارج الآية ٣٥).

٤-بيان أحوال المكذبين بيوم القيامة، **ففي الدنيا:** يسرعون إلى الكفر، فتوعدهم الله بالهلاك والتبديل بخير منهم، وأمر نبيه بالإعراض عنهم حتى يوم البعث. **وفي الآخرة:** يخرجون من قبورهم مسرعين، كما كانوا في الدنيا يسرعون إلى أصنامهم، وتكون أبصارهم ذليلة وتغشاهم المذلة.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ (المعارج الآية ٣٦)، إلى قوله تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (المعارج الآية ٤٤).

وهكذا: نجد أن سورة المعارج بما تضمنته من آيات تحدثت عن يوم القيامة، وتحقق وقوعه، ووصف أهواله، وأحوال الناس فيه ما بين مكذبين بوقوعه ومصدقين، وكل يجازى بحسب إيمانه. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧١- سورة نوح

أولًا: مقصود سورة نوح:

﴿دعوة نوح عليه السلام، وحرصه على إيمان قومه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة نوح، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: " معظم مقصود السورة: أمر نوح بالدعوة، وشكاية نوح من قومه، والاستغفار لسعة النعمة، وتحويل حال الخَلْق من حال إلى حال، وإظهار العجائب على سقف السماء، وظهور دلائل القدرة على بسيط الأرض، وغرق قوم نوح، ودعاؤه عليهم بالهلاك، وللمؤمنين بالرحمة، وللظالمين بالتبار والخسارة"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على تمام القدرة على ما أنذرت به آخر "سأل" من إهلاك المنذرين، وتبديل خير منهم، ومن القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به وهم عنه معرضون، وبه مكذبون، وبه لاهون"(٢).

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان منهج الدعوة للدعاة من خلال قصة نوح"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٨٢.

(٢) نظم الدرر ٢٠/٤٢٢، ومصاعد النظر ٣/١٢٤.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٧٠.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة نوح اسمان، هما:

١-سورة نوح، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لذكر نوح عليه السلام وقصته مع قومه فيها.

٢-سورة إنا أرسلنا نوحًا، لافتتاحها به[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: لاشتمالها على تفاصيل دعوة نوح عليه السلام، وعدم تقصيره فيها.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة نوح ثمان وعشرين آية، تحدثت في مجملها عمّا يلي:

١-إرسال نبي الله نوح إلى قومه، ودعوته لهم، لعبادة الله وحده، وتقواه، وطاعته فيما يأمر به وينهاهم عنه.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (نوح الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (نوح الآية ٤).

٢-مناجاة نوح لربه وشكواه إليه بما عمله معهم من: دعوته بالليل والنهار، بالسر في أول الأمر، ثم بالجهر، ثم بالإسرار والإعلان. فعصوه وقابلوا دعوته

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/١٨٥.

بالجحود والعناد، فسدوا جميع المنافذ إلى نفوسهم بأن جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، ثم أغراهم بالوعد بإنزال المطر، والإمداد بالأموال والبنين، والجنات والأنهار، وأقام الأدلة على عظمة الله وقدرته على خلقهم ثم بعثهم. ومع ذلك استمروا في عصيانهم وطغيانهم.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح الآية ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (نوح الآية ٢٠).

٣-إعلان نوح عصيان قومه، وذكر أنواع قبائحهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وما يستحقونه من دخول النار في الآخرة. ودعا عليهم بالدمار والهلاك، لإضلالهم وضلالهم، وكفرهم وعنادهم، ودعا لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والستر.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ (نوح الآية ٢١)، إلى قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ (نوح الآية ٢٨).

وهكذا: نجد أن سورة نوح تحدثت عن نبي الله نوح عليه السلام ودعوته لقومه، وما واجهه منهم، من عصيان وعناد، ودعاؤه عليهم بعد نفاد كل الطرق المؤدية إلى هدايتهم.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٢- سورة الجن

أولًا: مقصود سورة الجن:

﴿تكليف الجن بالإيمان بالله وعبادته، وحالهم حين سمعوا القرآن﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الجن، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إظهار الشرف لهذا النبي الكريم، حيث لَيَّن له قلوب الإنس والجن وغيرهما، فصار مالكًا لقلوب المجانس وغيره، وذلك لعظمة هذا القرآن، ولطف ما له من غريب الشأن"(١).

٢-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إبطال دين المشركين، ببيان حال الجن وإيمانهم بعد سماع القرآن"(٢).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الجن اسمان، هما:

١- سورة الجن، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ الجن فيها، في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ (الآية ١).

٢- سورة قل أوحي، لافتتاحها به(٣).

---

(١) نظم الدرر ٤٦٠/٢٠، ومصاعد النظر ١٢٧/٣.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٧٢.

(٣) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، والتحرير والتنوير ٢١٦/٢٩.

ودلالة اسمها على مقصودها: لبيانها أقوال الجن وأحوالهم، وعلاقتهم بالإنس، ورميهم بالشهب لاستراقهم السمع.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الجن ثمان وعشرين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- إيمان فريق من الجن حين سمعوا تلاوة النبي ﷺ القرآن، وبيان ما اعتقدوه وصرحوا به، ومما قالوه مخبرين عن أنفسهم لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ:

- وصفهم للقرآن بأنه يهدي إلى الرشد، وإيمانهم به.
- أنهم يؤمنون بالله وحده، ولا يشركون معه أحدًا.
- أن الله منزه عن الصاحبة والولد، ومن يقول غير ذلك فهو سفيه.
- أنهم ظنوا أن لا يوجد أحد يكذب على الله.
- بيانهم أن رجالًا من الإنس يستعيذون برجال من الجن، مما زاد الجن طغيانًا وظلمًا.
- ظنهم غير الصحيح بأنه لا بعث ولا جزاء.
- أنهم طلبوا خبرًا من السماء استراقًا للسمع فحرسها الله عنهم.
- عدم علمهم بسبب هذه الحراسة، هل هو شر أو عذاب أراده الله، أو هو خير بإرسال نبي مصلح.

- أن حالهم إما مؤمنون صالحون، وإما غير صالحين كافرين، أي جماعات متفرقة.
- علمهم بقدرة الله عليهم، ولن يستطيعوا الهرب منه.
- إيمانهم بالله وبمحمد ﷺ عند سماعهم للقرآن.
- اختلافهم بعد سماعهم للقرآن، فمنهم من أسلم، ومنهم من كفر.

جاء ذلك في سبع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (الجن الآية ١٧).

٢- بيان ما أُمِر النبي ﷺ بتبليغه إلى الخلق، في الآتي:

- أن المساجد مختصة بالله فلا يعبد فيها غيره.
- إقبال الجن والإنس على الرسول ﷺ لسماع القرآن منه.
- أن دعوته خالصة لله، وعدم الإشراك به.
- أنه لا يملك لهم ضرًا ولا نفعاً.
- أنه لا مجير له من عذاب الله إن استحقه، ولا ملجأ يلجأ إليه إن عصى ربه.
- أن ما كلف به هو الإبلاغ عن الله، وإيصال رسلته إلى العالمين.
- عدم علمه بيوم القيامة، ولا يعلم ذلك إلا الله.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن الآية ١٨)، إلى قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن الآية ٢٨).

وهكذا: نجد أن سورة الجن بما تضمنته في آياتها تُبَيِّن لنا سماع الجن للقرآن الكريم من فِيِّ رسول الله ﷺ، وإيمانهم بذلك، وتحدثت السورة عن حالهم وموقفهم حين سمعوا القرآن، وما أُمر به النبي ﷺ بتبليغه للثقلين.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٣- سورة المزمل

أولًا: مقصود سورة المزمل:

﴿تهيئة النبي ﷺ إلى تحمل أعباء الدعوة، وما يعينه على تبليغ الرسالة﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المزمل، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال الثقال، ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليال"[١].

٢- وهبة الزحيلي، حيث قال: "تتناول السورة: الإرشادات الإلهية الموجهة للنبي ﷺ في مسيرته أثناء تبليغ دعوته، وتهديد المشركين المعرضين عن قبول تلك الدعوة"[٢].

٣- وجاء في المختصر: "بيان الأسباب المعينة على القيام بأعباء الدعوة"[٣].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة المزمل اسم واحد فقط، هو: "سورة المزمل" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "المزمل" فيها، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ (الآية ١).

---

(١) نظم الدرر ١/٢١، ومصاعد النظر ٣/١٣١.

(٢) التفسير المنير ٢٩/١٨٧.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٧٤.

ودلالة اسمها على مقصودها: لعظم أمر الوحي حين يتلقاه النبي ﷺ، حيث يرتعد من الروع عند نزوله، فيتزمل ﷺ، أي: يتلفف بثيابه[1].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المزمل عشرين آية، شملت ما يلي:

١- أمر الله رسوله ﷺ المتزمل بأن ينهض إلى العمل، والبدء بتبليغ رسالة الله، والاستعانة بقيام الليل إلا قليلًا منه، وقراءة القرآن مرتلاً، وإعلامه بثقل الوحي عليه، وأن يذكر الله في كل وقت بالتحميد والتسبيح والصلاة، وأن يتوكل عليه، ويصبر على ما يقول الكفار عنه، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا، ويكل أمرهم إلى الله.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ (المزمل الآية ١٠).

٢- توعد المشركين المعرضين عن قبول الدعوة، وتخويفهم عذاب يوم القيامة، وكيفيته وأهواله، وهو تذكرة وعظة موصلة إلى رضوان الله.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ (المزمل الآية ١١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ (المزمل الآية ١٩).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٢٥٢، وأسماء سور القرآن الكريم للشايع ١٨٣.

٣- تخفيف الله ﷻ على الرسول ﷺ وأمته في فرض قيام الليل لما يطرأ من أعذار كالمرض والسفر والجهاد، مع الاستمرار بقراءة ما تيسر من القرآن، وأداء الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، والنفقة في سبيل الخير، واستغفار الله في كل وقت.

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ (المزمل الآية ٢٠).

وهكذا: نجد أن سورة المزمل، وصفت حال النبي ﷺ في بدء نزول الوحي عليه، وتوجيهه بالقيام بالعبادات التي تعينه على تبليغ الرسالة. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٤- سورة المدثر

أولًا: مقصود سورة المدثر:

﴿توجيه النبي ﷺ بالقيام بالرسالة، وإنذار قومه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المدثر، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الجد والاجتهاد في الإنذار، بدار البوار، لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجار، والإشارة بالبشارة لأهل الادكار، بحلم العزيز الغفار"(١).

٢- بن عاشور، حيث قال: "تكريم النبي ﷺ، والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الأمر بالاجتهاد في دعوة المكذبين، وإنذارهم بالآخرة والقرآن"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة المدثر اسم واحد هو: "سورة المدثر" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ المدثر" في مطلعها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ (الآية ١)، والمدثر: هو

---

(١) نظم الدرر ٣٩/٢١، ومصاعد النظر ١٣٥/٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩٣/٢٩.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٧٥.

النبي ﷺ، موصوفًا بالحالة التي نودي فيها، وهو المتدثر بالثوب المشتمل عليه(١).

ودلالة اسمها على مقصودها: لخطابها للرسول ﷺ المتدثر بثيابه بعد أن رأى جبريل عليه السلام بين السماء والأرض، بأن ينزع منه الخوف الذي دعاه إلى التدثر لينهض بمهمته وإنذار قومه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المدثر ستًا وخمسين آية، تناولت ما يلي:

١-دعوة النبي ﷺ إلى البدء في الدعوة إلى الله، وإنذار قومه، والاستعداد لما يتطلبه ذلك من: تعظيم الله، وتطهير الثياب، والاحتراز من المعاصي، وعدم استكثار ما يقومه به، والصبر عليه.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ (المدثر الآية ٧).

٢-بيان مصير المكذبين بآيات الله ووحيه، وإنذار البشر بما في الآخرة من عذاب أليم لمن كفر بالله وبأنبيائه، وأن النجاة مربوطة بالإيمان والعمل الصالح، وأن كل نفس مرهونة بما كسبت من عمل. وعرضت السورة موقف الكافرين بالله المكذبين برسوله وبالقرآن حين دخلوا النار واعترافهم بسبب ذلك.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٢٩١.

جاء ذلك في واحد وأربعين آية، من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ (المدثر الآية ٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ (المدثر الآية ٤٨).

٣-التأكيد على أن دعوة النبي ﷺ إنما هي تذكرة للبشر، والانتفاع بما فيها.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (المدثر الآية ٤٩)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ (المدثر الآية ٥٦).

وهكذا: نجد أن سورة المدثر بما تضمنته آياتها، تناولت الحديث عن التوجيه الإلهي للنبي ﷺ بالقيام بإنذار قومه، بعد أن نزل عليه الوحي وتدثر من روع رؤيته، والوعد للمؤمنين بها، والوعيد للمكذبين المعاندين للاستجابة لها. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٥- سورة القيامة

أولًا: مقصود سورة القيامة:

تعظيم الله ﷻ ليوم القيامة، وبيان ما يرتبط به من أشراط وأهوال وعلامات.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة القيامة، ومن هؤلاء:

١- عمر بن الخطاب ﵁، قال عن سورة القيامة: "من سأل عن القيامة، أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها، فليقرأ هذه السورة"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار ﷺ، لعظمة مرسله سبحانه، وتمام اقتداره"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: إظهار قدرة الله على بعث الخلق وجمعهم يوم القيامة"(٣).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة القيامة اسمان، هما:

١-سورة القيامة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لوقوع القسم بيوم القيامة في مطلعها.

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٠٣/١٥.

(٢) نظم الدرر ٨٢/٢١، ومصاعد النظر ١٣٩/٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٧٧.

٢-سورة لا أقسم بيوم القيامة، لافتتاحها به[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: لبيانها هذا اليوم العظيم يوم يقوم الناس بين يدي الحي القيوم.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة القيامة أربعين آية، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١-تعظيم شأن يوم القيامة، والنفس اللوامة، بالقسم بهما على وقوع البعث، والرد على من يستبعد وقوعه أو ينكره، وإثبات قدرة الله على بعث الأجساد حتى لو أكلتها الأرض، وعلى تسوية بنان الإنسان، وذكر علامات ذلك اليوم من: تحير البصر، وذهاب ضوء القمر، واقتران الشمس والقمر.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ (القيامة الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ (القيامة الآية ١٥).

٢-بيان أن الذي أنكر القيامة والبعث مُعْرِضٌ عن آيات الله، وأن من يتعلمها ويحفظها يؤمن بوقوع القيامة والبعث[٢]. وأن استعجال النبي ﷺ في تلقي الآيات من باب استعجال المؤمن المبادر لأخذها المصدق بما فيها، وما تحدثت عنه من وقوع القيامة والبعث وغيرهما، وأن من ينكر البعث هو حبًا

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٤٩٠/١، والتحرير والتنوير ٣٣٦/٢٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣٥٠/١٠.

في الدنيا العاجلة وترك الآخرة، وأن الناس في ذلك فريقان: فريق المؤمنين، وفريق المشركين.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ (القيامة الآية ١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة الآية ٢٥).

٣-بيان حالة الكافر المنكر للبعث عند احتضاره، ثم سوقه إلى البعث وهول ذلك، وتذكيره بأعماله في الدنيا.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ (القيامة الآية ٢٦)، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ (القيامة الآية ٣٥).

٤-التأكيد على البعث بأمرين: الأول: أنه لا بد من الجزاء على العمل وعدم ترك الناس سدى. الثاني: أنه تعالى لما قدر على بدء الخلق ذكورًا وإناثًا قادر على إحيائهم وخلقهم يوم البعث، بل الإعادة أهون من الابتداء.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة الآية ٣٦)، إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة الآية ٤٠).

وهكذا: نجد أن سورة القيامة وما تناولته آياتها، تحدثت عن يوم القيامة وعظمه، وما فيه من أهوال وعلامات، وتأكيد وقوعه، وحال الناس فيه. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٦- سورة الإنسان

أولًا: مقصود سورة الإنسان:

﴿الترغيب بطريق الهداية والإيمان، والترهيب عن طريق الغي والضلال﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الإنسان، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: ترهيب الإنسان من الكفران، بما دل عليه آخر القيامة من العرض على الملك الديان، بتعذيب العاصي في النيران، وتنعيم المطيع في الجنان"(١).

٢- بن عاشور، حيث قال: "التذكير بأن كل إنسان كُوِّن بعد أن لم يكن، فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تذكير الإنسان بأصل خلقه ومصيره وبيان ما أعد الله في الجنة لأوليائه"(٣).

---

(١) نظم الدرر ٢١/١٢٠، ومصاعد النظر ٣/١٤٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/٣٧١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٧٨.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الإنسان عدة أسماء، منها:

١-سورة الإنسان، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها بذكر الإنسان في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ (الآية ١).

٢-سورة هل أتى على الإنسان، لافتتاحها به.

٣-سورة الأمشاج، لقوله تعالى فيها: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ (الآية ٢).

٤-سورة الدهر، لقوله تعالى فيها: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ (من الآية ١)[(١)].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما فيها من ذكر الإنسان وخَلْقِه بعد أن لم يكن شيئًا، ودلالته على الطريق المستقيم، ليسلك سبيل الهداية والإيمان ويتجنب سبيل الغي والضلال، ليشكر لا ليكفر.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الإنسان إحدى وثلاثين آية، شملت في مجملها ما يلي:

١-خَلَقَ الله الإنسان بعد أن لم يكن شيئًا، وهداه إلى طريق الهدى والضلال، والخير والشر، فجعله أمام أمرين: إما شاكرًا وإما كفورًا.

---

(١) ينظر: جمال القراء ١/٣٨، وبصائر ذوي التمييز ١/٤٩٣، ونظم الدرر ٢١/٢٠، والتحرير والتنوير ٢٩/٣٦٩.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ (الإنسان الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان الآية ٣).

٢-بيان ما أعده الله للكافرين ترهيبًا عن فعلهم، وما أعده للمؤمنين الأبرار من تكريم يشتمل على: شرابهم، وطعامهم، ومساكنهم، وآنيتهم، وخدمهم، ولباسهم ترغيبًا في عملهم.

جاء ذلك في تسع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان الآية ٤)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ (الإنسان الآية ٢٢).

٣-تثبيت النبي ﷺ وتسليته عما نسبه إليه قومه، وأن ما آتاه الله إنما هو وحي منه، وأمره بالصبر على أذاهم، والاستمرار على ذكر الله تعالى وقيام الليل، وما عملوه ناتج عن حبهم للدار العاجلة الدار الدنيا، وترك وراءهم يوم القيامة، وهو ما يعرضهم لتبديلهم إن استمروا على كفرهم، وكل ذلك بمشيئة الله وقدرته جل وعلا.

جاء ذلك في تسع آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ (الإنسان الآية ٢٣)، إلى قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ (الإنسان الآية ٣١).

وهكذا: نجد أن سورة الإنسان بما تضمنته من آيات بينت أن الإنسان لم يكن موجودًا من قبل، وحين خلقه الله هداه إلى طريق الإيمان والخير ورغَّبه فيه، وبين له طريق الشر والضلال وحذره منه. كما فصلت مصير كل فريق ترغيبًا وترهيبًا. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٧- سورة المرسلات

أولًا: مقصود سورة المرسلات:

﴿إقامة الأدلة على وقوع البعث في اليوم الآخر، ومصير الناس فيه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المرسلات، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على آخر الإنسان، من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الأجساد، وإحياء العباد، بعد طي هذا الوجود، وتغيير هذا العالم المعهود"[(١)].

٢-بن عاشور، حيث قال: "الاستدلال على وقوع البعث عقب فناء الدنيا ووصف بعض أشراط ذلك"[(٢)].

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الوعيد للمكذبين بالويل يوم القيامة"[(٣)].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة المرسلات اسمان، هما:

١- سورة المرسلات، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به.

---

(١) نظم الدرر ١٦٤/٢١، ومصاعد النظر ١٤٧/٣.

(٢) التحرير والتنوير ٤١٩/٢٩.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٠.

٢- سورة العرف، لورود هذا اللفظ فيها، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ (الآية ١)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث وصف الله الرياح التي يرسلها بأمره حيث يشاء وكيف يشاء، ويجعلها سببًا من أسباب رزق العباد بما تسوقه من السحب المحمَّلة بالغيث فيحيي به الأرض بعد موتها، مما يدل على إمكان وقوع البعث.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المرسلات خمسين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- إقسام الله ﷻ على وقوع اليوم الآخر، وبيان أشراطه.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ (المرسلات الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات الآيتان ١٤، ١٥).

٢- تخويف الكفار وتحذيرهم مما هم فيه، بما حصل للأمم المتقدمة من هلاك نتيجة تكذيبهم رسلهم، وتوبيخهم بتعداد النعم والامتنان عليهم بها، ووصف العذاب الذي سيحصل لهم في الآخرة.

جاء ذلك في خمس وعشرين آية، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (المرسلات الآية ١٦)، إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات الآيتان ٣٩، ٤٠).

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٢١/١٦٤، والتحرير والتنوير ٢٩/٤١٧.

٣- بيان حال المؤمنين في الآخرة، ووصف النعيم الذي سيلقونه، وأعقبه بتوبيخ الكفار المكذبين بيوم الدين، وذكَّرهم بتقصيرهم في طاعة الله وتركهم الإيمان بالقرآن.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ (المرسلات الآية ٤١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات الآية ٥٠).

تنبيه:

ومما ينبه عليه: أن قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وردت في عشرة مواضع في هذه السورة، فبعد أن يذكر الله ﷻ أدلته على قدرته على الخلق والبعث والحساب، يذكر هذا الويل لمن كذب الله ورسوله وكتابه واليوم الآخر، تأكيدًا وتقريرًا لما ذكره.

وهكذا: نجد أن سورة المرسلات بما تضمنته من آيات دلت على إقسام الله ﷻ بوقوع البعث في اليوم الآخر، وأدلته، وأشراطه، ومصير الناس فيه. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٨- سورة النبأ

أولًا: مقصود سورة النبأ:

﴿إثبات اليوم الآخر، وحال الناس فيه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النبأ، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: ذكر القيامة، وخلق الأرض والسماء، وبيان نفع الغيث، وكيفية النشر والبعث، وعذاب العاصين، وثواب المطيعين من المؤمنين، وقيام الملائكة في القيامة مع المؤمنين، وتمني الكفار المحال"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على أن يوم القيامة الذين كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعث النبي ﷺ في خلاف فيه مع المؤمنين ثابت ثباتاً، لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجه"(٢).

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان أدلة القدرة على البعث والتخويف من العاقبة"(٣).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة النبأ أربعة أسماء، هي:

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٤٩٧.

(٢) نظم الدرر ٢١/١٨٩، ومصاعد النظر ٣/١٥١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٢.

١- سورة النبأ، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "النبأ" فيها، وفي قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الآيتان ١، ٢).

٢- سورة عم يتساءلون، لورود التساؤل في مطلعها في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الآية ١).

٣- سورة التساؤل، لورود التساؤل في مطلعها أيضًا، في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الآية ١).

٤- سورة المعصرات، لورود لفظ (المعصرات) فيها، في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ (الآية ١٤)(١).

ودلالة اسمها على مقصودها: لوقوع السؤال فيها عن "النبأ" وهو خبر القيامة والبعث الذي يسألون عن وقته.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة النبأ أربعين آية، تضمنت الحديث عمَّا يلي:

١-الإخبار عن اليوم الآخر يوم القيامة، وما يتبعه من البعث والنشور والجزاء، وتهديد المنكرين له، وإقامة الأدلة على إمكان وقوعه، ببيان قدرة الله على خلق الكون وعرض مشاهد تُرى يوميًا في الدنيا.

---

(١) ينظر: جمال القراء ١/٣٨، وبصائر ذوي التمييز ١/٤٩٧، ونظم الدرر ٢١/١٨٩، والتحرير والتنوير ٣٠/٥.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (النبأ الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾ (النبأ الآية ١٦).

٢-بيان أوصاف ذلك اليوم وعلاماته.

جاء ذلك في أربع آيات، هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ (النبأ الآيات ١٧، ٢٠).

٣-بيان مصير الطاغين، ونوع العذاب الذي يتلقونه.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادًا﴾ (النبأ الآية ٢١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ (النبأ الآية ٣٠).

٤-بيان حال المؤمنين المتقين، وما يعطونه تفضلًا من الله وإحسانًا.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (النبأ الآية ٣١)، إلى قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ (النبأ الآية ٣٦).

٥-التأكيد على أن يوم القيامة حق، وأن الناس فيه فريقان: فريق: بعيد عن الله ومصيره النار. وفريق: قريب من الله ومرجعه الجنة. وتحذير الكفار من ذلك اليوم.

جاء ذلك في أربع آيات، من قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبأ الآية ٣٧)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ (النبأ الآية ٤٠).

وهكذا: نجد أن سورة النبأ تحدثت في مجملها عن النبأ العظيم وهو اليوم الآخر، وإقامة الأدلة على وقوعه قريبًا، وحال الناس فيه مؤمنهم وكافرهم.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٧٩- سورة النازعات

أولًا: مقصود سورة النازعات:

﴿إثبات البعث والجزاء، وحال المنكرين له﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النازعات، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: " معظم مقصود السورة: القسم بنفخة الصور، وكيفية البعث والنشور، وإرسال موسى إلى فرعون، والمنة بخلق السماء والأرض، وتحقيق هول القيامة، وبيان حال من آثر الدنيا، والخبر من حال أهل الخوف، واستعجال الكافرين بالقيامة، وتعجبهم منها في حال البعث"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإقسام على بعث الأنام، ووقوع القيامة يوم الزحام، وزلل الأقدام"(٢).

٣- بن عاشور، حيث قال: "اشتملت على إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التذكير بالله واليوم الآخر"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٩٩/١.

(٢) نظم الدرر ٢١٧/٢١، ومصاعد النظر ١٥٤/٣.

(٣) التحرير والتنوير ٥٩/٣٠.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٣.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة النازعات ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة النازعات، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا﴾ (الآية ١).

٢- سورة الساهرة، لورود هذا اللفظ فيها، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ (الآية ١٤).

٣- سورة الطامة، لورود هذا اللفظ فيها، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ (الآية ٣٤).

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث افتتحت بالقسم بالنازعات، وهم الملائكة الذين ينزعون أرواح بني آدم، لاثبات البعث، وبيان أهواله.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة النازعات ستًا وأربعين آية، شملت في مجملها ما يلي:

١-إقسام الله ﷻ على وقوع البعث، ووصف أحول المنكرين له.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا﴾ (النازعات الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات الآية ١٤).

٢-تهديد منكري البعث بما حصل في قصة موسى مع فرعون، بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أقوى وأعنف وأكثر جمعًا نتيجة كفرهم بالله، وإنكارهم للحساب والجزاء.

جاء ذلك في اثنتي عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ (النازعات الآية ١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ (النازعات الآية ٢٦).

٣-إثبات البعث بخلق الله السماوات والأرض والجبال، وإن الذي قدر على ذلك قادر من باب أولى على إعادة الخلق والبعث.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾ (النازعات الآية ٢٧)، إلى قوله تعالى: ﴿ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ (النازعات الآية ٣٣).

٤-بيان ما يحصل عند قيام الطامة الكبرى، وهي يوم القيامة، وما يصحبه من أهوال، والناس فيها على فريقين: فريق المكذبين بيوم القيامة، يتذكرون أعمالهم، ويتحسرون على إنكارهم واستهزائهم به. وفريق المؤمنين بالله، الذين خافوا مقام ربهم، ونهوا أنفسهم عن الهوى.

وكل فريق يجازى حسب عمله في الدنيا، وأن قيام الساعة موكول أمرها ووقتها إلى الله وحده، وما على الإنسان إلا الإيمان بالله وباليوم الآخر، وما الرسول ﷺ إلا منذر بها.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ (النازعات الآية ٣٤)، إلى قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾ (النازعات الآية ٤٦).

وهكذا: نجد أن سورة النازعات بما تضمنته من آيات تحدثت عن الطامة الكبرى يوم القيامة ووقوعه، وحساب الناس وجزاؤهم على ما عملوا في الدنيا، والرد على المنكرين له. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٠- سورة عبس

أولًا: مقصود سورة عبس:

﴿الدعوة إلى الله لجميع الخلق، والهداية بيده سبحانه، والتحذير من الكفر به﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة عبس، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: شرح ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ (النازعات الآية ٤٥)، بأن المراد الأعظم: تزكية القابل للخشية للتخويف بالقيامة"(١).

٢- بن عاشور، حيث قال: "تعليم الله رسوله ﷺ الموازنة بين مراتب المصالح، ووجوب الاستقراء لخفياتها"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تذكير الكافرين المستغنين عن ربهم ببراهين البعث"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة عبس خمسة أسماء، هي:

١- سورة عبس، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به.

---

(١) نظم الدرر ٢٤٩/٢١، ومصاعد النظر ١٥٧/٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٠٢/٣٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٥.

٢- سورة السفرة، لورود لفظ "السفرة" فيها، في قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (الآية ١٥).

٣- سورة الصاخة، لورود لفظ "الصاخة" فيها، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (الآية ٣٣).

٤- سورة الأعمى، لورود لفظ "الأعمى" فيها، في قوله تعالى: ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ (الآية ٢).

٥- سورة ابن أم مكتوم، لكونه سببًا في نزول السورة، وهو الأعمى الذي جاء ذكره فيها[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما فيها من خطاب للنبي ﷺ على عبوسه في وجه الأعمى "ابن أم مكتوم"[٢]، وأعرض عنه منشغلاً مع جماعة يدعوهم إلى الإيمان.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة عبس اثنتين وأربعين آية، شملت الحديث عمّا يلي:

١- مخاطبة النبي ﷺ حين جاءه الأعمى عبد الله بن أم مكتوم للتعلم، وكان ﷺ مشغولاً في دعوة جماعة من كفار قريش إلى الإسلام، فعبس وجه النبي ﷺ وأعرض عنه، فجاءه التوجيه الإلهي بعدم الإعراض عنه، لعله يتطهر من الذنوب وتنفعه تذكرتك له، وليمتثل ذلك أمتك، فالقرآن تذكرة وموعظة للجميع.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥٠١/١، ونظم الدرر ٢٤٩/٢١، والتحرير والتنوير ١٠١/٣٠.

(٢) ينظر: غرائب التفسير للكرماني ١٣٠٧/٢.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ (عبس الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ (عبس الآية ١٦).

٢- إقامة الأدلة على قدرة الله تعالى وفضله ونعمه، وأن الإنسان دائم الكفران بالله وبإعادة خلقه وحسابه، مع أنه مخلوق من نطفة، ثم يموت فيقبر، ثم يبعث، فلماذا لا ينظر إلى النعم التي تقوم بها حياته من طعام وشراب، فيؤمن بالله وبنبيه ووحيه؟.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ (عبس الآية ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ (عبس الآية ٣٢).

٣- بيان بعض أهوال يوم القيامة وأحوالها، وأن القرابة لا تنفع ذلك اليوم، فعلى الإنسان أن يُعرض عن التكبر والكفر بنعم الله، وأن يتواضع لكل أحد، ويؤمن بالله ويتبع الهدى. وبيان أن الناس يوم القيامة فريقان: سعداء مسفرة وجوههم، وأشقياء مغبرة وجوههم.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ (عبس الآية ٣٣)، إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ (عبس الآية ٤٢).

وهكذا: نجد أن سورة عبس في مجمل آياتها دعت إلى القيام بالدعوة إلى الإيمان بالله لجميع الخلق، وأن يعلم الداعي أن الهداية بيد الله يمنحها من يشاء، وحذرت من الكفر بالله وببعثه لخلقه وحسابهم. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨١- سورة التكوير

أولاً: مقصود سورة التكوير:

﴿أمارات القيامة وعلاماتها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة التكوير، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: التهديد الشديد بيوم الوعيد، الذي هو محط الرحال"(١).

٢- بن عاشور، حيث قال: "اشتملت على تحقيق الجزاء صريحًا، وعلى إثبات البعث، وابتديء بوصف الأهوال التي تتقدمه، وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه، وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: كمال القرآن في تذكير الأنفس باختلال الكون عند البعث"(٣).

---

(١) نظم الدرر ٢٧٤/٢١، ومصاعد النظر ١٦١/٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٣٩/٣٠، ١٤٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٦.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة التكوير اسمان، هما:

١- سورة التكوير، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: أخذًا من قوله تعالى فيها: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ (الآية ١).

٢- سورة إذا الشمس كورت، لابتدائها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لأن السورة ابتدأت بوصف مقدمات يوم القيامة، ومن ذلك: تكوير الشمس، أي: اجتمع ضوؤها ولف كما تلف العمامة، فالذي خلق الشمس وجعل لها مدارًا خاصًّا بها، قادر على إفساد جرمها يوم القيامة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة التكوير تسعًا وعشرين آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١-وصف مقدمات يوم القيامة باثني عشر حالًا وظرفًا، دلت على قدرة الله تعالى وسرعته في تدمير الكون وخروجه من نظامه المحكم، وعلى خضوع الكون لله جل وعلا والاستسلام لمشيئته، وأن على البشر الإعداد لهذا اليوم بما يحقق لهم الأمن والأمان، يوم الحساب والجزاء.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ (التكوير الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ (التكوير الآية ١٤).

---

(١) ينظر جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٠٣/١، والتحرير والتنوير ١٣٩/٣٠.

٢-إقسام الله ﷻ بعدد من الظواهر الكونية المرئية والمشاهدة بشكل يومي، على أن القرآن تبليغ رسول كريم هو جبريل الأمين الكريم العزيز عند الله. نزل به من الله على قلب محمد ﷺ، مما يدل على إثبات نبوته ورسالته وأمانته في تبليغ الوحي، فيكف يُكَذَّب به، ولا يؤمن بما جاء به من إثبات البعث والحساب والجزاء.

جاء ذلك في خمس عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾ (التكوير الآية ١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير الآية ٢٩).

وهكذا: نجد أن سورة التكوير بما تضمنته آياتها بينت أمارات وعلامات ظهور يوم القيامة، وأن ما يذكره القرآن الكريم هو صدق وحق وذكر للعالمين. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٢- سورة الانفطار

أولًا: مقصود سورة الانفطار:

﴿إثبات يوم الدين، وعظم شأنه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الانفطار، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة، اغترارًا بإحسان الرب وكرمه، ونسيانًا ليوم الدين، الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني فيه نفس عن نفس شيئًا"(١).

٢-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تحذير الإنسان من الاغترار ونسيان يوم القيامة"(٢).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الانفطار ثلاثة أسماء، هي:

١-سورة الانفطار، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: أخذًا مما ورد في افتتاحها بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ (الآية ١).

٢-سورة إذا السماء انفطرت، لافتتاحها به.

٣-سورة انفطرت، لوروده في مطلعها(٣).

---

(١) نظم الدرر ٢٩٨/٢١، ومصاعد النظر ١٦٥/٣.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٧.

(٣) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٠٥/١، والتحرير والتنوير ١٦٩/٣٠.

ودلالة اسمها على مقصودها: لما في وصف السماء بالانفطار الذي سيحصل لها يوم القيامة، مما يدل على كمال قدرة الله تعالى أن ذلك اليوم يوم عظيم بجميع أهواله وما يحدث فيه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الانفطار تسع عشرة آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١-وصف مقدمات يوم الدين، وتهويل شأنه بأربع حالات وأظرف، دلت على قدرة الله تعالى، وأن الإنسان سيحاسب فيه على ما قدَّم وأخَّر.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾ (الانفطار الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾ (الانفطار الآية ٥).

٢-التنديد بجحود الإنسان الجاحد ليوم الدين، بنعمة الله عليه بخلقه في أحسن تقويم، فلماذا التكذيب بيوم الدين الواقع لا محالة، وفيه الحساب والجزاء على الأعمال بالعدل والقسط، إذ يقوم على الإنسان ملائكة حفظة كَتَبة يدونون كل ما يعمله الإنسان، وبيان مصير الناس وانقسامهم يوم القيامة إلى فريقين: الأبرار المنعمون، والفجار المعذبون، حيث تتجرد في هذا اليوم النفوس من نفسها وقوتها، ويبقى الأمر لله وحده.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ (الانفطار الآية ٦)، إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ (الانفطار الآية ١٩).

وهكذا: نجد أن سورة الانفطار تحدثت في مجملها عن يوم الدين، ووقوعه، وأهواله، وحساب الناس فيه: المؤمنون به، والجاحدون له، كل بحسب علمه وما قدم. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٣- سورة المطففين

أولًا: مقصود سورة المطففين:

﴿الوعيد للمطففين بيوم العدل والميزان يوم الجزاء والحساب﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المطففين، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: لا بد من دينونة العباد يوم التناد بإسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، والأشقياء أهل الضلال والعناد دار الجحيم"(١).

٢-بن عاشور، حيث قال: "اشتملت على التحذير من التطفيف في الكيل والوزن وتفضيعه بأنه تَحَيّل على أكل مال الناس في حال المعاملة أخذًا وإعطاءً"(٢).

٣-وجاء في المختصر: "تحذير المكذبين الظالمين من يوم القيامة وبشارة المؤمنين به"(٣).

---

(١) نظم الدرر ٣١٠/٢١، ومصاعد النظر ١٦٨/٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٨/٣٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٧.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة المطففين ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة المطففين، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود هذا اللفظ في افتتاحها في قوله تعالى: ﴿وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ (الآية ١).

٢- سورة ويل للمطففين لافتتاحها به.

٣- سورة التطفيف، أخذًا من لفظة "المطففين"[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لبيانها أن من أخل بحقوق الخلق استحق الويل من الحق -تبارك وتعالى- فكيف بمن أخل بحقوق الله من الإيمان به وبآياته ورسله وباليوم الآخر[2].

والمطففون: هم الذين يبخسون المكيال والميزان بأخذ حق غيرهم، ووصفهم بذلك للدلالة على أنهم إن كان لهم الحق أخذوه مع زيادة، وإن كان عليهم الحق أعطوه مع تخسير، والذي دفعهم إلى ذلك: عدم إيمانهم بميزان العدل الإلهي يوم القيامة[3]. والتطفيف: الأخذ القليل الطفيف.

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، ومصاعد النظر ١٦٨/٣، والتحرير والتنوير ١٨٧/٣٠.

(٢) ينظر: تفسير المهائمي ٥١٥/٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣٤٦/٨.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المطففين ستًا وثلاثين آية، شملت الحديث عما يلي:

١- تحذير المطففين بالكيل والميزان من العذاب الشديد يوم القيامة، حيث ميزان الآخرة عدل لا تطفيف فيه، وأن الذي دفعهم إلى ذلك إنكار البعث والحساب، أو الغفلة عنهما.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين الآية ٦).

٢- الوعيد الشديد للفجار المكذبين بيوم الدين، وأن جميع أعمالهم مسطرة مكتوبة في كتاب مرقوم، لا زيادة فيها ولا نقصان، وليس كميزان الدنيا الذي يستغله المطففون، وبيان جزائهم فيه، فهم محجوبون عن ربهم، وملازمون الجحيم، والنار تصلاهم من كل جانب.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين الآية ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المطففين الآية ١٧).

٣- الوعد للأبرار المؤمنين بيوم الدين بالنعيم الدائم، وبيان منزلتهم عند الله، ورصد أعمالهم في كتاب مرقوم لا يشهده إلا الملائكة المقربون.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ (المطففين الآية ١٨)، إلى قوله تعالى: ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين الآية ٢٨).

٤- بيان بعض أعمال المجرمين المكذبين بيوم الدين بالاستهزاء بالمؤمنين في الدنيا، وكيف عاقبهم الله بالمثل في الآخرة. تسلية للمؤمنين، وتقوية لهم.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴾ (المطففين الآية ٢٩)، إلى قوله تعالى: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (المطففين الآية ٣٦).

وهكذا: نجد أن سورة المطففين بما تضمنته آياتها، تناولت تطفيف الناس بالكيل والميزان، وعقوبة ذلك يوم العدل بين الناس، وجزاء من آمن وصدق، ومن كفر وكذب بيوم البعث والحساب.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٤- سورة الانشقاق

أولًا: مقصود سورة الانشقاق:

﴿وصف يوم القيامة، وحساب الناس فيه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الانشقاق، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الأولياء ينعمون، والأعداء يعذبون؛ لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على المَلِك الذي أوجدهم ورباهم"[(١)].

٢- بن عاشور، حيث قال: "وصف أشراط الساعة، وحلول يوم البعث، واختلاف أحوال الخلق يومئذ بين أهل نعيم وأهل شقاء"[(٢)].

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تذكير الإنسان برجوعه لربه، وبيان ضعفه، وتقلب الأحوال به"[(٣)].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الانشقاق اسمان، هما:

١- سورة الانشقاق وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: أخذًا مما ورد في مطلعها في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ (الآية ١).

---

(١) نظم الدرر ٣٣٥/٢١، ومصاعد النظر ١٧٢/٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢١٧/٣٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٨٩.

٢- سورة إذا السماء انشقت، لافتتاحها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لما فيها من انشقاق السماء يوم القيامة، وهو أحد علاماتها، ويدل هذا الانشقاق على قدرة الله تعالى واستسلام الكون له يوم القيامة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الانشقاق خمسًا وعشرين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١-انشقاق السماء وتصدعها، ومدُّ الأرض ودكها، وإخراج أمواتها وما فيها، يوم القيامة، واستسلامها لربها.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ (الانشقاق الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ (الانشقاق الآية ٥).

٢-بيان أن حال الإنسان في الدنيا الكدح والتعب، وإذا لقي ربه إما أن يعطى كتاب عمله بيمينه فيحاسب حسابًا يسيرًا ويرجع إلى أهله مسرورًا، وإما أن يعطى كتاب عمله بشماله فينادي بهلاك نفسه بسبب البطر وإنكار المعاد والحساب.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق الآية ٦)، إلى قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا﴾ (الانشقاق الآية ١٥).

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥١٨/١، ومصاعد النظر ١٧١/٣، والتحرير والتنوير ٢١٧/٣٠.

٣-تأكيد وقوع يوم القيامة بالقسم بالشفق والليل والقمر، وتعرض الناس للأهوال ذلك اليوم.

جاء ذلك في أربع آيات، هي قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (الانشقاق الآيات ١٦- ١٩).

٤-التعجيب من حال الكافرين باليوم الآخر بعد كل الدلائل، عنادًا واستكبارًا، وتبشيرهم بالعذاب الأليم، ما عدا المؤمنين العاملين بالصالحات فلهم الثواب الدائم.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الانشقاق الآية ٢٠)، إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ (الانشقاق الآية ٢٥).

وهكذا: نجد أن سورة الانشقاق تناولت آياتها القيامة ووصف أهوالها، وحال الناس فيها حسب أعمالهم في الدنيا. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٥- سورة البروج

أولًا: مقصود سورة البروج:

﴿إظهار قدرة الله تعالى وبطشه من الظالمين المتجبرين﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة البروج، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على القدرة -على مقصود الانشقاق الذي هو صريح آخرها- من تنعيم الولي وتعذيب الشقي"(١).

٢- وهبة الزحيلي، حيث قال: "التضحية في سبيل الإيمان والاعتقاد، ممثلًا في قصة أصحاب الأخدود"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان قوة الله وإحاطته الشاملة ونصرته لأوليائه، والبطش بأعدائه"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة البروج اسمان، هما:

١- سورة البروج، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظة "البروج" في مطلعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ (الآية ١).

---

(١) نظم الدرر ٣٥٢/٢١، ومصاعد النظر ١٧٦/٣.

(٢) التفسير المنير ١٥٢/٣٠

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٠.

٢- سورة والسماء ذات البروج، لافتتاحها به[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث دل القَسَم بالسماء وبروجها عل الانتقام من الكافرين والبطش بهم، مما يدل على أن من خلقها وجعل لها مدارات خاصة، قادر على ما هو أعظم من ذلك، وهو البطش بالمجرمين والانتقام منهم.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة البروج اثنتين وعشرين آية، شمل الحديث فيها ما يلي:

١-إقسام الله ﷻ بالسماء، وبيوم القيامة، وبالأنبياء الذين يشهدون على أممهم أفعالهم، على إهلاك وتدمير المجرمين، الذين أحرقوا المؤمنين بالنار التي أعدوها بعد شقهم للأخدود، ليفتنوهم عن دينهم. ووعيد الله لهؤلاء الطغاة بعذاب جهنم وعذاب الحريق. ووعد المؤمنين بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ (البروج الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ (البروج الآية ١١).

٢-إظهار عظمة الله وكمال قدرته، لتأكيد وعده ووعيده، والاعتبار بإهلاك الأمم الكافرة، فرعون وثمود، ترهيبًا للكفار، وتثبيتًا للمؤمنين.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (البروج الآية ١٢)، إلى قوله تعالى: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ (الآية ٢٢).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣٦/٣٠.

وهكذا: نجد أن سورة البروج تناولت الحديث عن قدرة الله تعالى وانتقامه وبطشه من الظالمين المتجبرين، ونصره للمؤمنين المستضعفين. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٦- سورة الطارق

أولًا: مقصود سورة الطارق:

﴿إثبات قدرة الله على البعث والجزاء على العمل﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الطارق، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان مجد القرآن في صدقه في الإخبار بتنعيم أهل الإيمان، وتعذيب أهل الكفران، في يوم القيامة، حين تبلى السرائر، وتكشف الضمائر، عن مثقال الذر"(١).

٢- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان قدرة الله وإحاطته في خلق الإنسان وإعادته"(٢).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الطارق اسمان، هما:

١-سورة الطارق، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظة "الطارق" فيها، في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ (الآية ١).

٢-سورة والسماء والطارق، لافتتاحها به(٣).

---

(١) نظم الدرر ٢١/٣٧٠، ومصاعد النظر ٣/١٧٨.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩١.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٥١٢، والتحرير والتنوير ٣٠/٢٥٧.

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث أقسم الله ﷻ بأحد الظواهر الكونية التي خلقها، وهو الطارق النجم الذي يسطع ليلًا على قدرته ﷻ على البعث والحساب، فالذي قدر أن يخلق هذا النجم ويحكم صنعه قادر على ما هو أدنى منه وهو بعث الناس الذين سبق أن خلقهم وحسابهم.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الطارق سبع عشرة آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- إقسام الله ﷻ بالسماء والكواكب المضيئة على أن لكل نفس حافظًا من الملائكة.

جاء ذلك في أربع آيات، هي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ (الطارق الآيات ١- ٤).

٢- إقامة الدليل على البعث والحساب بخلق الإنسان أول مرة من تراب ثم من نطفة، فالذي قدر على إنشائه قادر على إعادته وجزائه في يوم لا قوة ولا ناصر للعبد حينئذ.

جاء ذلك في ست آيات، هي قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾ (الطارق الآيات ٥، ١٠).

٣- إقسام الله ﷻ على صدق القرآن، والوعيد للمكذبين به الكائدين للنبي ﷺ، مع إمهالهم واستدراجهم للتحذير من عملهم، والترغيب في خلاف طريقتهم.

جاء ذلك في سبع آيات، هي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ (الطارق الآيات ١١- ١٧).

وهكذا: نجد أن سورة الطارق بما تضمنته آياتها تتحدث عن قدرة الله ﷻ على البعث والحساب والجزاء، من خلال قدرته على خلق الإنسان أول مرة، وبالتالي قدرته على إرجاعه حيث لا حول ولا قوة للإنسان في نفسه، وأن ما جاء به القرآن والنبي ﷺ هو الحق والصدق، وتأخير العذاب عن المكذبين بهما إمهال واستدراج لعلهم يرجعون. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٧- سورة الأعلى

أولًا: مقصود سورة الأعلى:

﴿تنزيه الرب الأعلى، لنيل الجزاء الأوفى، والخُلُق الأسمى﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الأعلى، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إيجاب التنزيه للأعلى سبحانه وتعالى على أن يلحق ساحة عظمته شيء من شوائب النقص"(١).

٢-وهبة الزحيلي، حيث قال: "الحديث عن توحيد الله وقدرته، والقرآن وتيسير حفظه، والأخلاق الكريمة بتهذيب النفس الإنسانية"(٢).

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تذكير النفس بالحياة الأخروية، وتخليصها من التعلقات الدنيوية"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الأعلى اسمان، هما:

١- سورة الأعلى، لوروده فيها، في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ (الآية ١).

---

(١) نظم الدرر ٣٨٧/٢١، ومصاعد النظر ١٨٠/٣.

(٢) التفسير المنير ١٨٥/٣٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩١.

٢- سورة سبح اسم ربك الأعلى، لافتتاحها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: فاسمها الأعلى وهو الله المنزه عن كل نقص وعيب، حقيق بأن يعبد وينزه ويذكر اسمه ويصلى له، فهو طريق الفلاح والجزاء الأوفى.

رابعًا: دلال آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الأعلى تسع عشرة آية، تحدثت في مجملها عمّا يلي:

١- تنزيه الله عن كل ما لا يليق به في ذاته وأسمائه وصفاته، وأن ذلك طريقٌ إلى الفلاح، وحفظ القرآن وعدم نسيانه، حيث يسر الله لنبيه المسبح لله بحيث لا ينساه أبدًا، ووفقه ويسره للشريعة السمحة.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ (الأعلى الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ (الأعلى الآية ٨).

٢- التذكير بالقرآن لإصلاح النفوس وتهذيب الطبائع، وأن من ينتفع بذلك هو: من طهر نفسه من الشرك والكفر والمعاصي، وعمل للآخرة وآثرها على الدنيا، وهذا الأمر نادى به كل الرسل، ومن ذلك ما ورد في صحف إبراهيم وموسى.

جاء ذلك في أحد عشر آية، من قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ (الأعلى الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (الأعلى الآيتان ١٨، ١٩).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥١٤/١، ونظم الدرر ٣٨٧/٢١، والتحرير والتنوير ٢٧١/٣٠.

وهكذا: نجد أن سورة الأعلى، وما تناولته آياتها تتحدث عن تنزيه الله جل وعلا عن كل ما لا يليق به سبحانه، وأن الإيمان به والإخلاص له الطريق إلى الفلاح وحفظ القرآن وعدم نسيانه، والتحلي بالنفوس الزكية والخلق الأسمى. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٨- سورة الغاشية

أولًا: مقصود سورة الغاشية:

﴿بيان أهوال يوم القيامة، وحال البؤس لوجوه المكذبين، والرضا لوجوه المؤمنين﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الغاشية، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: التخويف بظهور القيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحقين للمثوبة وإقامة الحجة على وجود الحق، ووعظ الرسول ﷺ للأمة، على سبيل الشفقة، وأن المرجع إلى الله تعالى في العاقبة"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تنزيه الله ﷻ عن العبث، بإثبات الدار الآخرة، التي الغاشية مبدؤها، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التذكير بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب، والنظر في براهين قدرة الله"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥١٦/١.

(٢) نظم الدرر ١/٢٢، ومصاعد النظر ١٨٦/٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٢.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الغاشية اسمان، هما:

١-سورة الغاشية، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لوروده فيها، في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ (الآية ١).

٢-سورة هل آتاك حديث الغاشية، لافتتاحها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: لبيانها ما يغشى الناس من أهوال يوم القيامة، مما يؤثر على وجوههم، فمنها ما هي خاشعة عاملة ناصبة، ومنها ما هي ناعمة لسعيها راضية.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الغاشية ستًا وعشرين آية، شملت ما يلي:

١- وصف أهوال يوم القيامة، وما يلقاه الكفار المكذبون من النار الحامية والطعام الضريع، ويظهر الخشوع والنصب على وجوههم. وما يلقاه المؤمنون المصدقون من الثواب والدار والمأكل والمشرب، ويظهر الرضا والنعومة على وجوههم.

جاء ذلك في ست عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ (الغاشية الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ (الغاشية الآية ١٦).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥١٦/١، والتحرير والتنوير ٢٩٣/٣٠.

٢- إثبات قدرة الله وحكمته على البعث بخلق الإبل، ورفع السماء، ونصب الجبال، وسطح الأرض. والتوجيه الإلهي للرسول ﷺ بتذكيرهم بهذه الأدلة لينظروا فيها، ومن أعرض فله العذاب الأكبر، والحساب من الله تعالى.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية الآية ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ (الغاشية الآية ٢٦).

وهكذا: نجد أن سورة الغاشية، وما تضمنته آياتها تتحدث عن يوم القيامة، وأحوال الناس فيها، والأدلة على قدرة الله تعالى على البعث والحساب. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٨٩- سورة الفجر

أولًا: مقصود سورة الفجر:

﴿الدعوة إلى العمل الصالح النافع ليوم القيامة﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

عرض عدد من العلماء مقصود سورة الفجر، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإياب والحساب بالثواب والعقاب"(١).

٢- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان عاقبة الطغاة، والحكمة من الابتلاء، والتذكير بالآخرة"(٢).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الفجر اسم واحد هو: سورة الفجر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (الآيتان ١، ٢)(٣).

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث أقسم الله ﷻ بالفجر، الذي هو أحد أزمان اليوم المباركة، وأكثرها دلالة على الحياة بعد الموت، لأنه يعقب النوم، للإفادة منه في الأعمال الصالحة.

---

(١) نظم الدرر ٢١/٢٢، ومصاعد النظر ١٩٠/٣.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٣.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥١٨/١.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الفجر ثلاثين آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١-إقسام الله ﷻ بالفجر، والليالي العشر، والشفع والوتر، على أن عذاب الكفار واقع لا مَفَرَّ منه، ولا شك أن القَسَم بها ينبيء عن أهميتها، وما فيها من فوائد دينية ودنيوية. ثم ذكر الله أمثلة لمن عذبهم وأهلكهم بشتى أنواع العذاب، من الأمم المكذبة برسلها وهم: عاد، وثمود، وفرعون. وهؤلاء تجمعهم القوة والشدة والتجبر ومجاوزة الحد في الظلم والعدوان.

جاء ذلك في أربع عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ (الفجر الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ (الفجر الآية ١٤).

٢-بيان حال الإنسان مع الآخرة، حيث لا يهمه إلا الدنيا ولذاتها، فإذا تنعم ورزق، قال: ربي أكرمني، وإن فقدها، قال: ربي أهانني وأذلني. وهو مخطيء في الحالين، فسعة الرزق وضيقه ليسا دليلين على الاستحقاق وعدمه، إنما الموفق من يعمل للآخرة، ويؤدي حق الله عليه من: إكرام اليتامى والمساكين، وعدم الاستئثار بالميراث عن من يستحق شيئًا منه، وعدم الحرص على المال حرصًا شديدًا.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ (الفجر الآية ١٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ (الفجر الآية ٢٠).

٣-وصف مشهد من مشاهد الآخرة، وحسرة الإنسان الذي لم يستعد للقاء ربه، أما المؤمن المترفع عن الدنيا وعن شهواتها، فإن نفسه مطمئنة راضية بما أعطاها الله إياه، ومرضية عند الرب جل وعز.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (الفجر الآية ٢١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر الآية ٣٠).

وهكذا: نجد أن سورة الفجر بما حوته في آياتها حثت على الأعمال الصالحة، والاستفادة من الأوقات المباركة، بما ينفع الإنسان يوم القيامة. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٩٠- سورة البلد

أولًا: مقصود سورة البلد:

﴿الدنيا دار بلاء ومشقة، والمخرج منها: الإيمان بالله، والإكثار من الأعمال الصالحة﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة البلد، ومن هؤلاء:

١-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان"[(١)].

٢-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان افتقار الإنسان وكبده وسبل نجاته"[(٢)].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة البلد ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة البلد، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "البلد" في مطلعها، في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ (الآية ١).

٢- سورة لا أقسم بهذا البلد، لافتتاحها به.

٣- سورة العقبة، لقوله تعالى فيها ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ (الآية ١١)[(٣)].

---

(١) نظم الدرر ٤٥/٢٢، ومصاعد النظر ١٩٣/٣.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٤.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥٢٠/١، والتحرير والتنوير ٣٤٥/٣٠.

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث أقسم الله ﷻ بالبلد الحرام –مكة– الذي شرفه الله بالبيت العتيق العظيم الشأن، على أن الإنسان خلق في كبد، والإيمان بالله، والأعمال الصالحة خير معين له من الضجر والكدر.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة البلد عشرين آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١–إقسام الله ﷻ بالبلد الحرام على أن الحياة الدنيا طبيعتها الكد والتعب والنَّصَب، وتوبيخ الإنسان الذي يظن أن لا يقدر عليه أحد، وينفق ماله كيف يشاء، وأنه غير محاسب عليه، والله غير مطلع عليه.

جاء ذلك في سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ (البلد الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ (البلد الآية ٧).

٢–التذكير بنعم الله على الإنسان من: البصر، والنطق، والجمال، والعقل، والفكر، المميز بين الحق والباطل، وطريقي الخير والشر، وذلك دليل على قدرة الله وعظيم صنعه، المستحق للعبادة والشكر وحده. وبينت أن الناس في ذلك صنفان: **المؤمنون** المتواصون بالصبر والرحمة والعاملون بذلك، هم أصحاب الميمنة، **والكافرون** بالله وبالقرآن هم أصحاب المشأمة ومصيرهم النار.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ﴾ (البلد الآية ٨)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ (البلد الآيتان ١٩، ٢٠).

وهكذا: نجد أن سورة البلد بما تضمنته آياتها بينت أن الإنسان في كبد ومشقة، وأعطاه الله القدرة على التمييز بين الحق والباطل، فمتى ما آمن وعمل صالحًا فله الجزاء الأوفى، ومتى ما كفر ولم يؤمن بربه فله الكبد في الدنيا والآخرة.. وهو ما قرناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٩١- سورة الشمس

أولًا: مقصود سورة الشمس:

﴿فلاح من آمن بالوحي وزكّى نفسه، وخيبةُ من كفر بالوحي واتبع هواه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الشمس، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "مقصود السورة: إلهام الخلق في الطاعة والمعصية، والفلاح والخيبة، والخبر من إهلاك ثمود، وتخويف لأهل مكة"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إثبات تصرفه ﷻ في النفوس"(٢).

٣- بن عاشور، حيث قال: "تهديد المشركين بأنهم يوشك أن يصيبهم عذاب بإشراكهم وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ،كما أصاب ثمودا بإشراكهم وعتوهم على رسول الله إليهم الذي دعاهم إلى التوحيد"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التأكيد بأطول قسم في القرآن على تعظيم تزكية النفس بالطاعات، وخسارة دسَّها بالمعاصي"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥٢٢/١.

(٢) نظم الدرر ٦٩/٢٢، ومصاعد النظر ١٩٦/٣.

(٣) التحرير والتنوير ٣٦٥/٣٠.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٥.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الشمس اسمان، هما:

١-سورة الشمس، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظة "الشمس" في مطلعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ (الآية ١).

٢-سورة والشمس وضحاها، لافتتاحها به[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: أن القسم بالشمس المضيئة، يدل على أن من خلقها، وجعل الليل والنهار ناشئين عنها هو الذي أنزل القرآن، فمن اتبع هداه وتزكّى كان من المفلحين. ومن كفر به واتبع هواه كان من الخائبين.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الشمس خمس عشرة آية، شملت الحديث عمّا يلي:

١-إقسام الله ﷻ بسبعة من مخلوقاته وأحوالها، مما يدل على بديع صنعه ﷻ على أن المفلح من آمن وزكّى نفسه، وأن الخائب من كفر واتبع هواه.

جاء ذلك في عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ (الشمس الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (الشمس الآية ١٠).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٥٢٢، والتحرير والتنوير ٣٠/٣٦٥.

٢-بيان مصير من كفر واتبع هواه، من خلال ما حَلَّ بثمود، حين كذبوا رسولهم صالح عليه السلام من إطباق الأرض عليهم وتسويتها بهم، فكذلك الذين كذبوا محمدًا ﷺ فقد يحل بهم ما حل بأسلافهم من الأمم السابقة.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ (الشمس الآية ١١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ (الشمس الآية ١٥).

وهكذا: نجد أن سورة الشمس، وما تضمنته آياتها تناولت الفالحين ممن آمن بالوحي وزكّى نفسه، والخائبين ممن كفر بالوحي واتبع هواه، عظة وعبرة للناس من أن يحصل لهم مثل ما حصل لقوم ثمود حين كذبوا رسولهم صالحًا. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

٩٢- سورة الليل

أولًا: مقصود سورة الليل:

﴿علم الله وإحاطته بأعمال العباد خيرها وشرها، وجزاؤهم عليها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الليل، ومن هؤلاء:

١-ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال عن سورة الليل: "إني لأقول: إن هذه السورة نزلت في: السماحة والبخل"(١).

٢-الفيروزآبادي، حيث قال: " مقصود السورة: تفاوت حال الخلق في الإساءة والإحسان، وهدايتهم إلى شأن القرآن، وترهيب بعض بالنار، وترغيب بعض بالجنان، والبدار إلى الصدقة كفارة للذنوب والعصيان، ووعد بالرضى الرحمن المنان"(٢).

٣-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إثبات كمال القدرة بالاختيار باختلاف الناس في السعي مع اتحاد مقاصدهم، وهي الوصول إلى الملاذ من شهوة البطن والفرج وما يتبع ذلك من الراحة"(٣).

٤-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان أحوال الخلق في الإيمان

---

(١) الأثر أورده السيوطي في الدر المنثور ٥٣٣/٨، وعزاه لابن مردويه.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٥٢٣/١.

(٣) نظم الدرر ٨٥/٢٢، ومصاعد النظر ١٩٨/٣.

والإنفاق وحال كل فريق"[1].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الليل اسمان، هما:

١-سورة الليل، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الليل" في مطلعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ (الآية ١).

٢-سورة والليل إذا يغشى، لافتتاحها به[2].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث إن قسم الله بالليل وما يغطيه من الأسرار والأحداث الخفية، دليل على أن علم الله تام على جميع الأشياء ظاهرها وخفيها.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الليل واحدًا وعشرين آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١-إقسام الله ﷻ بالليل والنهار، والذكر والأنثى، على علمه ﷻ بأعمال البشر خيرها وشرها، ومجازاتهم عليها للمحسن اليسرى، وللمسيء العسرى، والله ﷻ يدل على طريق الهدى من طريق الضلال، والخير من الشر، والكل تحت ملك الله وتصرفه.

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية، من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ (الليل الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ (الليل الآية ١٣).

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٧٧/٣٠.

٢-التحذير من سلوك طريق النار ومن سيصلاها ويحترق بها، ومن يتجنبها ويسلم من عذابها.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ (الليل الآية ١٤)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (الليل الآية ٢١).

وهكذا: نجد أن سورة الليل بما تضمنته آياتها تشير إلى علم الله تعالى التام بأحوال العباد وأعمالهم وإحاطتهم بها، ودلهم على طريق الهدى والضلال، ومجازاة من يسلك أحد الطريقين. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٩٣- سورة الضحى

أولًا: مقصود سورة الضحى:

﴿تطمين النبي ﷺ، وتثبيته في دعوته﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الضحى، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "بيان ما للرسول ﷺ: من الشرف والمنقبة، ووعده في القيامة بالشفاعة، وذكر أنواع الكرامة له، والمنة، وصيانة الفقر واليتم من بين الحرمان والمذلة، والأمر بشكر النعمة"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على أن أتقى الأتقياء الذي هو الأتقى على الإطلاق في عين الرضا دائما، لا ينفك عنه في الدنيا والآخرة"(٢).

٣-بن عاشور، حيث قال: "إبطال قول المشركين إذْ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي ﷺ قد انقطع عنه"(٣).

٤-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان عناية الله بنبيه في أول أمره وآخره"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٢٥.

(٢) نظم الدرر ٢٢/١٠٠، ومصاعد النظر ٣/٢٠٢.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٤.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٦.

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الضحى اسم واحد هو: سورة الضحى لافتتاحها به في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الآيتان ١، ٢)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث افتتحت بالقسم بـ"الضحى" وهو ابتداء النهار وأشرفه على عدم تخلي الحق جل وعلا عن نبيه محمد ﷺ قبل البعثة وبعدها.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الضحى أحد عشر آية، شملت الحديث عن:

إقسام الله ﷻ بالضحى والليل على أن الله ﷻ ما قلا رسوله، ولا أبغضه، ولا تركه منذ خلقه، بل وعده الله وبشره بأن الآخرة خير له من الأولى، وسوف يرضيه ويعطيه ما يريد، وأنعم عليه بنعم كثيرة ومنها: أنه كان يتيمًا فآواه ولم يتخل عنه، وهداه إلى الإيمان والوحي، وأغناه حين كان فقيرًا ذا عيال. وتوجيهه بأن يشكر نعم الله عليه بعدم قهر اليتيم، وعدم نهر السائل، وأن يتحدث بنعم الله عليه.

جاء ذلك في السورة كاملة.

وهكذا: نجد أن سورة الضحى، وما تضمنته آياتها تتحدث عن النبي ﷺ، ورعاية الله له بتطمينه وتثبيته في دعوته والرسالة التي بعث فيها، وتبشيره بأن أحواله الآتية خير من الماضية، وما أعدَّ له في الآخرة خير له من الأولى، وأنه سيعطيه ما يرضيه في الدنيا بالنصر والتأييد وغلبة الدِّيْنِ وظهوره. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٥٢٥.

٩٤- سورة الشرح

أولًا: مقصود سورة الشرح:

﴿شرح صدر النبي ﷺ، وإزالة الشدة عنه، بعد تحمله أعباء الرسالة﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الشرح، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: " بيان شرح صدر المصطفى ﷺ ورفع قدره وذكره، وتبديل العسر من أمره ليسره، وأمره بالطاعة في انتظار أجره، والرغبة إلى الله - تعالى - والإقبال على ذكره"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة، وبيان أن المراد بالتحدث بها هو: شكرها بالنصب في عبادة الله، والرغبة إليه بتذكر إحسانه وعظيم رحمته بوصف الربوبية وامتنانه"(٢).

٣-بن عاشور، حيث قال: "عناية الله تعالى لرسوله ﷺ بلطف الله له وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه"(٣).

٤-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: المنة على النبي ﷺ بتمام النعم المعنوية عليه"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٢٦.

(٢) نظم الدرر ٢٢/١١٥، ومصاعد النظر ٣/٢٠٧.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٤٠٧

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٦.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الشرح ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة الشرح، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: أخذًا من قوله تعالى في مطلعها: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ (الآية ١).

٢- سورة ألم نشرح، لافتتاحها به.

٣- سورة الإنشراح، وهي تسمية بمصدر "شرح"[(١)].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث دل اسمها على شرح صدر النبي ﷺ، لأداء الرسالة التي كلف بها.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الشرح ثمان آيات، تحدثت عن نعم الله على نبيه محمد ﷺ لتحمل أعباء الرسالة، وهي: شرح صدره، وحط الذنوب والأوزار عنه، ورفع منزلته وذكره وقدره، وتيسير المعسر، وتفريج الكرب عليه، وتوجيهه بالدوام على العبادة حال فراغه من تبليغ الدعوة والرغبة بالرب جل وعز.

جاء ذلك في كامل السورة.

وهكذا: نجد أن سورة الشرح، وما تضمنته آياتها تحدثت عن النبي ﷺ، وما أنعم الله عليه من شرح الصدر، وحط الوزر، ورفع المنزلة والذكر، لكي يؤدي رسالته على أكمل وجه. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، والتحرير والتنوير ٤٠٧/٣٠، وأسماء سورة القرآن الكريم للشايع ٢١٣.

٩٥- سورة التين

أولًا: مقصود سورة التين:

﴿خَلْقُ الإنسان وبعثه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة التين، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: " القسم على حُسْنِ خِلْقَة الإنسان، ورجوع الكافر إلى النيران، وإكرام المؤمنين بأعظم المثوبات الحسان، وبيان أن الله حكيم وأحكم"[١].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إثبات القدرة الكاملة"[٢].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: امتنان الله على الإنسان باستقامة فطرته وخلقته، وكمال الرسالة الخاتمة"[٣].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة التين اسمان، هما:

١- سورة التين، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "التين" في مطلعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ (الآية ١).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٢٧.

(٢) نظم الدرر ٢٢/١٣٠، ومصاعد النظر ٣/٢٠٩.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٧.

٢- سورة والتين والزيتون، لافتتاحها به[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث أقسم الله بالتين الشجرة المباركة، على خَلْقِ الإنسان بأحسن خِلْقة، والذي قدر على ذلك قادر على إعادة خَلْقِه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة التين ثمان آيات، تضمنت الحديث عن: إقسام الله ﷻ بالتين، والزيتون، وجبل الطور، والبلد الأمين -مكة المكرمة-، على أن الله أحسن خَلْق الإنسان، وإذا أعرض عن الله سيرد أسفل سافلين، وإن آمن بالله وعمل الصالحات فله أجر غير ممنون، وبعد ذلك لا مجال وحجة للمكذبين بيوم الحساب والجزاء، فالله هو أحكم الحاكمين.

وهكذا: نجد أن سورة التين، وما حوته آياتها تحدثت عن الإنسان وخلقه بأحسن تقويم، ورده بسبب الكفر أسفل سافلين، فلماذا يكذب بيوم الدين وقد عرف بدء خلقه، وأن من قدر على البدء، قدر على العود بطريق الأولى. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٤١٨/٣٠.

٩٦- سورة العلق

أولًا: مقصود سورة العلق:

﴿الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده، المُنْعِم على الإنسان بالخلق والتعليم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة العلق، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الأمر بعبادة من له الخلق والأمر، شكرًا لإحسانه، واجتنابًا لكفرانه، طمعًا في جنابه، وخوفًا من نيرانه"[١].

٢- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الإنسان بين هدايته بالوحي، وضلاله بالاستكبار والجهل"[٢].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة العلق ثلاثة أسماء، هي:

١-سورة العلق، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "العلق" فيها، في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (الآية ٢).

٢-سورة اقرأ، أو: اقرأ باسم ربك، لافتتاحها به.

---

(١) نظم الدرر ١٥١/٢٢، ومصاعد النظر ٢١٣/٣.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٧.

٣-سورة القلم، لورود لفظ "القلم" فيها، في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ (الآية ٤)[(١)].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث دعت العبد إلى شكر الله وعبادته فهو الذي خلقه بعد أن كان "علقة"[(٢)]، وعلمه وبعثه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة العلق تسع عشرة آية، تناولت في مجملها: بيان نعم الله على الإنسان بالخلق والتعليم الدالَّين على كمال قدرة الله وعظيم نعمه على الإنسان، مما يدعو إلى عبادته وشكره على فضله. وأن من صدَّ عن سبيل الله وكَذَّب بآياته ونعمه، ونهى عن عبادة الله وهُدَاه وتقواه، وأصرَّ على التكذيب والتولي، فهذا لا يخفى على الله العالم بكل شيء، فإن لم ينتهي عن فعله فإن الزبانية بانتظاره يوم الحساب، وعلى المؤمن عدم طاعته، بل اللجوء إلى الله تعالى بالسجود له سبحانه.

وهكذا: نجد أن سورة العلق، بما تضمنته آياتها تدعو إلى عبادة الله وحده، وشكره على نعمه على الإنسان: بخلقه، وإيجاده، وتعليمه، وأن لا يطيع من عصى الله وطغى عليه، فإن الزبانية بانتظاره. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

---

(١) ينظر: نظم الدرر ١٥١/٢٢، والتحرير والتنوير ٤٣٣/٣٠.

(٢) العلقة: أول مراحل تكون الجنين في بطن أمه.

٩٧- سورة القَدْر

أولًا: مقصود سورة القَدْر:

﴿فضل ليلة القدر، وعظيم قَدْرها وشرفها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة القدر، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: " معظم مقصود السورة: بيان شرف ليلة القدر في نص القرآن، ونزول الملائكة المقربين من عند الرحمن، واتصال سلامهم طوال الليل على أهل الإيمان"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تفصيل الأمر"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان فضل ليلة القدر"(٣).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة القدر اسمان، هما:

١- سورة القدر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "القدر" فيها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (الآية ١).

٢- سورة "إنا أنزلناه في ليلة القدر"، لافتتاحها به(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٣١.

(٢) نظم الدرر ٢٢/١٧٦، ومصاعد النظر ٣/٢١٧.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٨.

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٥٣١.

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث إن تسميتها بسورة القدر تسمية لها بصفة ليلة القدر التي أنزل الله فيها القرآن، فهي ليلة عظيمة القدر والشرف.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة القدر خمس آيات، نوهت بمجملها على فضل ليلة القدر وشرفها، ومن ذلك: نزول القرآن فيها، وإسناد إنزاله إلى الله تعالى، وثواب العمل فيها إذ هي خير من ألف شهر، ونزول الملائكة وجبريل عليهم السلام فيها، ويُؤَمِّنون على دعاء الناس، وتحقق السلام من الله فيها حتى طلوع فجرها.

وهكذا: نجد أن سورة القدر، بما تضمنته آياتها تحدثت عن ليلة عظيمة القدر والشرف والمكانة بما فضَّلها الله ﷻ على سائر الليالي. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

٩٨- سورة البينة

أولًا: مقصود سورة البينة:

﴿إقامة الحجة على الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بإتيانهم البينة بإرسال النبي ﷺ وما أنزل عليه من القرآن﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة البينة، ومن هؤلاء:

١- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإعلام بأن هذا الكتاب القيم -من علو مقداره وجليل آثاره- كما أنه لقومٍ نورٌ وهدى، فهو لآخرين وقرٌ وعمى"(١).

٢- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان كمال الرسالة المحمدية ووضوحها"(٢).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة البينة خمسة أسماء، هي:

١- سورة البينة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "البينة" فيها، في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ (الآية ١).

٢- سورة لم يكن، أو لم يكن الذين كفروا، لافتتاحها به.

---

(١) نظم الدرر ٢٢/١٨٥، ومصاعد النظر ٣/٢٢٠.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٨.

٣- سورة القيمة، لورود لفظ "القيمة" فيها، في قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ (من الآية ٥).

٤- سورة المنفكين، لقوله تعالى فيها: ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ (من الآية ١).

٥- سورة البرية، لورود هذا اللفظ في آيتين هما: ﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ (من الآية ٦)، ﴿هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ (من الآية ٧)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: أن في تسميتها "البينة" دلالة على أن ما جاء به النبي ﷺ، وما أنزل عليه من القرآن، فيه البيان والحجة القاطعة على من كفر.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة البينة ثمان آيات، تحدثت في مجملها عمَّا يلي:

١-إقامة الحجة على الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب والمشركين، وتتمثل في: بعثة النبي ﷺ لهم، وما جاء به من القرآن. وهؤلاء إنما تفرقوا عن علم وليس عن جهل، وأن الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو أصل الأديان وهو: عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، فهو دين يجمع ولا يفرق.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ (البينة الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ (البينة الآية ٥).

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٣٣/١، ونظم الدرر ١٨٥/٢٢، والتحرير والتنوير ٤٦٧/٣٠

٢-الدعوة إلى الإيمان بالله من خلال: بيان مصير الكافرين والمشركين الذين لم ينفكوا عن كفرهم، والتنفير من عملهم، وأنهم شر البرية. ثم بيان مصير من آمن بالله وعمل الصالحات، وخشوا رهم باتباع البينة بأن لهم الثواب من الله، وأنهم خير البرية.

جاء ذلك في ثلاث آيات، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ (البينة الآيات ٦، ٧، ٨).

وهكذا: نجد أن سورة البينة، وما تناولته آياتها أقامت الحجة على الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب والمشركين بمحمد ﷺ، وما جاء به من البينة. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

٩٩- سورة الزلزلة

أولًا: مقصود سورة الزلزلة:

﴿بيان أهوال يوم القيامة، والحساب فيها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الزلزلة، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: " معظم مقصود السورة: بيان أحوال القيامة، وأهوالها، وذكر جزاء الطاعة، وعقوبة المعصية، وذكر أوزان الأعمال في ميزان العدل"[١].

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: انكشاف الأمور، وظهور المقدور، أتم ظهور، وانقسام الناس في الجزاء، في دار البقاء، إلى سعادة وشقاء"[٢].

٣-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التذكير بأهوال القيامة ودقة الحساب فيها"[٣].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الزلزلة اسمان، هما:

١-سورة الزلزلة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لإخبارها عن حدوث الزلزال للأرض في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الآية ١).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥٣٥/١.

(٢) نظم الدرر ٢٠٢/٢٢، ومصاعد النظر ٢٣١/٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٩.

٢-سورة إذا زلزلت، لافتتاحها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث بينت ما يحدث للأرض يوم القيامة من الزلزلة والاضطراب، مما يدل على قدرة الله على البعث والحساب.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الزلزلة ثمان آيات، تضمنت الحديث عن اضطراب الأرض وزلزلتها يوم القيامة ليخرج الناس من قبورهم للحشر والجزاء على أعمالهم من خير أو شر. مما يدل على إثبات البعث، والحث على فعل الخير واجتناب الشر.

وهكذا: نجد أن سورة الزلزلة، تحدثت عن أهوال يوم القيامة، وما يحدث في الأرض من زلزلة واضطراب، لتخرج أثقالها، فيحاسب الناس على أعمالهم سواء كانت خيرًا أم شرًا. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) ينظر: جمال القراء ١/٣٨، وبصائر ذوي التمييز ١/٥٣٥، والتحرير والتنوير ٣٠/٤٨٩.

١٠٠- سورة العاديات

أولًا: مقصود سورة العاديات:

﴿تسخير نعم الله لتكون في سبيله، وليست للصد عنه﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة العاديات، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان شرف الغزاة في سبيل الرحمن، وذكر كفران الإنسان، والخبر عن اطلاع الملك الديَّان، على الإسرار والإعلان، وذم محبة ما هو فان، والخبر من إحياء الأموات بالأجساد والأبدان، وأنه تعالى خبير بما للخلق من الطاعة والعصيان"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك، لإيثار الفاني من العز والمال على الباقي عند ذي الجلال"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تحذير الإنسان من الجحود والطمع بتذكيره بالآخرة"(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٣٧.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٢١٠، ومصاعد النظر ٣/٢٣٧.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٥٩٩.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة العاديات اسمان، هما:

١- سورة العاديات، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود هذا اللفظ في مطلعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ (الآية ١).

٢- سورة والعاديات، لافتتاحها به[1].

ودلالة اسم السورة على مقصودها: إقسام الله ﷻ بالخيل العاديات على تسخيرها للإنسان، ليختبر في ما ذا يستخدمها في سبيل الله أو في غير سبيله؟

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة العاديات أحد عشر آية، تناولت في مجملها ما يلي:

١- إقسام الله ﷻ بالخيل العاديات الموصوفات بـ: الضبح، والحوافر ذات القدح، والمغيرة بالصبح، والمثيرة للنقع، على جحود الإنسان لنعم الله حين يسخرها للصد عن سبيل الله بدلًا من تسخيرها في سبيله.

جاء ذلك في ثمان آيات، من قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ (العاديات الآية ١)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات الآية ٨).

٢- كمال علم الله بأعمال الناس ونواياهم، وحسابهم على ذلك يوم القيامة، فمن يُسَخِّر نعم الله للصد عن سبيله فهو كنود لربه، ومن يسخرها في سبيل الله فهو مؤمن تقي.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥٣٧/١، والتحرير والتنوير ٤٩٧/٣٠.

ومن هنا يُعْلم أن كل وسيلة للقتال ينبغي أن تسخر للقتال في سبيل الله —سواء كانت خيلًا أم ما يماثلها مما يتوفر في كل زمان ومكان– وليس للصد عن سبيله.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ (العاديات الآية ٩)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (العاديات الآية ١١).

وهكذا: نجد أن سورة العاديات، بما تضمنته آياتها تحدثت عن نعم الله على الإنسان بالخيل العاديات ذات القدرات على القتال ونحوها، وبماذا يستخدمها، هل في سبيل الله أو في غير ذلك. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

١٠١- سورة القارعة

أولًا: مقصود سورة القارعة:

﴿قرع الناس يوم القيامة، وظهور أهواله، وحال الناس فيه بين ناجٍ وهالك﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة القارعة، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان هيبة العرصات، وتأثيرها في الجمادات والحيوانات، وذكر وزن الحسنات والسيئات، وشرح عيش أهل الدرجات، وبيان حال أصحاب الدركات"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إيضاح يوم الدين بتصوير ثواني أحواله في مبدئه ومآله، وتقسيم الناس فيه إلى ناج وهالك"(٢).

٣- بن عاشور حيث قال: "إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال، وإثبات الجزاء على الأعمال وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم"(٣).

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: قرع القلوب لاستحضار هول

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥٣٩/١.

(٢) نظم الدرر ٢٢٠/٢٢، ومصاعد النظر ٢٤٠/٣.

(٣) التحرير والتنوير ٥٠٩/٣٠.

القيامة وأحوال الناس في موازينها"(١).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة القارعة اسم واحد هو "سورة القارعة" وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لافتتاحها به في قوله تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ (الآيتان ١، ٢).

ودلالة اسمها على مقصودها: فاسمها "القارعة" من القرع وهو قرع الناس بشدة، وهو اسم من أسماء يوم القيامة، وجاءت السورة لبيان هول هذا اليوم.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة القارعة أحد عشر آية، شملت الحديث عمَّا يلي:

١- تهويل أمر القارعة حين يقرع الناس يوم القيامة، وتظهر شدائدها، وانتشار الناس فيه من قبورهم كالفراش المتطاير، ونسف الجبال وجعلها كالصوف المنبث المتطاير في الهواء.

جاء ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ (القارعة الآيتان ١، ٢)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ (القارعة الآية ٥).

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٠.

٢- بيان مصير الناس بعد أن قرعتهم القارعة بأهوالها، فمن ثقلت موازينه -وهو المؤمن- فهو في عيشة راضية. ومن خفت موازينه -وهو الكافر- فأمه هاوية في نار حامية.

جاء ذلك في ست آيات، من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ (القارعة الآية ٦)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ (القارعة الآيتان ١٠، ١١).

وهكذا: نجد أن سورة القارعة، تناولت في آياتها قرع الناس يوم القيامة، وخروجهم من قبورهم للحساب والجزاء، ما بين موازينهم ثقيلة وهم: المؤمنون، وبين موازينهم خفيفة وهم: الفجار المشركون.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

١٠٢- سورة التكاثر

أولًا: مقصود سورة التكاثر:

﴿التحذير عمّا يلهي عن الإعداد لليوم الآخر بتكثير المال ومتع الدنيا﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة التكاثر، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: ذم المقبلين على الدنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أن عاقبة الكل الموت والزوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، وأعد للمتمولين المذلة والسؤال، والحساب والوبال"[١].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب هلاك يوم الجمع: الجمع للمال، والإخلاد إلى دار الزوال"[٢].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تذكير المتكاثرين واللاهين بالدنيا بالقبور والحساب"[٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٠.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٢٢٥، ومصاعد النظر ٣/٢٤١.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٠.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة التكاثر ثلاثة أسماء، هي:

١-سورة التكاثر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "التكاثر" فيها، في قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ (الآية ١).

٢-سورة ألهاكم التكاثر، لافتتاحها به.

٣-سورة المقبرة، أخذًا من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ (الآية ٢)[(١)].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث ذمت التكاثر في نعم الدنيا بما يلهي عن طاعة الله، والإعداد لليوم الآخر.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة التكاثر ثمان آيات، تناولت في مجملها: ذم التلهي عن الإعداد لليوم الآخر بالتكاثر بالأموال ومتع الدنيا، فالحساب يوم القيامة عما تنعم به في الدنيا أمر لا مفر منه، ولن ينقذهم منه جاه ولا سلطان، ولا ينفع فيه حينئذ سوى العمل الصالح.

وهكذا: نجد أن سورة التكاثر حذرت من التلهي في الدنيا بتكثير الأموال ونعم الدنيا على حساب العمل للآخرة الذي ينفع العبد يوم الحساب. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

---

(١) ينظر: جمال القراء ١/٣٨، وبصائر ذوي التمييز ١/٥٤٠، وروح المعاني ٣٠/٢٢٣، والتحرير والتنوير ٣٠/٥١٧.

١٠٣- سورة العصر

أولًا: مقصود سورة العصر:

﴿ميزان قبول الأعمال وخسرانها﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة العصر، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "مقصود السورة: بيان خسران الكفار والفجار، وذكر سعادة المؤمنين الأبرار، وشرح حال المسلم الشكور الصبار"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: تفضيل نوع الإنسان، المخلوق من علق، وبيان خلاصته وعصارته "(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: أسباب النجاة من الخسارة"(٣).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة العصر اسمان، هما:

١- سورة العصر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: تسمية أول كلمة فيها.

٢- سورة والعصر، لافتتاحها به(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥٤٢/١.

(٢) نظم الدرر ٢٣٤/٢٢، ومصاعد النظر ٢٤٦/٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠١.

(٤) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، والتحرير والتنوير ٥٢٧/٣٠.

ودلالة اسمها على مقصودها: إقسام الله بالعصر، وهو الزمن الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر[1]، وفيه دلالة على قِصَر حياة الإنسان فيه هذه الدنيا، فلا بد أن يملأها بطاعة الله تعالى.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة العصر ثلاث آيات، تحدثت عن إقسام الله بالعصر، وهو الزمن الذي ينتهي إليه عمر الإنسان، وهو زمن قصير، وأن على الإنسان أن يستفيد منه بما ينفعه في دينه ودنياه، وبينت أن الإنسان في خسارة ونقصان، وأن ميزان ذلك من اتصف بـ: الإيمان، والعمل الصالح؛ والتواصي مع الآخرين بالحق، والتواصي معهم بالصبر، فهو الرابح المستفيد.

وهكذا: نجد أن سورة العصر، بينت أن ميزان قبول أعمال الإنسان تتمثل في أربعة أمور: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨/٤٨٠.

١٠٤- سورة الهمزة

أولًا: مقصود سورة الهمزة:

﴿الوعيد الشديد للهمَّاز اللمَّاز، الجامع للمال، المؤدي إلى التكبر وعدم الإيمان بالحساب﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الهمزة، ومن هؤلاء:

١-الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: عقوبة العيّاب المغتاب، وذم جمع الدنيا ومنعه، وبيان صعوبة العقوبة"(١).

٢-البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان الحزب الأكبر الخاسر الذي ألهاه التكاثر، فبانت خسارته يوم القارعة"(٢).

٣-بن عاشور، حيث قال: "وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربًا من ضروب أذاهم، طمعًا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك"(٣).

٤-وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: التحذير من المستهزئين بالمؤمنين اغترارًا بكثرة المال"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٣.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٢٤٣، ومصاعد النظر ٣/٢٤٧.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٥٣٥، ٥٣٦.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠١.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الهمزة ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة الهمزة، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "همزة" فيها، في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الآية ١).

٢- سورة ويل لكل همزة، لافتتاحها به.

٣- سورة الحطمة، لورود لفظ "الحطمة" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ (الآية ٤)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: اسمها الهمزة من الهمز وهو الذي يغتاب الناس ويطعن فيهم بظهر الغيب، والذي يدفعه إلى ذلك جمع المال والتنافس فيه المؤدي إلى التكذيب بالحساب يوم الجزاء.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الهمزة تسع آيات، تناولت ما يلي:

١- الوعيد الشديد للذين يهمزون الناس ويلمزوهم، بسبب جمعهم للمال كأنهم مخلدون في الدنيا، ومن ثم قادهم إلى التكبر وإنكار الحساب يوم القيامة.

جاء ذلك في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ (الهمزة الآية ١-٣).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥٤٣/١، والتحرير والتنوير ٥٣٥/٣٠.

٢- بيان مصير الذين يظنون أنهم غير محاسبين، بأن مصيرهم الحطمة التي تحطم كبرياءهم، وهي النار الموقدة.

جاء ذلك في ست آيات، هن قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ (الهمزة الآية ٤-٩).

وهكذا: نجد أن سورة الهمزة تناولت في مجمل آياتها الوعيد الشديد للهمّاز اللمّاز الذي يجمع المال لذاته، ويظن أنه سيخلده، وأنه غير محاسب عليه في آخرته، وهذا جزاؤه النار الموقدة ذات العمد الممدة. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

١٠٥- سورة الفيل

أولًا: مقصود سورة الفيل:

﴿حماية الله لبيته الحرام، تأكيدًا لقدرته على إهلاك من لم يؤمن به وبرسوله﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الفيل، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان جزاء الأجانب، ومكرهم، ورد كيدهم في نحرهم، وتسليط أنواع العقوبة على العصاة والمجرمين، وسوء عاقبتهم بعد حين"[(١)].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة على إهلاك المكاثرين في دار التعاضد والتناصر بالأسباب"[(٢)].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان قدرة الله وبطشه بالكائدين لبيته المحرم"[(٣)].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٤.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٢٤٩، ومصاعد النظر ٣/٢٤٩.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠١.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الفيل اسمان، هما:

١-سورة الفيل، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لذكر قصة أصحاب الفيل فيها.

٢-سورة ألم تر كيف، لافتتاحها به[(١)].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث تحدثت عن إهلاك الله لأصحاب "الفيل" حينما أرادوا هدم الكعبة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الفيل خمس آيات، تحدثت فيها عن: قدرة الله وحمايته لبيته الحرام، ولفت الأنظار إلى ما صنعه بأصحاب الفيل، حيث أرسل عليهم جماعات من الطيور في شكل أسراب، فأصابتهم بحجارة مخلوطة بالطين تحمل الهلاك والدمار، فجعلتهم كعصف مأكول، أي: كبقايا الزرع بعد الحصاد الذي تأكله الماشية، وتعصف به الريح في كل مكان. وفي ذلك مِنَّة الله على قريش بهذه النعمة، وتأكيد قدرته ﷻ على إهلاك من لم يؤمن به، وفي ذلك أيضًا دعوة إلى الإيمان بالرسول ﷺ الذي دعاهم إلى الإيمان بالله وحده وعدم الإشراك به.

وهكذا: نجد أن سورة الفيل، وضَّحت إهلاك أصحاب الفيل، فحمى الله ﷻ بيته الحرام من المعتدين عليه، فدل ذلك على قدرته ﷻ على إهلاك من لم يؤمن به وبرسوله ﷺ. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٤.

١٠٦- سورة قريش

أولًا: مقصود سورة القريش:

﴿دعوة قريش إلى عبادة الله وحده، وتذكيرهم بنعم الله عليهم﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة قريش، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: ذكر المنة على قريش، وتحضيضهم على العبادة، وشكر الإحسان، ومعرفة قدر النعمة والعاقبة والأمان"[(١)].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الدلالة بأن إهلاك الجاحدين المعاندين، لإصلاح المقرين العابدين، وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة، بإظهار شرفهم في الدارين"[(٢)].

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان نعمة الله على قريش وحق الله عليهم"[(٣)].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٥.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٢٥٩، ومصاعد النظر ٣/٢٥٠.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٢.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة قريش اسمان، هما:

١- سورة قريش، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود اسم قريش فيها، في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ (الآية ١).

٢- سورة لإيلاف قريش، لافتتاحها به[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: لائتلاف قريش واجتماعهم في بلدهم آمنين، وما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم[٢].

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة قريش أربع آيات، ذكَّرت فيها قريشًا بمنَّة الله عليهم حيث: مكنهم من التنقل وحرية التجارة إلى اليمن شتاء، وإلى الشام صيفًا، ومنَّة الرزق الذي أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين، وتأمينهم في الحرم من الخوف دون نزاع من أحد، فأمرهم جل وعلا بعبادته وتوحيده.

وهكذا: نجد أن سورة قريش بما تضمنته آياتها دعت قريشًا إلى الإيمان بالله وحده، وعدم الإشراك به، وشكر نعم الله عليهم بالرزق والأمن دون منازع من أحد. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٥، والتحرير والتنوير ٣٠/٥٥٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨/٤٩١.

١٠٧- سورة الماعون

أولًا: مقصود سورة الماعون:

﴿الدعوة إلى الإيمان بالدين والجزاء الأخروي، وأثر التكذيب به﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الماعون، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: الشكاية من الجافين على الأيتام والمساكين، وذم المقصرين والمرائين، ومانعي نفع المعونة عن الخيرات والمساكين"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: التنبيه على أن التكذيب بالبعث لأجل الجزاء أبو الخبائث"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان صفات المكذبين بالدين"(٣).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الماعون عدة أسماء، هي:

١- سورة الماعون، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الماعون" فيها، في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ (الآية ٧).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٦.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٢٧٥، ومصاعد النظر ٣/٢٥٣.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٢.

٢- سورة أرأيت، لافتتاحها به.

٣- سورة الدِّين، لورود لفظ "الدين" في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ (الآية ١).

٤- سورة التكذيب، أخذًا من قوله تعالى: ﴿يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ (من الآية ١)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: أن التكذيب بيوم الدين -يوم الجزاء- يؤدي إلى منع الماعون، وهو كل ما لا يمنع عادة.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الماعون سبع آيات، تحدثت في مجملها عن: الوعيد لمن كذب بالبعث، وفضاعة عمله، وأن من آثار التكذيب به في **الجانب الاجتماعي**:

انتهار اليتيم وزجره، وعدم الحث على إطعام المسكين.

وفي الجانب العبادي: السهو عن الصلاة بعدم أدائها في أوقاتها، والمراءات في العمل، ومنع الماعون، وهو كل ما لا يمنع عادة.

وقد توعدهم الله بالويل والهلاك.

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٤٦/١، ونظم الدرر ٢٧٥/٢٢، ومصاعد النظر ٢٥٢/٣.

وهكذا: نجد أن سورة الماعون، بما تضمنته آياتها، تدعو إلى الإيمان بيوم الدين والجزاء والحساب، وتوعدت من يكذب به، وبينت أثر التكذيب به. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

١٠٨- سورة الكوثر

أولًا: مقصود سورة الكوثر:

﴿فضل الله على نبيه محمد ﷺ بمنحه الكوثر، وحمايته من المبغضين له﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الكوثر، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان المنة على سيد المرسلين، وأمره بالصلاة والقربان، وإخباره بإهلاك أعدائه أهل الخيبة والخذلان"[(١)].

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: المنحة للمنزل عليه ﷺ بكل خير يمكن أن يكون"[(٢)].

٣- الفراهي، حيث قال عنها: "تكفلت بالبشارة"[(٣)].

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان منة الله على نبيه ﷺ بالخير الكثير، والدفاع عنه"[(٤)].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٧.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٢٨٧، ومصاعد النظر ٣/٢٥٦.

(٣) دلائل النظام ٨٣.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٢.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الكوثر عدة أسماء، منها:

١- سورة الكوثر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الكوثر" فيها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ (الآية ١).

٢- سورة إنا أعطيناك الكوثر، لافتتاحها به.

٣- سورة النحر، أخذًا من قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ (الآية ٢)[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث دلت على منح النبي ﷺ الكوثر، وهو الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأعظمه نهر الكوثر، نهر في الجنة، مما يعطيه فضلًا وشرفًا.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الكوثر ثلاث آيات، تحدثت عن فضل الله على نبيه محمد ﷺ بأن الله أعطاه الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأعظم ذلك نهر الكوثر في الجنة وأمره أن يشكر الله على ذلك بالإقبال على الصلاة، ونحر الهدي. وبشَّرته بخزي أعدائه ومبغضيه، وقطعهم عن كل خير في الدنيا والآخرة.

وهكذا: نجد أن سورة الكوثر بما تضمنته آياتها تحدثت عن منة الله وفضله على نبيه محمد ﷺ بمنحه الكوثر، وبشارته بنصره وحمايته من مبغضيه، وقطعهم عن كل خير. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، ونظم الدرر ٢٨٧/٢٢.

١٠٩- سورة الكافرون

أولًا: مقصود سورة الكافرون:

﴿تحقيق توحيد الله، والبراءة مما يعبده الكافرون﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الكافرون، ومن هؤلاء:

١- ابن القيم، حيث بين أن سورة الكافرون تضمنت تحقيق التوحيد العملي الإرادي، والبراءة من الشرك[١]. وقال عنها: "فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبريء من عبادة كل ما سواه"[٢].

٢- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: يأس الكافرين من موافقة النبي ﷺ بالإسلام والأعمال، في الماضي، والمستقبل، والحال، وبيان أن كل أحد مأخوذ بما له عليه إقبال، وعليه اشتغال"[٣].

٣- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: إثبات مقصود الكوثر بالدليل الشهودي على أن منزلها كامل العلم، شامل القدرة لأنه المنفرد بالوحدانية"[٤].

---

(١) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ٤٢.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ٤٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز ١/٥٤٨.

(٤) نظم الدرر ٢٢/٣٠٠، ومصاعد النظر ٣/٢٦٠.

٤- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: البراءة من الكفر وأهله"[(١)].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الكافرون عدة أسماء، منها:

١- سورة الكافرون، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الكافرون" فيها، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الآية ١)، والمقصود نداء الكافرين فيها.

٢- سورة الإخلاص، لما فيها من الأمر بإخلاص الدين والعبادة لله.

٣- سورة قل يا أيها الكافرون، لافتتاحها به.

٤- سورة الدِّيْن، لورود لفظ "الدين" فيها، في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الآية ٦).

٥- سورة المقشقشة، لأنها تقشقش صاحبها من الشرك والنفاق، أي: تبرئان منه[(٢)].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يتبرأ من عبادة ما يعبده الكافرون.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٣.

(٢) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٤٨/١، ونظم الدرر ٣٠٠/٢٢.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الكافرون ست آيات، حيث أمر الله نبيه ﷺ بأن يقول للكافرين: لا أعبد على الإطلاق ما تعبدون من الأصنام والأوثان. وما دمتم مصرين على شرككم وكفركم فلستم عابدين الله الذي أعبده، فهو الواحد الذي لا شريك له، فلكم شرككم ولي ديني وتوحيدي لله، والمراد تهديدهم لا الرضا بدينهم.

وهكذا: نجد أن سورة الكافرون دعت إلى توحيد الله ﷻ، والبراءة مما يعبده الكافرون المشركون مع الله غيره، وتيئيسهم من موافقتهم على شيء مما هم عليه من الكفر. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

١١٠- سورة النصر

أولًا: مقصود سورة النصر:

﴿وعد الله بنصر دينه، والإيماء إلى دنو أجله ﷺ﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة النصر، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: بيان نعيه، وذكر تمام نُصْرة أهل الإسلام، ورغبة الخلق في الإقبال على دين الهدى، وبيان وظيفة التسبيح والاستغفار، والأمر بالتوبة في آخر الحال"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الإعلام بتمام الدين"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بشارة النبي ﷺ بالنصر وختام الرسالة"(٣).

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة النصر أسماء عدة، منها:

١- سورة النصر، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود ذكر النصر فيها، في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ (الآية ١).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٥٠.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٣١٢، ومصاعد النظر ٣/٢٦٨.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٣.

٢- سورة إذا جاء نصر الله والفتح، لافتتاحها به.

٣- سورة التوديع، لما فيها من الإشارة إلى توديع النبي ﷺ الدنيا وما فيها.

٤- سورة الفتح، لورود ذكر الفتح فيها، في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ (الآية ١)(١).

ودلالة اسمها على مقصودها: لذكر نصر الله فيها للمؤمنين المقدمة للفتح العظيم.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة النصر ثلاث آيات، بينت: فضل الله على نبيه محمد ﷺ بالنصر والفتح، وانتشار الإسلام، وإقبال الناس على الدخول فيه أفواجًا، ودعوته ﷻ لرسوله بتسبيح ربه وحمده واستغفاره على نعمه الجليلة، وأخذ من ذلك الإيماء إلى اقتراب ودنو أجله ﷺ، كما استنبط ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وَجَد في نفسه، فقال: لِمَ تُدْخِل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أَعْلَمه له، قال:

---

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٥٠/١، ونظم الدرر ٣١٢/٢٢، وروح المعاني ٢٥٥/٣٠، والتحرير والتنوير ٥٨٧/٣.

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ وذلك علامة أَجَلِك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول"[1].

وهكذا: نجد أن سورة النصر بما تضمنته آياتها تحدثت في مجملها عن نصر الله لدينه وفتحه العظيم لمكة، ودخول الناس في الإسلام، وما أومأت إليه من دنو أجله ﷺ، لاكتمال الدين وإتمام النعمة بالنصر والفتح. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٩٤/٦، في كتاب التفسير، باب سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾.

١١١- سورة المسد

أولًا: مقصود سورة المسد:

﴿بيان المصير المذل لمن حارب الله ورسوله﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة المسد، ومن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي، حيث قال: "مقصود السورة: تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض، وضياع كَسْبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذم زوجه في إيذاء النبي ﷺ، وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة"(١).

٢- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: البت والقطع الحتم بخسران الكافر، ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين"(٢).

٣- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: بيان خسران أبي لهب وزوجه"(٣).

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة المسد ثلاثة أسماء، هي:

١- سورة المسد، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "المسد" فيها، في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِۭ﴾ (الآية ٥).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٥٥٢.

(٢) نظم الدرر ٢٢/٣٢٧، ومصاعد النظر ٣/٢٧٦.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٣.

٢- سورة تبت، لافتتاحها به.

٣- سورة أبي لهب، لورود ذكره فيها. وأبو لهب: كنية عم النبي ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب[١].

ودلالة اسمها على مقصودها: حيث وصفت السورة حال امرأة أبي لهب أروى بنت حرب بن أمية، المعروفة بـ "أم جميل" أخت أبي سفيان، في النار يوم القيامة، إذ سيجعل في عنقها حبل من ليف وهو "المسد" جراء ما كانت تقوم به من إيذاء رسول الله ﷺ، ووضع الشوك في طريقه.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة المسد خمس آيات، تناولت في مجملها مصير أبي لهب الذي كان شديد العداء للرسول ﷺ، حيث توعده الله بنار موقدة يصلاها ويُشوى بها ولم يشفع له جاهه وقرابته، ولا ماله وكَسْبه من عذاب الله. وقرنت زوجته به في ذلك، واختصتها بلون من العذاب، وهو ما يكون حول عنقها من حبل من ليف تجذب به في النار زيادة في التنكيل والعذاب.

وهكذا: نجد أن سورة المسد، وما تضمنته آياتها من بيان لمصير أبي لهب وامرأته ممن عادوا الله ورسوله، ووصفت العذاب لهما في الدارين وهو جزاء كل من يحارب الله ورسوله ﷺ. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٥٢/١، ونظم الدرر ٣٢٧/٢٢، والتحرير والتنوير ٥٩٩/٣٠.

١١٢- سورة الإخلاص

أولًا: مقصود سورة الإخلاص:

﴿الدعوة إلى الإخلاص في توحيد الله: في ربوبيته، وألوهيته، وصفاته﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الإخلاص، ومن هؤلاء:

١- ابن القيم، حيث بين أن سورة الإخلاص تضمنت: تحقيق التوحيد العلمي الخبري، وما يجب لله من صفات الكمال، وتنزيهه من النقائص والأمثال[(١)].

٢- الفيروزآبادي، حيث قال: " معظم مقصود السورة: بيان الوحدانية، وذكر الصمد، وتنزيه الحق من الولد والوالد والولادة، والبراءة من الشركة والشريك في المملكة"[(٢)].

٣- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال، للدلالة على صحيح الاعتقاد، لِلإخلاص في التوحيد، بإثبات الكمال، ونفي شوائب النقص والاختلال"[(٣)].

---

(١) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ٤٢.

(٢) بصائر ذوي التمييز ١/٥٥٣.

(٣) نظم الدرر ٢٢/٣٤٤، ومصاعد النظر ٣/٢٨٠.

٤- الفراهي، حيث قال: " في التوحيد المحض، وهو القطب والمرجع للدين الإلهي الفطري الأزلي الأبدي"[١].

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: تفرد الله بالألوهية والكمال وتنزهه عن الولد والوالد والنظير"[٢].

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الإخلاص عدة أسماء، منها:

١- سورة الإخلاص، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لحديثها عن إخلاص العبادة لله وحده، وتعليم الناس ذلك.

٢- سورة قل هو الله أحد، لافتتاحها به.

٣- سورة الأساس، لاشتمالها على أساس الدين وهو: التوحيد.

٤- سورة المقشقشة، سميت بذلك هي وسورة الكافرون.

٥- سورة الصمد، لورود لفظ "الصمد" فيها، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ (الآية ٢)[٣].

ودلالة اسمها على مقصودها: لدلالتها على الإخلاص لله وحده، وتنزيهه عن كل نقص وشرك.

---

(١) دلائل النظام ٩٨.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٤.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥٤٣/١، والتحرير والتنوير ٥٣٥/٣٠.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الإخلاص أربع آيات، دلت في مجملها على توحيد الله، وغناه عن جميع الخلائق، واتصافه بجميع صفات الكمال، وأنه فرد ليس له شيء من جنسه فلم يلد أحدًا. ولا سابق له فلم يولد. ولا مقارن له في الوجود فلم يكن له كفوًا ومماثلًا. فالسورة أصل في توحيد الله والإخلاص له في عبوديته.

وهكذا: نجد أن سورة الإخلاص هي سورة توحيد الله في ربوبيته، وألوهيته، وصفاته. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

❋❋❋❋

١١٣- سورة الفلق

أولًا: مقصود سورة الفلق:

﴿الاستعاذة بالله من شرور الدنيا وشر ما خلق﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الفلق، ومن هؤلاء:

١- ابن تيمية، حيث قال: "الاستعاذة من شر المخلوقات عمومًا وخصوصًا"(١).

٢- ابن القيم، حيث قال: "تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شرٌّ من خارج"(٢).

٣- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: الاستعاذة من الشرور، ومن مخافة الليل الديجور، ومن آفات الماكرين والحاسدين"(٣).

٤- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن"(٤).

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الحث على الاعتصام بالله من الشرور"(٥).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/٥٠٨.

(٢) بدائع الفوائد ٢/٢٥٠.

(٣) بصائر ذوي التمييز ١/٥٥٦.

(٤) نظم الدرر ٢٢/٤٠٦، ومصاعد النظر ٣/٢٩٨.

(٥) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٤.

ثالثًا: دلالة اسمها على مقصودها:

لسورة الفلق اسمان، هما:

١- سورة الفلق، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الفلق" فيها، في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ (الآية ١).

٢- سورة قل أعوذ برب الفلق، لافتتاحها به[1].

ودلالة اسمها على مقصودها: اسم الفلق يعني الصبح، لأن الظلام ينفلق عنه، ودلت السورة على الاستعاذة برب الفلق وهو انجلاء الصبح من الظلام من كل الشرور، بجامع الإنجلاء في كلٍ.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الفلق خمس آيات، تضمنت الاستعاذة بجلال الله وسلطانه من شر الخلق، ولما كان وحده ﷻ هو الخالق، كان وحده هو المستعاذ به، من شرور خلقه الظاهرة والباطنة، التي لا يعلمها إلا هو، فجاءت الاستعاذة في هذه السورة من:

- شرور الخلق.
- شرور ظلمة الليل.
- شرور السحر وأهله.
- شرور الحسد والحسدة.

وهكذا: نجد أن سورة الفلق، وما تضمنته آياتها دعت إلى الاستعاذة بالله من كل الشرور الخارجة عن المستعيذ مما خلقه الله. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، وبصائر ذوي التمييز ٥٥٦/١، والتحرير والتنوير ٦٢٣/٣٠.

١١٤- سورة الناس

أولًا: مقصود سورة الناس:

﴿الاستعاذة بالله من شر الوسوسة في صدر المستعيذ﴾.

ثانيًا: القائلون بمقصود السورة:

ذكر عدد من العلماء مقصود سورة الناس، ومن هؤلاء:

١- ابن تيمية، حيث قال: "هذه السورة للشر الصادر من العبد"(١).

٢- ابن القيم، حيث قال: "تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه، وهو شر من داخل"(٢).

٣- الفيروزآبادي، حيث قال: "معظم مقصود السورة: الاعتصام بحفظ الحق - تعالى - وحياطته، والحذر والاحتراز من وسواس الشيطان، ومن تعدي الجن والإنسان"(٣).

٤- البقاعي، حيث قال: "مقصودها: الاعتصام بالإله الحق، من شر الخلق الباطن"(٤).

٥- وجاء في المختصر: "من مقاصد السورة: الحث على الاستعاذة بالله من

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥٣٦/١٧.

(٢) بدائع الفوائد ٢٥٠/٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٥٥٧/١.

(٤) نظم الدرر ٤٢٣/٢٢، ومصاعد النظر ٣٠٩/٣.

شر الشيطان ووسوسته"[١].

ثالثًا: دلالة اسم السورة على مقصودها:

لسورة الناس اسمان، هما:

١- سورة الناس، وهو اسمها التوقيفي، ووجه تسميتها به: لورود لفظ "الناس" فيها، في خمسة مواضع فيها.

٢- سورة قل أعوذ برب الناس، لافتتاحها به[٢].

ودلالة اسمها على مقصودها: فالله هو رب الناس وملكهم وإلههم، فهو المستعاذ به من وساوس الجن والإنس.

رابعًا: دلالة آياتها على مقصودها:

ضمت سورة الناس ست آيات، شملت الحديث عن الاستعاذة بالله، الرب، الملك، الإله، من شر ما يوسوس به الشيطان في نفس الإنسان ومما يوسوس في صدورهم الإضرار بدينهم.

وهكذا: نجد أن سورة الناس، وما تضمنته آياتها دعت إلى الاستعاذة بالله، والالتجاء به من شرور الجن والإنس الذي يوسوس في صدور الناس أنفسهم، خُفيةً وسرًا. وهو ما قررناه في مقصود السورة.. والله أعلم.

****

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم ٦٠٤.

(٢) ينظر: جمال القراء ٣٨/١، والتحرير والتنوير ٦٢٤/٣٠.

تم بحمـد الله، وعونـه وتوفيقـه في المدينـة المنـورة في شـهر رمضـان مـن عـام ١٤٤١هـ، أسأل الله القبول والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

****

قائمة المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، نشر: الهيئة المصرية للكتاب سنة١٩٧٤م.

٢- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، نشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة سنة ١٤٣١هـ.

٣- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: علي البجاوي، نشر دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة سنة١٣٩٢هـ.

٤- أسماء سور القرآن الكريم للدكتور محمد عبدالرحمن الشايع، دار كنوز أشبيليا، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ.

٥- أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة محمد الدوسري، نشر: دار ابن الجوزي الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ.

٦- الأسماء والصفات للبيهقي، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد، نشر: دار الشهداء.

٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، نشر: دار الكتاب العربي بيروت، ١٤١٠هـ.

٨- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩م.

٩- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، مراجعة طه عبدالرؤوف سعد، نشر: دار الجيل سنة١٩٧٣م.

١٠- إمعان النظر في نظم الآي والسور، محمد عناية الله سبحاني، نشر: دار عمار.

١١- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د/ عبدالله محمود شحاته، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م.

١٢- "أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية" للدكتور/ عبد الحكيم الأنيس. بحث منشور في مجلة الأحمدية ١٤٢٣هـ العدد الحادي عشر.

١٣- البحر المحيط، لأبي حيان، نشر: المكتبة التجارية بمكة سنة١٤١٢هـ.

١٤- البداية والنهاية، لابن كثير، نشر: مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثانية سنة١٩٧٧م.

١٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد محمد نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

١٦- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، نشر: دار الكتاب العربي بيروت.

١٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى سنة١٣٤٨هـ.

١٨- البرهان في ترتيب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير تحقيق: محمد شعباني.

١٩- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، نشر: دار المعرفة بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل سنة١٣٩١هـ.

٢٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي نشر: دار الباز بمكة.

٢١- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية سنة١٩٨٤م.

٢٢- تخريج أحاديث الكشاف، جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي، نشر: دار خزيمة الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

٢٣- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، نشر: دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٧٤هـ.

٢٤- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ.

٢٥- تفسير الثعالبي (جواهر الحسان في تفسير القرآن)، عبدالرحمن بن محمد الثعالبي، نشر: مؤسسة الأعلمي بيروت.

٢٦- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، نشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.

٢٧- تفسير المهائمي (تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن) لعلاء الدين علي المهائمي، تحقيق: أحمد فريد الزيدي، نشر: كتاب ناشرون، بيروت سنة ١٤٣٢هـ.

٢٨- تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، نشر: دار الكتب العلمية بيروت.

٢٩- تيسير الكريم الرحمن، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهدي النجار، نشر: المؤسسة السعيدية، وتحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة.

٣٠- التيسير في قواعد علم التفسير، محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق: ناصر المطرودي نشر: دار القلم دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ

٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، طبع مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة سنة١٣٨٨هـ.

٣٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، طبع: دار المعارف، تحقيق: محمود شاكر.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، نشر: دار الكتاب العربي بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة١٣٨٧هـ.

٣٤- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب نشر: مكتبة التراث بمكة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

٣٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، طبع: دار الكتب الحديثة بمصر سنة١٩٦٦م .

٣٦- دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، نشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى بالمطبعة الحميدية سنة ١٣٨٨هـ.

٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣٨- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، نشر: المكتب الإسلامي بدمشق وبيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ.

٣٩- الزهد للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد شاهين، نشر: دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٠هـ

٤٠- سراج المريدين في سبيل الدين، لأبي بكر محمد بن العربي، تخريج: د. عبدالله التوراتي، نشر: دار الحديث الكتانية.

٤١- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية سنة١٣٩٨هـ.

٤٢- السنن الكبرى للبيهقي، نشر: دار صادر بيروت.

٤٣- السنن الكبرى للنسائي، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٤٤- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن احمد الذهبي، نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت.

٤٥- شرح علل الترمذي لابن رجب، تحقيق: نور الدين عتر، نشر: دار الملاح.

٤٦- الشريعة للآجري، تحقيق: د. عبدالله الدميجي، نشر: دار الوطن بالرياض الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠هـ.

٤٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ.

٤٨- صحيح البخاري، نشر: المكتبة الإسلامية باستانبول سنة ١٩٧٩م.

٤٩- صحيح الجامع الصغير، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٨هـ.

٥٠- صحيح مسلم بشرح النووي، شرح أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر: دار الفكر بيروت.

٥١- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة١٤٠٠هـ.

٥٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي، نشر: دار مكتبة الحياة بيروت.

٥٣- طبقات المفسرين للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ.

٥٤- طبقات المفسرين، للداودي، نشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة١٣٩٢هـ.

٥٥- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن قدامة. تحقيق: طلعت الحلواني الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ.

٥٦- علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن، عبدالمحسن بن زبن المطيري، الكويت.

٥٧- عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأعيان، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: حسن حبشي، نشر: دار الكتب والوثائق بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م.

٥٨- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي. نشر: دار القبلة بجدة. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

٥٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لأبي محمد النيسابوري. تحقيق: زكريا عميرات، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.

٦٠- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: وهبي عاوجي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ.

٦١- قطف الأزهار في كشف الأزهار، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد الحمادي نشر: وزارة الأوقاف بقطر.

٦٢- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبدالرحمن حسن جنكة الميداني، نشر: دار القلم بدمشق، الطبعة الرابعة سنة ١٤٣٠هـ.

٦٣- الكشاف للزمخشري، نشر مكتبة العبيكان، تحقيق: عادل عبدالموجود، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ .

٦٤- كنز المعاني في شرح حرز الأماني لمحمد بن أحمد الجعبري، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ.

٦٥- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر، نشر: دار صادر بيروت.

٦٦- لسان العرب، لابن منظور، نشر: دار لسان العرب ببيروت.

٦٧- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، نشر: دار القلم بدمشق، الطبعة الثامنة ١٤٣٤هـ.

٦٨- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة ١٩٧٧م.

٦٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد القاسم، طبع سنة١٣٩٨هـ.

٧٠- محاسن التأويل، للقاسمي، تصحيح: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الثانية سنة١٣٩٨هـ .

٧١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، نشر: وزارة الأوقاف بقطر سنة١٣٩٣هـ.

٧٢- المختصر في تفسير القرآن الكريم، نشر: دار المختصر للنشر والتوزيع الطبعة السادسة سنة ١٤٤١هـ.

٧٣- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، نشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

٧٤- مسند الإمام أحمد، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الرابعة سنة١٤٠٣هـ.

٧٥- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، د. عادل محمد صالح أبو العلا نشر: مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٤هـ.

٧٦- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: د. عبدالسميع حسنين، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

٧٧- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: أسامة أبو محمد، نشر: الفاروق الحديثة سنة ١٤٢٨هـ.

٧٨- المصنف، لعبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي، الطبعة الأولى سنة١٣٩٢هـ.

٧٩- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، طبع مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر.

٨٠- معجم البلدان لياقوت الحموي، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨١- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية.

٨٢- معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، عبدالقادر عياش، نشر: دار الفكر المعاصر سنة ١٩٨٥م.

٨٣- المعجم الوسيط، لعدد من المؤلفين، نشر: مجمع اللغة العربية بمصر الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٨٤- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

٨٥- مفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي. تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، نصر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م.

٨٦- مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير، معالي الشيخ/ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ نشر: وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض سنة ١٤٣١هـ.

٨٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، طبع عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.

٨٨- الموافقات، للشاطبي، تحقيق: محي الدين عبدالحميد، نشر: محمد علي صبيح بالقاهرة.

٨٩- موسوعة التفسير، إصدار الدرر السنية، بإشراف: الشيخ علوي السقاف.

٩٠- الناسخ والمنسوخ في القرآن لابن العربي، تحقيق: عبدالكبير المدغري، نشر: مكتبة الثقافة الدينية سنة ١٤١٣هـ.

٩١- النبأ العظيم، د. محمد عبدالله دراز، عناية: عمرو الشرقاوي، نشر: مركز تفكر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ.

٩٢- نظرة العجلان في أغراض القرآن، محمد كمال الخطيب، نشر: مجلة التمدن الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى.

٩٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ببرهان الدين البقاعي، نشر: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٩٤- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: عبدالحميد الهرامة. نشر: دار الكاتب طرابلس ليبيا سنة ٢٠٠٠م.

٩٥- الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي، نشر: جامعة الشارقة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ.

٩٦- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي، نشر: دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ.

٩٧- وحدة النسق في السور القرآنية، رشيد الحمداوي، بحث نشر ضمن مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد الثالث سنة ١٤٢٨هـ.

****

فهرس المحتويات

****